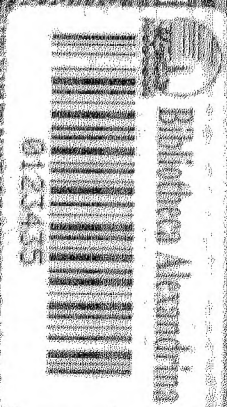


بخار الاخوان

الجامعة الإسلامية في الكويت

تأليف
الشيخ محمد باقر الجليلي
قدس الله روحه

مؤسسة الرسالة
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الجامعة الأردنية

مَجْلَدُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرْرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْحُجَّةُ فَخْرُ الْأُمَّةِ الْمُؤَلَّى
الْشَيْخُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ
"قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ"

الْجُزْءُ الْتَّاسِعُ

دَارُ أَحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
بَيْرُوت - لُبْنَان

الطبعة الثالثة المصححة
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م

دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان - بناية كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب ٧٤٥٧/١١
تلفون المستودع: ٢٧٤٦٩٦ - ٢٧٣٠٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ - المنزل ٨٣٠٧١١ - ٨٣٠٧١٧
كبرقياً: التراث - تليكس LE/٢٣٦٤٤ تراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه الدين ، وسلك به سبل الهدى بعلم الدليل
ومنازل البرهان ، واحتج على عباده برسله وأوصيائهم ليخرجوهم من ظلمات الكفر
والضلالة إلى نور الهداية والإيمان ، ونصر أعوان الدين وأنصار الحق واليقين بالبراهين
الباهرة والحجج القاهرة على من ضلّ وأضلّ من سائر أهل الأديان ، والصلاة على
من جعل الصلاة عليه ذريعة للوصول إلى مواعيد الكرامة والإحسان ، محمد الذي نور
إله به صدور أنبيائه وأصفيائه بلوامع العرفان ، وعلى أهل بيته الذين أكمل الله بولائهم
على عباده الامتنان ، وجعلهم خزانة علم القرآن وسدنة بيت الإيقان .

أما بعد : فهذا هو المجلد الرابع من كتاب بحار الأنوار في بيان ما احتجّ
الله سبحانه وتعالى ورسوله وحججه صلوات الله عليهم أجمعين على المخالفين والمعاندين
من أرباب الملل المختلفة والعقائد الزائغة عن الدين المبين ، وذكر ما لا يخصّ باباً من
أبواب الكتاب من جوامع علوم الدين وإن فرقّت أجزاءً ها على الأبواب المناسبة لها
تيسيراً للمطالعين ، من مؤلفات تراب أقدام المؤمنين محمد باقر بن محمد تقى حشرهما
الله تعالى مع الأئمة الطاهرين وجعلهما من أفراع يوم الدين من الآمين ، و تمنّ
يؤتى كتابه بفضل ربّه بيمين .

﴿باب ۱﴾

﴿٢﴾ احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم ﴿١﴾

البقرة ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٦﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿٩﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجَعَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

(١) الغتم : الاستيثاق من الشيء والسمع منه ، وحيث إن قلوبهم لا ينفذ فيها الانذار وأن أسماهم تنبو عن الاصغاء إلى قول الحق وعيونهم لا تعتبر بالعبر ولا تنتفع بالنظر كأنه استوفقت بالغتم وغشيت بالغطاء .

(٢) العلم : التردد في الامر من التحير ، قال الرضى في التلخيص « ص ٥ » : هاتان استعدتان : فالاولى منها إطلاق صفة الاستهزاء على الله سبحانه ، والمراد بها أنه تعالى يجازيهم على استهزائهم بأوصاد العقوبة لهم فسمى الجزاء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعاً في مقابلته ، وإنما قلنا : إن الوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى لانه عكس أوصاف الحكيم وضد طرائق العليم ، والاستعارة الاخرى قوله : « ويمدهم في طغيانهم يعمهون » أى يمد لهم كأنه يخليهم ، والامتداد في معيهم والججاج في غيهم إيجاباً للحجة وانتظاراً للمراجعة ، تشبيهاً بن أرغى الطول للفرس أو الراحلة ليتنفس خناقها ويتسم مجالها .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٣ -

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ٢١ - ٢٣ .

« وقال تعالى : إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ٢٥-٢٦ » وقال تعالى : يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني آتي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرين ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإني فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ٤٠-٤٢ » وقال تعالى : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ٤٤ » وقال تعالى : يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين ٤٧ » وقال تعالى : أفتظنم أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * ومنهم أمميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني^(١) وإن هم إلا يظنون * فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ٧٥ - ٧٩ .

(١) الامي : الذي لا يكتب ولا يقرء من كتاب ، وقال قطرب : الامية : الغفلة والجهالة فلا مئ منه وهو قلة المعرفة . والاماني إما من الامنية وهي التلاوة ، أى إلا أن ينلى عليهم ، أو بمعنى الاحاديث المختلفة والاكاذيب أى لا يعلمون من الكتاب إلا احاديث اختلقها رؤساؤهم وأكاذيب يحدث بها علماءهم ، أو المراد أنهم يتنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم : لن نسمنا النار إلا أياما معدودة ، وقولهم : نحن ابناء الله وأحياءه .

« وقال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل » إلى قوله » : ثم تولّيتهم إلا قليلاً منكم و أنتم معرضون » وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم و أنتم تشهدون » ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإلثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » إلى قوله : « وقالوا قلوبنا غلف »^(١) بل لعنهم الله بكفرهم قليلاً ما يؤمنون » ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » بسمّا اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين » وإذ قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراه وهو الحقّ مصدّقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » إلى قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين » ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين » إلى قوله : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بأذن الله مصدّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » إلى قوله : « يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا و اسمعوا و للكافرين عذاب أليم » إلى قوله : « أم تريدون

(١) قال الرضى فى التلخيص « ص ٨ » : إما أن يكون غلف جمع أغلف مثل أحمر و حمر ، أو يكون جمع غلاف مثل حمار و حمر و يخفف فيقال : حمر ، قال أبو عبيدة : كل شيء فى غلاف فهو أغلف ، يقال : سيف أغلف ، وقوس غلفاء ، ورجل أغلف : إذا لم يخش ، فمن قرأ غلف على جمع أغلف فالمعنى : أن المشركين قالوا : قلوبنا فى أغطية عما تقوله ، يريدون النبى صلى الله عليه وآله ، و نظير ذلك قوله سبحانه حاكياً عنهم : « وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر » و من قرأ قلوبنا غلف على جمع غلاف بالثقل و التخفيف فمعنى ذلك أنهم قالوا : قلوبنا أوعية فارغة لا شيء فيها فلا تكثر علينا من قولك فانا لا نرى منه شيئاً ، فكان قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه و الاحتجاج عن وعائه انتهى . قلت : وقيل : إن معناه : قلوبنا أوعية للعلم تنبيهاً على أنا لا نحتاج أن نتعلم منك فلنا غنية بما عندنا .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على آداب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥ -

أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل و من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل * ود كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق * إلى قوله : وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين * إلى قوله : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون * إلى قوله : وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كلّ له قانتون ٨٣-١١٦ .

« وقال تعالى : وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو أتانا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون * إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم * ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تنبع مئتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولأن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير * إلى قوله : وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ١١٨-١٣٥ .

« وقال تعالى : قل أتعجبوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون * أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأبساط كانوا هوداً أو نصارى قل * أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ١٣٩-١٤٠ .

« وقال تعالى : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم * إلى قوله : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .

١٤٢-١٤٦

« وقال تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ^(١) يحبونهم كحب

(١) : أى نظراء و أمثالا .

الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة^(١) فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ١٦٥ - ١٦٧ .

« وقال سبحانه : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا^(٢) عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً^(٣) صم بكم عمي فهم لا يعقلون ١٧٠ - ١٧١ . « وقال تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر^(٤) إلى قوله : « وأولئك هم المتقون ١٧٧ .

(١) أي رجعة إلى الدنيا .

(٢) أي وجدنا عليه آباءنا .

(٣) نطق الغراب : صاح . المؤذن : رفع صوته بالأذان . الراعي : ينفخ : صاح بها وذبحها . قال الطبرسي : ثم ضرب الله مثلاً للكفار في تركهم إجابة من يدعوهم إلى التوحيد وركوبهم إلى التقليد فقال : « مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق » أي يصوت « بما لا يسمع » من البهائم « إلا دعاءً ونداءً » واختلف في تقدير الكلام وتأويله على وجوه : أولها أن المعنى : مثل الذين كفروا في دعائهم إياهم أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم ، وإنما تسمع الصوت ، فكما أن الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي إلا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائهم إياهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهم المعنى لأنهم يرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ومن لم يفهمه ، وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام . ثانياً أن يكون المعنى : مثل الذين كفروا ومثلنا ، أو مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، أي كمثل الانعام المنعوق بها والناقع الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل . ثالثاً أن المعنى : مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام كمثل الراعي في دعائه الانعام بتمال وما جرى مجراه من الكلام فكما أن من دعا البهائم بعد جاهلاً فداعى العبادة أشد جهلاً منه . رابعاً أن مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل كمثل الذي ينعق دعاءً ونداءً بما لا يسمع صوته جملة ، ويكون المثل مصروفاً إلى الغنم وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . خامساً أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء الناق .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٧ -

« وقال سبحانه : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة ^(١) بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ٢٠٤ - ٢٠٦ » وقال سبحانه : سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب .

آل عمران « ٣ » فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأُمِّيِّينَ أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنّما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ٢٠ . « وقال تعالى : ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسّنا النار إلاّ أياماً معدودات وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون ٢٣-٢٤ . « وقال سبحانه : إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلّقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحقّ من ربك فلا تكن من الممّترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم ونفوسهم ثمّ نبهل ^(٢) فنجعل لعنة الله على الكاذبين » إلى قوله تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون * يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين * إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين * ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم وما يضلّون إلاّ أنفسهم وما يشعرون * يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحقّ

(١) العزة : الحمية والافتة .

(٢) قال الراغب : أصل البهل كون الشيء غير مراعى ، والبهل والابتهاال في الدعاء : الاسترسال فيه والتضرع ، ومن فسر الابتهاال باللعن فلاجل ان الاسترسال هنا لاجل اللعن .

بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يوتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * بلى من أوفى بعهدته واتقى فإن الله يحب المتقين * إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة^(١) ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة^(٢) ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * وإن منهم لفرقاً يلون أسنتهم^(٣) بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * ما كان لبشر أن يوتي الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون « إلى قوله تعالى : أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون « إلى قوله : كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حقٌ وجاءتهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ٥٩ - ٨٦ .

«وقال تعالى : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون * قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ٩٣-٩٥ .

(١) أى لا نصيب لهم في الجنة .

(٢) أى لا يرحمهم الله يوم القيامة ، كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه : انظر إلى^٣ .

(٣) لوى الحيل : فتلته . لوى رأسه أو برأسه : أماله وأعرض . لوى لسانه بكذا : كناية عن الكذب وتعرض الحديث ، أى ومنهم لفريق يعرفون التوراة تحريفاً خفيفاً ليخفى وتحسبوه من الكتاب .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩ -

« وقال تعالى : قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون * يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ٩٨-١٠١ .

« وقال تعالى : ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون * لن يضرّوكم إلّا أذى وإن يقاتلوكم بولوكم الأدبار ثم لا ينصرون * ضربت عليهم الذلّة أينما نقفوا إلّا بحبل من الله وحبل من الناس وباهوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حقّ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ١١٠-١١٤ .

« وقال تعالى : لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقّ ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلام للعبيد * الذين قالوا إنّ الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبألذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين * فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير * كل نفس ذائقة الموت وإنّما توفّقون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار^(١) وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور * لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأمور * وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبسون

(١) أى ابعد عن النار ونجى عنها .

أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة^(١) من العذاب ولهم عذاب أليم * والله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ١٨٩-١٨١ .

«وقال تعالى : وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً * أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ١٩٩ .

النساء ٤» ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تصلوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله نصيراً * من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراعنا لئلاً بالنسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمعوا وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً^(٢) فردّها على أديبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً * إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً * ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً^(٣) انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً * ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت^(٤) ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجدله نصيراً * أم لهم نصيب

(١) مفازة : منجاة ، أى فلا تحسبنهم بكان ينجون من العذاب .

(٢) أى منحوما فيها من عين و أنف وفم حتى نجعلها لوحاً واحداً كالأقفاء لا تستبين فيها جراحة ، قال الرضى قدس سره : هذه استعارة عن مسخ الوجوه ، أى يزيل تخاطيطها ومعارفها تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التى عمت سطورها واشكلت حروفها .

(٣) الفتيل : ما تقتله بين أصابعك من خيط أو وسخ يضرب به المثل فى الشيء الحقير ، قاله الراغب . ويأتى أيضاً بمعنى السحابة فى شق النواة .

(٤) الجبت : الاصنام . ويقال لكل ما عبد من دون الله . الساحر والكاهن . خسار الناس . الطاغوت : كل متعد . كل رأس ضلال . الشيطان الصارف عن طريق الخير .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١ -

من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴿١﴾ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ٤٤-٥٤ .

«وقال سبحانه» : ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴿٢﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً ﴿٣﴾ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ﴿٤﴾ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ٦٠-٦٣ .

«وقال تعالى» : ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله كيّلاً ﴿٥﴾ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴿٦﴾ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردّه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاستبغتم الشيطان إلا قليلاً ٨١-٨٣ .

«وقال تعالى» : إن يدعون من دونه إلا إناناً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ﴿٧﴾ لعنه الله وقال لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴿٨﴾ ولا ضلّلتهم ولا منّيتهم ولا مرّتهم فليبتكن آذان الأنعام ﴿٩﴾ ولا مرّتهم فليغيّرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ١١٧-١١٩ «وقال تعالى» : ليس بأمانيسكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءً يجزبه ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ١٢٣ .

«وقال تعالى» : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد

(١) النقيير : وقبة في ظهر النواة ، ويضرب به المثل في الشيء الطفيف .

(٢) ولا منّيتهم أى لا جعل لهم امنية . والامنية : الصورة الحاصلة في النفس من تمنى الشيء .

وليبتكن أى ليقطعن آذان الانعام أو يشققونها . والبتك : قطع الاعضاء والشعر ، ويقاربه البتر والبت والبشك والبتل ، لكن الاول يستعمل في قطع الذنب خاصة ، والثاني في قطع العجل والوصل والثالث في قطع الثوب ، والرابع في الانقطاع عن النكاح .

سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم اليأسات ففعلونا عن ذلك و آتينا موسى سلطاناً مبيناً ✽ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ✽ فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ✽ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ✽ وقولهم إنما قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ✽ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ✽ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً ✽ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وصدّهم عن سبيل الله كثيراً ✽ وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ✽ لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمِينَ الصلوة والمؤتُونَ الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً ١٥٣-١٦٢ .

«وقال تعالى: يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن الله ما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ✽ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله كيبلاً ✽ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً ✽ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فיעذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ✽ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ✽ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٣ -

به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ١٧٠-١٧٦ .

المائدة ٥٠ « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل » إلى قوله « . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ^(١) ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا نزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة ^(٢) والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينجزهم الله بما كانوا يصنعون » يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه و من في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحببائه قل فليم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممَّن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة ^(٣) من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشيرٌ ونذير والله على كل شيء قدير ١٠-١٩ .

« وقال سبحانه » : وقالت اليهود يد الله مغلولة غلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء و ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين » ولو أن أهل الكتاب آمنوا و

(١) قال الرضى قدس سره : والمراد بها - والله أعلم - أنهم يمكسون الكلام عن حقائقه ويبلونهم عن جهة صوابه حملاً له على أهوائهم وعطفاً على آرائهم .

(٢) أى فآلقينا بينهم العداوة ، وأصل الاغراء الا لصاق .

(٣) الفترة : السكون والانتقطاع ، أى المدة التى تكون بين كل رسول و رسول .

اتَّقُوا لِكْفَرِنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَدْخُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ
الْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ
مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٦٤- ٦٦ .

« وقال تعالى : قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل
وما أنزل إليكم من ربكم و ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً و
كفراً فلاتأس على القوم الكافرين » إلى قوله سبحانه : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو
المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين
قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسسن
الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيمٌ * ما
المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام
انظر كيف نبيين لهم الآيات ثم انظر أنسى يؤفكون * قل أتعبدون من دون الله مالا يملك
لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم * قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل *
« إلى قوله : ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبأس ما قد مت لهم أنفسهم أن سخط
الله عليهم و في العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما
اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون * لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا
اليهود والذين أشركوا و لتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى
ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً^(١) و أنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى
الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا
مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع

(١) قيل : قسيس كلمة سريانية في الاصل معناها شيخ ، و في العرف الكنسي هو واحد اصحاب
المراتب في الديانة ، وهو بين الاسقف والشماس . ورهبان : من اتخذ الرهبانية وهي الاعتزال عن
الناس إلى دير طلباً للتعبد .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥ -

القوم الصالحين ؑ فأثابهم الله بما قالوا جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك جزاء المحسنين ٦٨ - ٨٥ .

«وقال تعالى : ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ؑ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يتهدون ١٠٤ » «وقال تعالى : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم ؑ أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ؑ إلى آخر السورة ١١٦ - ١٢٠ .

الانعام ٦٦ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ؑ إلى قوله : وماتأثمهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ؑ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم أبناء ما كانوا به يستهزون ؑ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ؑ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ؑ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ؑ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ؑ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون ؑ قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؑ إلى قوله تعالى : قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإتني بريء مما تشركون ؑ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ؑ إلى قوله : ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ^(١) وإن

(١) الاكنة : الاغطية . والوقر : الصمم .

يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا إن هذا أساطير الأولين * وهم ينهون عنه وينأون عنه ^(١) وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون * «إلى قوله» : قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين * وإن كان كبر عليك إعراسهم فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين * إنهما يستجيب الذين يسمعون والطوتى يبغتهم الله ثم إليه يرجعون * وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون * «إلى قوله تعالى» : قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إنيأت تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون * «إلى قوله» : قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرنا آيات ثم هم يصدفون ^(٢) * قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون * «إلى قوله» : قل لأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون * وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يشقون * «إلى قوله» : قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين * قل إنني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين * قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين * «إلى قوله تعالى» : قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لأن أنجينا من هذه لنكونن من الشاكرين *

(١) أى يتباعدون عنه ، من النأي وهو البعد .

(٢) أى يعرضون عنها .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٧-

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون * قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً^(١) ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيات لعلمهم يفقهون * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبأ مستقرّ وسوف تعلمون * وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين * «إلى قوله تعالى» : قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا و نردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ١-٧١ .

«وقال سبحانه» : وما قدرنا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً و هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الذي بين يديه ولتنذر أُمّ القرى و من حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون * «إلى قوله تعالى» : وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم^(٢) سبحانه وتعالى ممّا يصفون * بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم «إلى قوله» : قد جاءكم بصائر من ربكم فمن

(١) أى فرقا مختلفة الأهواء والنزعات .

(٢) قال الرضى قدس الله روحه فى التلخيص «ص ٣٨» : هذه استعارة ، والمراد انهم ادعوا له سبحانه بنين وبنات بغير علم ، وذلك مأخوذ من الخرق وهى الأرض الواسعة وجمعها خروق لان الريح تنخرق فيها أى تتسع ، والخرق من الرجال : الكثير العطاء ، فكأنه ينخرق به ، والخرقة جماعة الجراد ، والخرق : الريح الشديد الهبوب ، وكان معنى قوله تعالى : «وخرقوا له» أى اتسعوا فى دعوى البنين والبنات له وهم كاذبون فى ذلك . ومن قرأ : «وخرقوا» بالتشديد فاما أراد تكثير الفعل من هذا الجنس ، والاختراق والاختلاق والابتشاك بمعنى واحد وهو الادعاء للشئ على طريق الكذب والزور .

أبصر فلنفسه و من عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ * وكذلك نصرّ الآيات و
ليقولوا درست ولنبيّنه لقوم يعلمون * اتّبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو و
أعرض عن المشركين * إلى قوله سبحانه : و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمننّ بها قل إنّما الآيات عند الله وما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون * و
نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة و نذرهم في طغيانهم يعمهون * و لو
أنّنا نزلنا إليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كلّ شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا
إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون * إلى قوله : أفغير الله أبغى حكماً وهو الذي
أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً و الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنّهُ منزّل من ربك
بالحقّ فلا تكوننّ من الممتريّن * و تمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته
وهو السميع العليم * وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون
إلا الظنّ وإن هم إلا يخرصون * إلى قوله : و إنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون * إلى قوله تعالى : و إذا جاءتهم آية قالوا
لن نؤمن حتّى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب
الذين أجرهم صغار عند الله و عذاب شديد بما كانوا يمكرون * إلى قوله : و ربك
الغنيّ ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرّيّة
قوم آخريّن * إنّما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين * قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
إنّني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنّهُ لا يفلح الظالمون * وجعلوا
لله ممّا ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشر كائنات فما كان
لشر كائنهم فلا يصل إلى الله و ما كان لله فهو يصل إلى شر كائنهم ساء ما يحكمون * و
كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شرّ كافّهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم
ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم و ما يفترون * وقالوا هذه أنعام و حرث حبر^(١) لا يطعمها
إلا من نشاء بزعمهم و أنعام حرّمت ظهورها و أنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرّمة على

(١) الحجر : المنوع منه بتحريمه .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٩ -

أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ✽ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين ✽ إلى قوله سبحانه : وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا ^(١) أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ✽ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ✽ يقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ✽ قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين ✽ قل هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربّهم يعدلون ✽ إلى قوله : وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوه لعلمكم ترجون ✽ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ✽ أو تقولوا لو أننا أنزل عليك الكتاب لكننا أهديهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممّن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ✽ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ✽ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ✽ إلى قوله : قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ✽ ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً ^(٢) وما كان من المشركين ✽ قل إن صلاتي ونسكي و

(١) الحوايا جمع حوية وهي الامعاء .

(٢) قيماً أي ثابتاً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم ، وأثبتنا دائماً لا ينسخ ، وقرىء بالتخفيف من قيام . والملة : اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ، مأخوذة من أملت الكتاب ، ولا تضاف إلا إلى النبي الذي تسند إليه بخلاف الدين فإنه يضاف لله وللنبي ولا واحد أمته . حنيفاً أي ماعداً وعادلاً عن كل دين سوى دين الله ، مغليصاً في العبادة لله .

(٣) التمسك : العبادة . كل ما تقرب به إلى الله إلا أن الغالب إطلاقها على الذبح .

محياي و مماتي لله رب العالمين ❖ لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين ❖ قل
أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر
أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ٩١-١٦٤ .

الاعراف «٧» المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به و
ذكرى للمؤمنين ❖ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً
ما تذكرون ١-٣ « وقال سبحانه : وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله
أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ❖ قل أمر ربي بالقسط
و أقيماً وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ❖
فريقاً هدى و فريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله و
يحسبون أنهم مهتدون ❖ إلى قوله : و لقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدى
و رحمة لقوم يؤمنون ❖ إلى قوله تعالى حاكياً عن نوح على نبيينا وآله وعليه السلام :
أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم و آبائكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا إنني
معكم من الملتظرين ٢٨-٧١ .

« و قال تعالى : قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك
السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله و رسوله النبي الأمي^(١)
الذي يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون ١٥٨ .

« وقال سبحانه : أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ❖
أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون
قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون » إلى قوله : قل لا أملك لنفسي نفعا ولا
ضرراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا
إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ❖ إلى قوله : أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ❖

(١) قيل : منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك : عامي لكونه على عادة
العامية . و قيل : سمي به لانه لم يكن يكتب ولا يقرء من كتاب ، و ذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه
و اعتماده على ضمان الله منه بقوله : « سنقرئك فلا تنسى » و قيل : سمي بذلك لنسبته إلى أم القرى .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢١ -

ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْكَالُكُمْ فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصَرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلِينَ * وَإِنَّمَا يَنْزِغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ^(١) فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * «إلى قوله تعالى» : وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم ^(٢) وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ١٨٤-٢٠٣ .

الانفال ٨ «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ معرضون * يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ^(٣) » وأنه إليه تحشرون * «إلى قوله تعالى» : وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم * وما

(١) أى إن نالك من الشيطان وسوسة ونفخة في القلب بما يسول للسان ليصرفك عما امرت به فاستعد بالله .

(٢) أى حجج بينة من ربكم .

(٣) قال الرضى رضوان الله تعالى عليه : هذه استمارة والمعنى أن الله تعالى أقرب إلى العبد من قلبه فكانه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه تعالى قادر على تبديل قلب المرء من حال إلى حال ، إذ كان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب ، والمعنى أنه ينقلها من حال الامن إلى حال الخوف ، ومن حال الخوف إلى حال الامن ، ومن حال المساءة إلى حال السرور ، ومن حال المحبوب إلى حال المكروه .

كان الله ليعدّ بهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون « إلى قوله » : وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاءً وتصديّة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون « إلى قوله تعالى » : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ٢٠-٣٨ .

التوبة ٩٠ « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عما يشركون » يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون » هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » يا أيّها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار^(١) والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله « إلى قوله » : إنهما النسبيّة زيادة في الكفر بضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطؤا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله وزيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ٣٠-٣٧ .

« وقال تعالى » : و إذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّسكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون » و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم^(٢) و ماتوا وهم كافرون » أولايرون أنّهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذكّرون » و إذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يريكم من أحد ثمّ أنصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ١٢٣-١٢٧ .

(١) الاحبار جمع الحبر : العالم و الفقيه ، والحبر : الاثر المستحسن ، سمي العالم بذلك لما يبقى من أثر علومهم في نفوس الناس و من آثار أعمالهم الحسنة المقتدى بها ، والحبر الاعظم عند النصارى : خلف السيد المسيح على الارض . وعند اليهود : ديمس الكهنة .

(٢) قال السيد الرضى : هذه استعارة ظاهرة ، و ذلك أن السورة لا تزيد الا رجاس رجساً ولا القلوب مرضاً بل هي شفاء للصدور و جلاء للقلوب ، ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عصى وعمها وازدادت قلوبهم ارتياباً ومرضاً حسن أن يضاف ذلك إلى السورة على طريقة لاهل اللسان معروفة .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢٣ -

يونس « ١٠ » الر تلك آيات الكتاب الحكيم * أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ١ - ٢ « وقال تعالى » : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوثه عليكم ولا أدرمكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون * ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أنتبشون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه و تعالى عما يشركون * « إلى قوله » : ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنني معكم من المنتظرين ١٥ - ٢٠ .

« وقال تعالى » : قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار و من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون * قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون * قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون * و ما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون * وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * ومنهم من يؤمن به و منهم من لا يؤمن به و ربك أعلم بالمفلسين * و إن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤون مما

أعمل وأنا بريء مما تعملون * ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون * إلى قوله : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم إن أنكم عذابه بياتاً أو نهراً ماذا يستعجل منه المجرمون * أنهم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون *^(١) ويستنبذونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين * إلى قوله : « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أذن لكم أم على الله تفترون * إلى قوله : « ولا يعزرك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم * ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون * هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أقولون على الله ما لا تعلمون * قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * إلى قوله : « إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم * إلى قوله : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * إلى قوله : « قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تنغي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين * قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي

(١) سقطت من هنا آية وهي : « ثم قيل للمذين ظلموا ذوقوا عذاب الغلخ هل تجزون إلا بنا

كنتم تكسبون » .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢٥ -

يتوفىكم و أمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * إلى قوله سبحانه : قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل * واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ٣١ - ١٠٩ .

هود « ١١ » الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير و بشير * وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولّوا فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير * إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير * ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليهم بذات الصدور * إلى قوله : و لئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولنّ ما يحبسّه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن « إلى قوله » : فلعلّك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل * أم يقولون افتربه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون * إلى قوله : فلاتك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ١ - ١٧ .

« وقال تعالى » : تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ٤٩ » وقال سبحانه : وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق و موعظة و ذكرى للمؤمنين * و قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون * والله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ١٢٠ - ١٢٣ .

يوسف ١٢» ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون * وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين * وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون * وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أوتأتيتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون * قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين * وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أفلا تعقلون ١٠٢-١٠٩ .

الرعد ١٣ : المرتك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون إلى قوله تعالى : ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد * إلى قوله : هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الثقال * ويستبحر الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال * والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال * قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار * إلى قوله سبحانه : ^(١) أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب

(١) هكذا في النسخ ، والآية غير متوسطة بآية أخرى ، فقله : « إلى قوله سبحانه » زيادة

ولعله من النسخ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢٧ -

الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال «إلى قوله» : أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكراً ولو إلا لباب ١٩-١ .

«وقال تعالى» : ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب «إلى قوله تعالى» : كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب * ولو أن قرآننا سئرت به الجبال أوقطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم يئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةً أو تحلّ قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد * ولقد استهزى برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب * أفمن هو أقام على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنذرونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل ومن يضل الله فما له من هاد «إلى قوله» : و الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك و من الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وإليه مآب * وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالكة من الله من ولي ولا واق «إلى قوله» : وإما نريناك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإتّما عليك البلاغ و علمنا الحساب «إلى قوله» : ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ٢٧-٤٣ .

إبراهيم ١٤٤ : الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد «إلى قوله» : مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد * ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ٢٠-١ .

« وقال تعالى : ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ٢٤-٢٦ .

« وقال سبحانه : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار * وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ٢٨ - ٣٠ .

الحجر « ١٥ » الرتل آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون * إلى قوله : « وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق * وما كانوا إذا منظرين * إننا نحن نزلنا الذكر وإنّ له لحافظون * إلى قوله : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلموا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * إلى قوله : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفع الصفح الجميل * إن ربك هو الخلاق العليم * ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * قل إني أنا النذير المبين * كما أنزلنا على المقتسمين * الذين جعلوا القرآن عضين * فو ربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون * فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون * ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ١-٩٩ .

النحل « ١٦ » أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون * ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون * خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون * إلى قوله : « أفمن يخلق

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢٩ -

كمن لا يخلق أفلا تذكرون « إلى قوله » : و الذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيمان يبعثون * إليهم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون * لاجرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * إنه لا يحب المستكبرين * وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الالفين * ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الأساء ما يزررون « إلى قوله » : وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّ منا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين « إلى قوله » : إن تهصرص على هديهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين « إلى قوله » : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون * أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * أو يأخذهم في تقلبهم فمأهم بمعجزين * أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم * أو لم يردا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون * والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون * وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإني يافرهون * وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً فغير الله تتفنون * وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون * وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الأساء ما يحكمون « إلى قوله تعالى » : ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون « إلى قوله » : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين الذي يختلفون فيه وهدى رحمة لقوم يؤمنون « إلى

قوله : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما التذنين فضّلوا برادي رزقهم على ما ملكتم أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجهّدون » إلى قوله : « ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون » فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه مثلاً رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً هل يستون » الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هود من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » إلى قوله : « فإن تولّوا فما ننما عليك البلاغ المبين » يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » إلى قوله : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » إلى قوله : « وأوفوا بعهده الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعدتوكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون » ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون » ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتنزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم » إلى قوله : « وإذ بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون » قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » إلى قوله : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ١-١٢٣ .

« وقال سبحانه » : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » إلى قوله : « واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ١٢٥ - ١٢٨ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٣١ -

الاسراء «١٧» إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ وَيُنذِرُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِلَى قَوْلِهِ : « ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا * أَفَأَصْفُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا * إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا * قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ أَتَاكُمْ فِي الْعَرْشِ سَيَلَامًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * إِلَى قَوْلِهِ : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْهُمْ يَنْتَبِهُوا * وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حَسْبُ لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ الَّتِي آوَتْهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَرَبُّكَ الَّذِي ذَكَرْتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَالَى أَجْدَادَهُمْ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * إِلَى قَوْلِهِ : « قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ دَعَوْا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * إِلَى قَوْلِهِ : « وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا * إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا * إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَا يَنْ شَأْنُ الَّذِينَ هُمْ يُجَادُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَا بِأَيْدِيهِمْ وَلَا يَنْجِدُ لَكُمْ بِهِ عِلْمُهُمْ وَلَا يَكُونُ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ * إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُلْ لَا يَنْجِيكُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْجَنَّةُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالِهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَSَفًا أَوْ تَأْتِي بَالُوهَ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا *

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً * قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * إلى قوله : * قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذا لم مسكتهم خشية الإِنفاق وكان الإنسان قتوراً * ١٠٠ - ١٠١ .

« وقال تعالى : * وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً * وقرآناً فرقناه ^(١) لتقرأ على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً * قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجّداً * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يسبحون ويزيدهم خشوعاً * ١٠٥ - ١٠٩ .

الكهف « ١٨ » الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً * لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً * ما كُتِبَ فيه أبداً * وينذر الذين قالوا اتّخذ الله ولداً * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً * فلعلّكم باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً * ٦ - ٦ .

« وقال تعالى : * واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ^(٢) * إلى قوله : * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنما اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ^(٣) * إلى قوله تعالى : * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متّخذ المضلّين عضداً * إلى قوله : * ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثل وكان الإنسان *

(١) قال الشريف الرضي قدس الله روحه : معنى فرقناه أى بيناه للناس بنصوع مصباحه وشدوخ أوضاحه حتى صار كـ فرق الرأس فى وضوح مخطه ، أو كـ فرق الصبح فى بيان منبججه . وقد قال بعضهم : معنى فرقناه أى فصلناه سوراً وآيات ، فذلك بمنزلة فرق الشعر ، وهو تمييز بعضه من بعض حتى يزول النجاسة ويتخلص النقاؤه .

(٢) ملتحداً أى ملتجئاً تلجئىء إليه ، يقال : التجد إلى أى التجأ و مال إليه .

(٣) السرادق : القسطاط الذى يمد فوق صحن البيت .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٣٣ -

أكثر شيء جدلاً * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً * إلى قوله * : و من أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم وقراً و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً ٢٧-٥٧ .

* وقال سبحانه : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً * إلى قوله * : قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ١٠٢-١١٠ .

مريم ١٩ * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ٣٤-٣٧ .

* وقال تعالى * : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً و أحسن ندياً * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أناثاً و رباً * قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً * حتى إذا رآوا ما يوعدون إنا العذاب و إنما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً و أضعف جنداً * إلى قوله * : أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عبداً * كلا سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مدداً * و نرثه ما يقول و يأتينا فرداً * واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدداً * إلى قوله * : وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئا إداً * تكاد السموات يتفطرن منه و تهشق الأرض و تنخر الجبال هدداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * إلى قوله * : فإتينا بلسانك لتبشّر به المتقين و تنذر به قوماً ٧٣-٩٧ .

طه ٢٠ * و كذلك أنزلناه قرآناً عربياً و صرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون

أو يحدث لهم ذكراً ✽ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك
وحيه وقل رب زدني علماً ١١٣ - ١١٤ ✽ وقال سبحانه : وقالوا لولا يأتينا بآية من
ربّه أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى ✽ ولو أننا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزي ✽ قل كلّ
متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ١٣٣-١٣٥ .

الانبيا ٢١ ✽ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ✽ ما يأتهم من ذكر
من ربّهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ✽ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين
ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ✽ قال ربّي يعلم القول
في السماء والأرض وهو السميع العليم ✽ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتريه بل هو شاعر
فليأتنا بآية كما أرسلنا الأولون ✽ ما آمنت قلوبهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ✽
وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ✽ وما
جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ✽ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم
ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ✽ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ✽
« إلى قوله » : وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعيين ✽ لو أردنا أن نتخذ لهم
لاتخذناه من لدنا إن كنّا فاعلين ✽ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق ولكم الويل مما تصفون ✽ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون ✽ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ✽ أم اتّخذوا آلهة من
الأرض هم ينشرون ✽ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله ربّ العرش عمّا
يصفون ✽ لا يستلّ عمّا يفعل وهم يسئلون ✽ أم اتّخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ✽ وما
أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ✽ وقالوا اتّخذ
الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ✽ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ✽ يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ✽ ومن
يقول منهم إنّي إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ✽ إلى قوله

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٣٥ -

سبحانه : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون « إلى قوله » : وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك إلهاً هزواً أهذا الذي يذكركم آلهمتهم وهم بذكر الرحمن هم كفرون ✽ خلق الإنسان من عجل سائرهم آياتي فلا تستعجلون . « إلى قوله » : قل من يكلؤكم ^(١) بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ✽ أم لهم آلهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ✽ بل متبعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون ✽ قل إنما أذكركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون « إلى قوله تعالى » : وهذا ذكرٌ مباركٌ أنزلناه أفأنتم له منكرون ١-٥٠ .

« وقال سبحانه » : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ✽ إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ✽ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ✽ قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إليه واحد فهل أنتم مسلمون ✽ فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون ✽ إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ✽ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ✽ قال رب احكم بالحق و ربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ١٠٥-١١٢ .

الحجج ٢٢ : و من الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ✽ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير « إلى قوله تعالى » : و من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ✽ ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي و نذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ✽ ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد ✽ و من الناس من يعبد الله على حرف ^(٢) فإن أصابه خير

(١) أي من يحفظكم و يحرسكم من عذاب الله إذا صاب عليكم ليلاً ونهاراً .

(٢) قال السيد الرضي رضوان الله عليه : هذه استعارة والمراد - والله أعلم - : صفة الإنسان المضطرب الدين الضعيف اليقين الذي لم يثبت في الحق قدمه ولا استمرت عليه سريره ، فأوهن شبهة تعرض له ينقاد معها و يفارق دينه لها ، تشبيهاً بالقائم على طرف مهواة ، فأدنى عارض يزله و أضعف دافع يطرده .

اطمأن به وإن أصابته فتنة أنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
الطمين * يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن
ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير * إلى قوله : « من كان يظن أن لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ *
وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد » إلى قوله : « ألم تر أن الله
يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله
يفعل ما يشاء ٣- ١٨ .

« وقال سبحانه : وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * و
قوم إبراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين ^(١) ثم
أخذتهم فكيف كان نكير » إلى قوله : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون
بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور *
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يومئذ ربك كألف سنة مما تعدون *
وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير * قل يا أيها الناس
إنما أنا لكم نذير مبين » إلى قوله : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من
دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير * ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير * له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني
الحميد * ألم تر أن الله سخّر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك
السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم * وهو الذي
أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لَكفور * لكل أمة جعلنا منسكاً
هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم * وإن
جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون * الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون *
ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير *

(١) أى امهلتهم واطلعت مدة تنعمهم .

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٣٧-

ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير * يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ٤٢ - ٤٤ .

المؤمنون «٢٣» فذرهم في غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم به من مال ونبين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون * إلى قوله : « ولا تكلف نفسك إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق » وهم لا يظلمون * بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى إذا أخذنا متر فيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامراً ^(١) تهجرون * أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون * أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون * ولوا تتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون * أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين * وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم * وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون * ^(٢) ولورحناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجأوا في طغيانهم يعمهون * ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون * وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون * وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون * بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا

(١) أصل السر : سواد الليل ، ومنه قيل : لا آتيك السر والقمر أى لا آتيك أبداً ، ثم استعمل للحديث بالليل ، ومنه قوله تعالى : « سامراً تهجرون » وقولهم : لا أفعله ماسر بنا سمر أى ما تحدث الناس ليلاً ؛ يعنى أبداً .
(٢) نكب عنه : عدل .

نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين * قل لمن الأرض ومن فيها
إن كنتم تعلمون * يقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع و
رب العرش العظيم * يقولون لله قل أفلا تشرقون * قل من بيده ملكوت كل شيء * و
هو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * يقولون لله قل فأنى تسحرون * بل أتبينهم
بالحق وإنيهم لكاذبون * ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل
إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة
فتمالئ عما يشركون * قل رب إني أعوذ بك من أن أكون من الخاسرين * رب فلا تجعلني في القوم
الظالمين * وإني على أن نريك ما نعهدهم للقاهرون * ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن
أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ^(١) وأعوذ بك رب أن
يحضروني * إلى قوله : أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله
الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم * ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان
له به فإتما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ٥٤-١١٧ .

النور « ٢٤ » لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم *
ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك
بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن
يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أتفي قلوبهم مرض أم إلتابوا أم يخافون أن
يحيى ^(٢) الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا
إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون * وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون * قل أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حمل وإن تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول إلا البلاغ للمبين * إلى قوله : لا تحسبن الذين كفروا معجزين في
الأرض وماؤيهم النار ولبس المصير ٤٦-٥٧ .

(١) همزات الشياطين : خطراته التي يخطر بها قلب الإنسان ووساوسه .

(٢) الحيف : البيل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم ٣١-

الفرقان «٢٥» تبارك الذي نزل الفرقان ^(١) على عبده ليكون للعالمين نذيراً * الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقد رده تقديراً * واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً * وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتريه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً * وقالوا مالي هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنزاً أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبععون إلا رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضللوا فلا يستطيعون سبيلاً * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * إلى قوله سبحانه : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً * إلى قوله : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً * إلى قوله : « أرايت من اتخذ إليه هويته أفأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً * إلى قوله : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً * إلى قوله سبحانه « ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً * وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً * قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً * وتوكل على الحي

(١) الفرقان اسم لا مصدر ، وتقديره كتنقير وجل قنمان أى يقنع به فى الحكم ، والفرقان أبلى من الفرق لأنه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، والفرق يستعمل فى ذلك وفى غيره ، ويطلق ذلك على كلام الله لأنه يفرق بين الحق والباطل فى الاعتقاد ، والصدق والكذب فى القول ، والصالح والطالح فى الأعمال .

الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خيراً « إلى قوله » : وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً ٦٠-١ .

الشعراء ٢٦ * طسم * تلك آيات الكتاب المبين * لعلك باخع نفسك ^(١) أن لا يكونوا مؤمنين * إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين * وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين * فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزون * أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ٨٠-١ .

وقال سبحانه : وإنا أنزلنا رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنا أنزلنا في زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكنه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون * إلى قوله : وما ننزل به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفك * أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ١٩٢-٢٢٣ .

الشمل ٢٧ * طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين * هدى وبشرى للمؤمنين * إلى قوله : وإنا أنزلنا القرآن من لدن حكيم عليم ٦٠-١ .

وقال تعالى : قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . الله خير أمّا

(١) أى مهلك نفسك أسفاً وغماً على اعراضهم عنك وعدم إيمانهم بك . و أصل البضع : أن يبلغ بالبضع البهتان وهو عرق مستبطن الفقار ، وذلك أقصى حد البهتان .

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٤١-

يُشْرِكُونَ * أَمْ مَنْ أَمَّنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمْ مَنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؕ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ؕ إِلَى قَوْلِهِ : وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ^(١) وَمَا يُعْلِنُونَ ؕ إِلَى قَوْلِهِ : إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَتَوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ؕ إِلَى قَوْلِهِ : أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا * إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ؕ إِلَى قَوْلِهِ : إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أُعْبِدَ رَبُّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٥٨-٩٣ .

القصص ٢٨ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين * فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكلّ كافرون * قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها ما أتبعه إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنتم يتبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتّبع هوىه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين * ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون * الذين آتينهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا

(١) أى إنه يعلم ما تخفيه صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله ومكائدهم .

آمناً به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين « إلى قوله » : وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يعجى إليه ^(١) ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون « إلى قوله » : قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ٤٧-٧١ .

« وقال سبحانه » : قل ربّي أعلم من جاء بالهدى و من هو في ضلال مبين * و ما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين * ولا يصدّتك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين * ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ٨٥-٨٨ .

العنكبوت ٢٩ : ومن الناس من يقول آمناً بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين * وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون * وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليستلن يوم القيمة عما كانوا يفترون ١٠-١٣ .

« وقال سبحانه » : مثل الذين اتخذوا من دونه الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم * وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون * خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين « إلى قوله » : ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقلوا آمناً بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون * وكذلك أنزلنا

(١) أي يحمل إليه ويجمع فيه .

ج٤ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٤٣-

إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لا تتاب المبطلون * بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون * وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون * ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين * إلى قوله : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنسى يؤفكون * إلى قوله تعالى : ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون * إلى قوله : فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون * أولم يروا أننا جعلنا حرمات آمناً ويتخطف الناس من حولهم أقبال بطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ٤١-٦٧ .

الروم ٣٠ * أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * إلى قوله : ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين * إلى قوله : وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم من منبئين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون * ليكفروا بما

آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون * أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهم يترككم بما كانوا به يشركون
 « إلى قوله تعالى » : الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
 شر كائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون « إلى قوله » :
 ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرةً لظلوا من بعده يكفرون * فإني لك لا تسمع المطوي
 ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع
 إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون « إلى قوله تعالى » : ولقد ضربنا للناس في
 هذا القرآن من كل مثل ولئن جهتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون *
 كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون * فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفئك
 الذين لا يوقنون ٨ - ٦٠ .

لقمان ٣١ « الم * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمةً للمحسنين
 « إلى قوله » : ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها
 هزواً أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها
 كأن في أذنيه قرأ فبشره بعذاب أليم « إلى قوله » : خلق السموات بغير عمد
 ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من
 السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من
 دونه بل الظالمون في ضلال مبين « إلى قوله » : ومن الناس من يجادل في الله
 بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما
 وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير * ومن يسلم وجهه إلى
 الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا
 يحزنك كفره إنا مرجعهم فننبتهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور * نمتعهم
 قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
 ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون « إلى قوله » : وإذا غشيهم موجٌ كالظلل
 دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّسهم إلى البرّ فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل
 ختار كفور ١ - ٢٢ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٤٥ -

التنزيل «٣٢» ألم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون
افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتتهم من نذير من قبلك لعلمهم بهتدون *
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * إلى قوله : « ومن أظلم ممن ذكر
بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون » إلى قوله : « أو لم يهد لهم كم
أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون ٢١-٢٢ .
الاحزاب «٣٣» يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً
إلى الله باذنه و سراجاً منيراً * وبشراً المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع
الكافرين والمنافقين ودع أذنهم و توكل على الله وكفى بالله وكيلاً ٤٥ - ٤٨ .
سبا «٣٤» والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم *
ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط
العزیز الحمید * وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل
ممزق إنسكم لفي خلق جديد * أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد * أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك
لاية لكل عبد منيب * إلى قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير » إلى قوله : « قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو
إبناكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * قل لا تسئلون عماً أجرنا ولا نسئل عماً تعملون *
قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم * قل أرؤني الذين
ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم * وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً
ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » إلى قوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك
مفتري وقال الذين كفروا للحق لمتا جاءهم إن هذا إلا سحر مبين * وما آتيناهم

من كتب يد رسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير « إلى قوله » قل : إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد * قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد * قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد * قل إن ضللت فإنا أنا أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب * ٥٠ - ٥٠ .

فاطر « ٣٥ » أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون « إلى قوله » : ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم و يوم القيمة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير * يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز « إلى قوله » : وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير * إنما أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير * وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير « إلى قوله » : والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير * « إلى قوله » : قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً « إلى قوله » : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً * استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ^(١) فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ٨ - ٤٣ .

(١) قال السيد الرضى قدس الله روحه : هذه استعارة والمراد أن الله تعالى يعاقب المشركين *

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٤٧-

يس «٣٦» يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر فوما ما نذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إلى قوله : « وسواء عليهم » أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إلى قوله : « ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون » إلى قوله : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * وما تأتينا من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لويشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين * إلى قوله « ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » إلى قوله « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون * فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ١ - ٧٦ .

الصفات «٣٧» فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب * بل عجبنا ويسخرون * وإذا ذكروا لا يذكرون * وإذا رأوا آية يستسخرون * وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ١١ - ١٥ « وقال سبحانه : فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إنثاً وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * مالكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين * وجعلوا بينه وبين الجنة سباً ولقد علمت الجنة إنهم لم يحضرون * سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين * فأنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفائنين * إلا من هو صالح الجحيم * وما منّا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبوحون * وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكراً من الأولين * لكنّا عباد الله المخلصين *

* على مكرهم بالؤمنين فكانوا مكروا بأنفسهم وجوه الضرر إليهم لا إلى غيرهم ، إذ كان المكر عادماً بالوهاب عليهم ، ومعنى « لا يحق » أى لا يحل ولا ينزل ولا يحيط إلا بهم ، وهذه الالفاظ بمعنى واحد .

فكفروا به فسوف يعلمون » إلى قوله : فتول عنهم حتى حين * وأبصرهم فسوف يبصرون * أفبعذابنا يستعجلون * فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين * وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون ١٤٩ - ١٧٩ .

ص « ٣٨ » ص والقرآن ذي الذكر * بل الذين كفروا في عزة وشقاق * كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص * وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لمسا يذوقوا عذاب * أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترققوا في الأسياب * جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ١ - ١١ . « وقال سبحانه : وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ٢٧ - ٢٩ » وقال سبحانه : قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار * رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار * قل هو نبي أعظم * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين » إلى قوله : قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين ٦٥ - ٨٨ .

الزمر ٣٩ : تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنما أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص * والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصفحى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار » إلى قوله : وإذا مس الإسمان ضر دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه ^(١) نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله

(١) خوله الشيء : أعطاه إياه متفضلاً أو ملكه إياه .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٤٩ -

أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار » إلى قوله : « قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » وأمرت لأن أكون أول المسلمين » قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » قل الله أعبد مخلصاً له ديني » فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » إلى قوله : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين » الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلّل الله فما له من هاد » إلى قوله : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلمهم يتقون » ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ^(١) ورجلاً مسلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » إلى قوله : « أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه و من يضلّل الله فما له من هاد » ومن يهدي الله فما له من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام » ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » قل ياقوم اعملوا على مكائتكم إنني عاقل فسوف تعلمون » من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم » إننا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه و من ضلّ فإنا يضلّ عليها و ما أنت عليهم بوكيل » إلى قوله : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون » قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون » وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » إلى قوله : « وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون » واتبعوا أحسن ما نزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب

(١) التشاكس : الاختلاف .

بغته وأنتم لا تشعرون » إلى قوله : قل أفغير الله تأمر وني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ١ - ٦٦ .

المؤمن « ٤٠ » ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد * كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ^(١) فأخذتهم فكيف كان عقاب » إلى قوله : والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ٤ - ٢٢ .

وقال سبحانه : فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبِّح بحمد ربك بالعشي والإبكار * إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير * لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون * وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون » إلى قوله : قل إنني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيِّنات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين » إلى قوله : ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنبيء يصفون * الذين كذبوا بالكتاب وما أرسلنا به رسلاً فسوف يعلمون » إلى قوله : ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصناهم عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ٥٥-٧٨ » إلى آخر السورة .

السجدة « ٤١ » حم تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في

(١) أي ليطلوا به الحق .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥١ -

أَكُنَّةٌ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمُزْ إِنَّمَا عَاثِلُونَ ﴿٥١﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا
 وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٣﴾ إِلَى قَوْلِهِ :
 فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ ﴿٥٤﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ سَمَاءٍ مَلَكًا فَاِئْتِنَا بِمَا تُرْسِلُنَا بِهِ
 كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِلَى قَوْلِهِ : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٥٦﴾
 فَلَنَنْزِلُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ إِلَى قَوْلِهِ :
 وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَسْتَوِي
 الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٥٩﴾
 وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٦٠﴾ إِلَى قَوْلِهِ : إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٦١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٦٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ
 وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
 عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٤﴾ إِلَى قَوْلِهِ : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَمْرٌ
 كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٥٢-١ .

حمهسق ٤٢﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
 بِوَكِيلٍ ﴿٤٣﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ
 الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٤٤﴾ إِلَى قَوْلِهِ : أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ إِلَى قَوْلِهِ : شَرَعَ لَكُمْ
 مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَ
 عِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا
 كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ

بعدهم لفي شك منه مريب * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم و
قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا
ولكم أعمالكم لاجبة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير * والذين يحتاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجبتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب
شديد * إلى قوله : قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة
تزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور * أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله
يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور
* إلى قوله : استجيبيوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ
يومئذ وما لكم من نكير * فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ
* إلى قوله : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الآيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنتك لتهدي إلى صراط
مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور
١ - ٥٣ .

الزخرف ٤٣ حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم
تعقلون * وإنته في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم * أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن
كنتم قوماً مسرفين ^(١) * وكم أرسلنا من نبي في الأولين * وما يأتيهم من نبي إلا
كانوا به يستهزئون * فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين * إلى قوله سبحانه
وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور هين * أم اتخذ ممّا يخلق بنات و
أصفيكم بالبنيين * وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو

(١) قال الرضى قدس الله أسرار : هذه استعارة ، يقال : ضربت عنه وأضربت عنه بمعنى
واحد ، وسواء قولك : ذهبت عنه صفحاً وأعرضت عنه صفحاً وضربت وأضربت عنه صفحاً ، ومعنى صفحاً
ههنا أى أعرضت عنه بصفحة وجهي ، والمراد - والله أعلم - : أفنضرب عنكم بالذكر ، فيكون الذكر
مروراً لصفحة عنكم من أجل اسرافكم وبغيكم ، أى لسنا نفعل ذلك بل نوالى تذكيركم لتتذكروا
وتتأبع ذنوبكم لتتذنبوا ، ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بأعراض الصفحة كان الكلام
محمولاً على وصف الذكر بذلك على طريق الاستعارة .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥٣ -

كظيم * أو من ينشئ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناناً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسئلون * وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين * إلى قوله : بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين * ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * إلى قوله : أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين * فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون * أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم * وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون * واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ٢-٤٥ .

«وقال تعالى» : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * إلى قوله » : لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون * أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون * أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجوتهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون * إلى قوله » : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنسى يؤفكون * وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ٥٧ - ٧٩ .

الدخان ٤٤ » حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا

مذرين « إلى قوله » : بل هم في شك يلعبون * « إلى قوله » : فإنما يسرناه بلسانك
لعلهم يتذكرون * فارتقب إنهم مرتقبون ١-٥٩ .

الجبائية « ٤٥ » حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم « إلى قوله » : تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاك
أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب
أليم * وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين * من وراءهم
جهنم ولا يفتي عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب
عظيم * هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم « إلى قوله » :
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون « إلى
قوله تعالى » : ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون *
إنهم لن يغفوا عني شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين *
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة القوم يوقنون « إلى قوله » : أفأريت من اتخذ إلهه
هويه وأضل الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من
بعد الله أفلا تذكرون * وقالوا ماهي إلا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا
الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ١-٢٤ .

الاحقاف « ٤٦ » حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا
السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أُنذروا
معرضون * قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك
في السموات اتوني بكتاب من قبل هذا أو آتاءة من علم إن كنتم صادقين * ومن أضل
ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون *
وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قال الذين كفروا للحق لمّا جاءهم هذا سحر مبين * أم يقولون افترينه قل إن افتريته
فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو
الغفور الرحيم * قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥٥ -

إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : فاصبر كما صبراً ولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ١ - ٣٥ .

محمد (٤٧) ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ ﴿٤٨﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَانْصُرْ لَهُمْ ﴿٤٩﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٥٠﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا وَلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ١٢-١٦ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ .

الفتح (٤٨) ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٩﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزُّوهَ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ شَرِيحٌ أَعْزَمٌ ٨ - ١٠ .

الحجرات (٤٩) ﴿٤٩﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ٧ ﴿٧﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ ١٦-١٨ .

ق « ٥٠ » ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيبٌ * إذ امتنا وكنا تراباً ذلك رجعٌ بعيدٌ * إلى قوله : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدّ منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيٍص * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * إلى قوله سبحانه : نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ١ - ٤٥ .

الذاريات « ٥١ » ففرّوا إلى الله إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ * ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ * كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ * أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون * فتولّ عنهم فما أنت بملومٌ * و ذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين ٥٠ - ٥٥ * إلى آخر السورة .

الطور « ٥٢ » فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعرٌ تتربّص به ريب المنون * قل تریصوا فإنّي معكم من المتربّصين * أم تأمرهم أحوالهم بهذا أم هم قومٌ طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون * أم لهم سلّمٌ يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين * أم له البينات ولكم البنون * أم تسألهم أجراً فهم من مغرمٍ مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون * أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون * وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مرکوم * فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون * وإنّ للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون * واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ٢٩ - ٤٩ .

النجم « ٥٣ » والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى * علّمه شديد القوى * ذو مرّة فاستوى * إلى قوله : أفرايتم اللّات والعزّى * ومنات الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا

ج ٩ باب احتياج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥٧ -

قسمةٌ ضيزى * إن هي إلا أسماءٌ سمّيتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان
إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم لا نسان
ما تمنى * فله الآخرة والأولى * وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا
من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسسمون
الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظنّ وإن الظنّ لا يغني
من الحق شيئاً * إلى قوله : « أفأريت الذي تولى * وأعطى قليلاً وأكدى » ^(١) أعنده
علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر
وازره وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم
يجزيه الجزاء الأوفى ١ - ٤١ * إلى آخر السورة .

القمر ٥٤ « اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنبياء
ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغن النذر * فتول عنهم * إلى قوله سبحانه : «
ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر *
أكثرناكم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر *
سيهزم الجمع ويولون الدبر * إلى قوله : « ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر *
وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكبير مستطر * ١ - ٥٣ .

الرحمن ٥٥ الرحمن علم القرآن * إلى آخر السورة .

الواقعة ٥٦ « أفأريت ما تملكون * أنتم تخلقونه * أم نحن الخالقون * إلى قوله : «
أفأريت ما تحرثون * أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاباً فظلمتم
تفكّهون * إننا لمغرّهون * بل نحن محرومون * أفأريت الماء الذي تشربون * أنتم
أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء لجعلناه ناجياً فلولاً تشكرون * أفأريت
النار التي توردون * أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون * نحن جعلناها تذكرة

(١) قال الراغب : الكدى : صلابة في الأرض ، يقال : حفرنا كدى : إذا وصل إلى كدية ، و

استعير ذلك للمطالب المخفق والمعطى المقل .

و متاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم * فلا قسم بمواقع النجوم * وإنه لقسـ
لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون *
تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم
تكذبون «إلى قوله» : إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ٥٨ - ٩٦ .

الحديد ٥٧ * ومالككم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد
أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
من الظلمات إلى النور وأن الله بكم لرؤف رحيم * «إلى قوله تعالى» : ألم يأن للذين
آمَنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب
من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «إلى قوله» : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من
فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٨ - ٢٩ .

المجادلة ٥٨ * إن الذين يحادون الله ورسوله كتبوا كما كتب الذين من
قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين * «إلى قوله» : ألم تر إلى الذين
تولّوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويطغون على الكذب وهم يعلمون *
أعدّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله فلمهم عذاب مهين * «إلى قوله» : استحوذ عليهم الشيطان فأنسهم ذكر
الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون * إن الذين
يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي
عزيز ٥ - ٢١ .

المنهجة ٦٠ * قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا
لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٥٩ -

لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير « إلى قوله » : يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ٤-١٣ .

الصف ٦١ « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أودع في رسول الله الهدى والدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ٦-٩ .

الجمعة ٦٢ « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين « إلى قوله » : قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرّون منه فانه ملاقيتكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٢-٨ . المنافقون ٦٣ « إذا جاءك المنافقون « إلى آخر السورة » .

التغابن ٦٤ « ألم يأتكم نبيّ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا فكفروا وتولّوا واستغنى الله والله غنيّ حميد * إلى قوله تعالى » : فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير * إلى قوله » : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فاستعاضوا بآلهم رسولنا البلاء المبين ٥-١٢ .

الطلاق ٦٥ « الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولا يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله لهم رزقاً ١٠ - ١١ « إلى آخر السورة » .

الملك «٦٧» هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها^(١) وكلوا من رزقه وإليه النشور * أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير * ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير * أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور * أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجؤا في عتو ونفور * أفمن يمشي مكبباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم * قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون «إلى قوله» : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ١٥ - ٣٠ .

القلم «٦٨» ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطع المكذبين * ودوا لوتدهن فידهنون * ولا تطع كل حلاف مهين * هم آذ مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذامال وبينين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * سنسمة على الخرطوم «إلى قوله» : أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيمة إن لكم لما تحكمون * سلمهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشر كائهم إن كانوا صادقين «إلى قوله» : فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملئ لهم إن كيدي متين * أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون «إلى قوله» : وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين . ٥٢ - ١

(١) أي جوانبها ونواحيها .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٦١ -

الحاقة «٦٩» فلا أقسم بماتبصرون وما لاتبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل * من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإننا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ٣٩-٥٢ .

المعارج «٧٠» فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبذل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ٤٠-٤٢ .

نوح «٧١» وقالوا لا تذر آلهم تكلم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ٢٣ .

الحج «٧٢» قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل إنني لأملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إنني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * إلا بلاغاً من الله ورسالاته ٢٠ - ٢٣ «إلى آخر السورة» .

المزمل «٧٣» واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً * ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأً جميلاً * وذرنّي * والملكذّبين أولي النعمة ومهلّهم قليلاً * «إلى قوله» : إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * «إلى قوله» : إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ٨ - ١٩ .

المدثر «٨٤» يا أيها المدثر * قم فأنذر * «إلى قوله» : ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً * إنه فكر وقدّر * فقتل كيف قدّر * ثم قتل كيف قدّر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر * يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * «إلى قوله» : وما

هي إلا ذكرى للبشر * كلاً والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها
لا إحدى الكبر * نذيراً للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر * إلى قوله * :
فمالهم عن التذكرة معرضين * كأنهم هم مستنفرة * فرّت من قسورة * بل يريد
كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة * كلاً بل لا يخافون الآخرة * كلاً إنه تذكرة
فمن شاء ذكره * وما يدكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ١ - ٥٦ .
القيامة ٥٧ * لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا
قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه * كلاً بل تحبّون العاجلة * وتذرون
الآخرة ١٦ - ٢١ .

الدهر ٧٦ * إنما نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً * فاصبر لحكم ربك ولا
تطع منهم آئماً أو كفوراً * إلى قوله * : إن هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم
يوماً ثقيلاً * نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً * إن هذه
تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربه سبيلاً ٢٣ - ٢٩ .

المرسلات ٧٧ * ألم نخلقكم من ماء مهين ٢٠ * إلى آخر السورة .

النبأ ٧٨ * ألم نجعل الأرض مهاداً ٦ * إلى آخر السورة .

النازعات ٧٩ * أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسوها * و
أغطش ليلها وأخرج ضحكها * والأرض بعد ذلك دحسها * أخرج منها ماءها ومرعها
والجبال أرسها * متاعاً لكم ولأنعامكم ٢٨ - ٣٣ .

عبس ٨٠ * عبس وتولى * إلى آخر السورة .

التكوير ٨١ * فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس *
والصبح إذا تنفس * إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع
ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب
بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فآين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين *
لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ١٥ - ٢٩ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٦٣ -

الانفطار «٨٢» يا أيها الإنسان ما غرّك ربّك الكريم * الذي خلقك فسوّك * فعدلك في أيّ صورة ما شاء ركبك ٨-٦ .

الانشقاق « ٨٤ » فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق * لتركبنّ طبقاً عن طبق * فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون * بل الذين كفروا يكدّون * والله أعلم بما يوعون * فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ١٦-٢٥ .

البروج «٨٥» بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ١٩ - ٢٢ .

الطارق «٨٦» والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم يكدّون كيداً * وأكيد كيداً * فمهل الكافرين أمهلهم وريداً ١١-١٧ .
الاعلى «٨٧» إلى آخر السورة .

الغاشية «٨٨» أفلا ينظرون إلى إلا بل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذّب به الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ١٧-٢٦ .

البلد «٩٠» لا أقسم بهذا البلد * إلى آخر السورة .

ألم نشرح «٩٤» إلى آخر السورة .

والثين «٩٥» إلى آخر السورة .

العلق «٩٦» إلى آخر السورة .

البيّنة «٩٨» إلى آخر السورة .

الماعون «٩٩» إلى آخر السورة .

الكوثر «١٠٨» إلى آخر السورة .

الكافرون «١٠٩» إلى آخر السورة .

النصر «١١٠» إلى آخر السورة .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ » : قيل : نزلت في أبي جهل و خمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر ؛ وقيل : نزلت في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ممن كفر بالنبي ﷺ عناداً وكنتم أمره حسداً ؛ وقيل : نزلت في مشركي العرب ؛ وقيل : هي عامة في جميع الكفار أخبر الله تعالى بأن جميعهم لا يؤمنون .^(١) و في قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمناً » نزلت في المنافقين وهم عبدالله بن أبي بن سلول ، وجد بن قيس ، ومعتب بن قشير وأصحابهم ، وأكثرهم من اليهود .^(٢) و في قوله : « وإذ اخلوا إلى شياطينهم » روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنهم كتبواهم .^(٣) و في قوله : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا » روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إنما ضرب الله المثل بالمبعوضة لأن البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره و زيادة عضوين آخرين ، فأراد الله سبحانه أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته .^(٤) و في قوله : « يا بني إسرائيل اذكروا » الخطاب لليهود و النصارى ؛ وقيل : هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما حولها .^(٥)

و في قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » روي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال : كان حي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم ما كلة على اليهود في كل سنة فكروا بطلانها بأمر النبي ﷺ ، فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته و ذكره ، فذلك الثمن الذي أريد في الآية .^(٦) و في قوله : « تأمروا الناس بالبر » هذه الآية خطاب لعلماء اليهود و كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين : اثبتوا على ما أنتم عليه ولا يؤمنون هم .^(٧) و في قوله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » قيل : إنهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً

(٢) مجمع البيان ١ : ٤٦ .

(٤) > > ١ : ٦٧ .

(٦) > > ١ : ٩٥ .

(١) مجمع البيان ١ : ٤٣ .

(٣) > > ١ : ٥١ .

(٥) > > ١ : ٩٣ .

(٧) > > ١ : ٩٨ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٦٥ -

اتباعاً لأهوائهم وإعانة لمن يرشونهم. ^(١) وفي قوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا » إلى قوله : « ليحاجوكم به عند ربكم » روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمد عليه السلام فنهاهم كبرائهم عن ذلك ، وقالوا : أنخروهم بما في التوراة ^(٢) من صفة محمد عليه السلام فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الآية ^(٣).

وفي قوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » قيل : كتابتهم بأيديهم أنهم عمدوا إلى التوراة وحرّفوا صفة النبي عليه السلام ليوقعوا الشكّ بذلك على المستضعفين من اليهود ، وهو المردي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وعن جماعة من أهل التفسير ؛ وقيل : كان صفته في التوراة : أسمر ربة فجعلوه آدم طويلاً ، وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال : إن أخبار اليهود وجدوا صفة النبي عليه السلام مكتوبة في التوراة : أكحل أعين ربة حسن الوجه ، فمحوه من التوراة حسداً وبغياً فأتاهم نفر من قريش فقالوا : أتجدون في التوراة نبياً منّا ؟ قالوا : نعم نجده طويلاً أزرق سبط الشعر ذكره الواحد في سنده في الوسيط. ^(٤) وفي قوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » قال ابن عباس : كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله عليه السلام قبل مبعثه ، فلمّا بعثه الله من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء بن معرور : يا معشر اليهود اتّقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن

(١) مجمع البيان ١ : ١٤٢ .

(٢) في التفسير المطبوع : لا نخبروهم بما في التوراة .

(٣) مجمع البيان ١ : ١٤٢ .

(٤) مجمع البيان ١ : ١٤٦ ، فيه : كانت صفته أسمر ربة فجعلوه آدم طويلاً . قلت : أسمر : من كان لونه بين السواد والبياض . الربة : الوسيط القامة ، يستعمل للمذكر والمؤنث . قال الثعالبي : إذا علاه أدنى سواد فهو أسمر ، فإذا زاد سواده على الصفرة فهو آدم انتهى . الاعين : الذي عظم سواد عينه في سعة . الاكحل : ذو الكحل : سواد جفونها خلقه من غير كحل .

(٥) مجمع البيان ١ : ١٥٨ .

أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث ، فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنّا نذكر لكم ، فأُنزل الله تعالى هذه الآية ^(١) .
و في قوله : « قل من كان عدواً لجبريل » عن ابن عباس قال : سبب نزول هذه الآية ما روي أن ابن سوريا و جماعة من يهود أهل فدك لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة سألوه فقالوا : يا محمد كيف نومك ؟ فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان ؛ فقال : ينام عيناى وقلبي يقظان ، قالوا : صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة ؛ فقال : أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة ، قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه شبه من أخواله ؛ أو يشبه أخواله و ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : أيهما علا ماؤه كان الشبه له ، قالوا : صدقت يا محمد ، قالوا : فأخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأُنزل الله سبحانه : « قل هو الله أحد » إلى آخر السورة ، فقال له ابن سوريا : خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتبعك ؛ أي ملك يأتيك بما أنزل الله عليك ؟ قال : فقال : جبرئيل ، قال : ذلك عدو لنا ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل بالبشر والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنّا بك ؛ فأُنزل الله هذه الآية جواباً لليهود ورداً عليهم ^(٢) .

و في قوله تعالى : « لا تقولوا راعنا » كان المسلمون يقولون : يا رسول الله راعنا ، أي استمع منّا ، فحرّفت اليهود هذا اللفظ فقالوا : يا محمد راعنا ، وهم يلحدون إلى الرعونة ويريدون به النقيصة والوقعة ، فلمّا عوتبوا قالوا : نقول كما يقول المسلمون ، فنهى الله عن ذلك بقوله : « لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » وقال قتادة : إنّها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء ؛ وقال عطاء : هي كلمة كانت الأنصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الإسلام ؛ وقال السدي : كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له : رفاعة بن زيد ، يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك ؛ وقال الباقر عليه السلام : هذه

(١) مجمع البيان ١ : ١٥٨ .

(٢) مجمع البيان ١ : ١٦٧ ، وفيه : وميكائيل ينزل بالسر والرخاء .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٦٧-

الكلمة سبّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون . وقيل : كان معناه عندهم : اسمع لاسمعت . ومعنى انظرنا انتظرنا نفهم ، أوفهمنا ويدين لنا ، أو أقبل علينا .^(١)

و في قوله تعالى : « أم تريدون أن تسئلوا رسولكم » اختلف في سبب نزولها ، فروي عن ابن عباس أن رافع بن حرمله و وهب بن زيد قالا لرسول الله ﷺ : امتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله هذه الآية ؛ وقال الحسن : عني بذلك مشركي العرب وقد سألوا وقالوا : « لن يؤمن لك حتى تفجر لنا » إلى قوله : « أوتاني بالله و الملائكة قبيلاً » وقالوا : « لولا نزل علينا الملائكة أنرى ربنا » وقال السدي : سألت العرب عمداً ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة ؛ وقال مجاهد : سألت قريش عمداً ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فقال لهم : نعم ولكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام - فرجعوا ؛ وقال الجبائي : روي أن رسول الله ﷺ سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط ، وهي شجرة كانوا يعبدونها و يعلقون عليها التمر وغيره من المأكولات كما سألوا موسى : اجعل لنا إلهاً .^(٢)

و في قوله : « ود كثير من أهل الكتاب » نزلت الآية في حي بن أخطب وأخيه أبي ياسر بن أخطب وقد دخلا على النبي ﷺ حين قدم المدينة ، فلمّا خرجا قيل لحي : أهونبي ؟ فقال : هو هو ، فقيل : ماله عندك ؟ قال : العداوة إلى الموت ، وهو الذي نقض العهد و أباد الحرب يوم الأحزاب ، عن ابن عباس ؛ وقيل : نزلت في كعب بن الأشرف ، عن الزهري ؛ وقيل : في جماعة من اليهود ، عن الحسن .^(٣) وفي قوله : « قالت اليهود ليست النصراني على شيء » قال ابن عباس : إنه لما قدم وفد نجران من النصراني على رسول الله ﷺ أتتهم أخبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ، فقال رافع بن حرمله :

(١) مجمع البيان ١ : ١٧٨ ، وفيه : ومعنى انظرنا يحتمل وجوها : أحدها : انظرنا نفهم وتبين

ما علمنا . والآخر : فقهنا و بين لنا يا محمد . والثالث : اقبل علينا . ويجوز أن يكون معناه : انظرنا إلينا فحذف حرف الجر .

(٢) مجمع البيان ١ : ١٨٣ .

(٣) مجمع البيان ١ : ١٨٤ . وفيه . فماله عندك ؟

ما أنتم على شيء - و جحد نبوة عيسى وكفر بالإنجيل - فقال رجل من أهل نجران : ليست اليهود على شيء - و جحد نبوة موسى وكفر بالتوراة - فأُنزل الله تعالى هذه الآية . والذين لا يعلمون : مشركوا العرب قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه إنهم ليسوا على شيء ، أوقالوا : إن جميع الأنبياء وأممهم لم يكونوا على شيء .^(١)

و في قوله : « وقالوا اتخذ الله ولداً » نزلت في النصارى حيث قالوا : المسيح ابن الله ، أو فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا : الملائكة بنات الله « سبحانه » تنزيهاً له عن اتخاذ الولد وعن القبايح والصفات التي لا تليق به^(٢) . بل له ما في السموات والأرض « ملكاً ، والولد لا يكون ملكاً للأب ، لأن النبوة والملوك لا يجتمعان ، أو فعلاً ، والفعل لا يكون من جنس الفاعل ، والولد لا يكون إلا من جنس أبيه .^(٣)

و في قوله : « وقال الذين لا يعلمون هم النصارى ، عن مجاهد ؛ واليهود ، عن ابن عباس ؛ و مشركو العرب ، عن الحسن و قتادة ؛ وهو الأقرب » أوتأتينا آية « أي موافقة لدعوتنا » وقد بينا الآيات لقوم يوقنون « أي فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد ، ولو علم الله في إظهار ما اقترحوه مصلحة لأظهرها .^(٥)

و في قوله : « وقالوا كونوا هوداً » عن ابن عباس أن عبد الله بن سوريا وكعب بن الأشرف و مالك بن الصيف و جماعة من اليهود و نصارى أهل نجران خاصموا أهل الإسلام كل فرقة تزعم أنها أحقّ بدين الله من غيرها ، فقالت اليهود : نبينا موسى أفضل الأنبياء ، و كتابنا التوراة أفضل الكتب ؛ وقالت النصارى : نبينا عيسى أفضل الأنبياء ، و كتابنا الإنجيل أفضل الكتب ، و كل فريق منهما قالوا للمؤمنين : كونوا على ديننا ، فأُنزل الله هذه الآية ؛ وقيل : إن ابن سوريا قال لرسول الله ﷺ : ما الهدى

(١) مجمع البيان ١ : ١٨٨ . قلت : أورد معنى ما قال الطبرسي ، راجع المصدر .

(٢) في التفسير المطبوع : « سبحانه » أي إجلاله عن اتخاذ الولد وتنزيهاً عن القبايح والسوء والصفات التي لا تليق به .

(٣) مجمع البيان ١ : ١٩٢ . (٤) مجمع البيان ١ : ١٩٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٦٩ -

إلا مانحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مثل ذلك فنزلت (١)
 و في قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله » عن ابن عباس قال : دعا
 النبي ﷺ اليهود إلى الإسلام فقالوا : « بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا » فهم كانوا أعلم
 منا فنزلت هذه الآية ؛ وفي رواية الضحاك عنه أنها نزلت في كفار قريش (٢)
 و في قوله : « ومن الناس من يعجبك قوله » قال الحسن : نزلت في المنافقين ، و
 قال السدي : نزلت في الأخنس بن شريق ، كان يظهر الجميل بالنبي ﷺ والمحبة له
 والرغبة في دينه ويطن خلاف ذلك . و روي عن الصادق عليه السلام أن المراد بالحرف في هذا
 الموضع الدين و بالنسل الناس (٣)
 و في قوله : « يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » أي في نبوة النبي ﷺ ، أو
 في أمر إبراهيم و أن دينه الإسلام ، أو في أمر الرجم ، فقد روي عن ابن عباس أن رجلاً
 وامرأة من أهل خيبر زنيا و كانا من ذوي شرف فيهم و كان في كتابهم الرجم فكرهوا
 رجمهما لشرفهما ، ورجوا أن يكون عند رسول الله ﷺ رخصة في أمرهما ، فرفعوا
 أمرهما إلى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم ، فقال له النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو
 (نجر بن عمرو خل) جررت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم ، فقال لهم رسول الله ﷺ :
 بيني وبينكما التوراة (٤) قالوا : قد أنصفتنا ، قال : فمن أعلمكم بالتوراة ؟ قال : رجل
 أعور يسكن فذك يقال له ابن صوريا ، فأرسلوا إليه فقدم المدينة و كان جبرئيل قد
 وصفه لرسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت ابن صوريا ؟ قال : نعم ، قال :
 أنت أعلم اليهود ؟ قال : كذلك يزعمون ، قال : فدعا رسول الله ﷺ بشيء من التوراة
 فيها الرجم مكتوب فقال له : اقرء ، فلمّا أتى على آية الرجم وضع كفه عليها و قرأ ما
 بعدها ، فقال ابن سلام : يا رسول الله قد جاوزها ، وقام إلى ابن صوريا و دفع كفه عنها ،
 و قرأ على رسول الله ﷺ و على اليهود بأن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما

(١) مجمع البيان ١ : ٢١٦ . وفيه : مالك بن النضيف .

(٢) > ١ : ٢٥٤ .

(٣) > > ٢ : ٣٠٠ .

(٤) في التفسير المطبوع : بيني و بينكم التوراة .

البيّنة رجلاً ، وإن كانت المرأة حبلى انتظر بها حتّى تضع ما في بطنها ؛ فأمر رسول الله باليهوديين فرجما ، فغضب اليهود لذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية .^(١)

و في قوله : « إن مثل عيسى عند الله » قيل : نزلت في وفد نجران : العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله ﷺ : هل رأيت ولداً من غير ذكر ؟ فنزلت « إن مثل عيسى » الآيات فقرأها عليهم ، عن ابن عباس وقتادة والحسن .^(٢)

و في قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا » نزلت في نصارى نجران ؛ وقيل : في يهود المدينة ، وقد رواه أصحابنا أيضاً ؛ وقيل : في الفريقين من أهل الكتاب .^(٣)

و في قوله : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » أي لا يتخذ بعضنا عيسى ربّاً ، أو لا يتخذ الأخبار أرباباً بأن يطيعوهم طاعة الأرباب ؛ وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : ما عبدوهم من دون الله ، ولكن حرّموا لهم حلالاً ، وأحلّوا لهم حراماً ، فكان ذلك اتّخاذهم أرباباً من دون الله .^(٤)

و في قوله : « يا أهل الكتاب لم تعاجّون » قال ابن عباس وغيره : إنّ أخبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا في إبراهيم فقالت اليهود : ما كان إبراهيم إلّا يهوديّاً ، وقالت النصارى : ما كان إلّا نصرانيّاً ، فنزلت .^(٥)

و في قوله : « وقالت طائفة » قال الحسن والسديّ : تواطأ أحد عشر رجلاً^(٦) من أخبار يهود خيبر وقرى عربية و قال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أوّل النهار باللسان دون الاعتقاد ، واكفروا به آخر النهار ، وقولوا : إنّنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم و قالوا : إنّهم أهل الكتاب وهم أعلم به منّا فيرجعون عن دينه إلى دينكم ؛ وقال مجاهد ومقاتل والكلبيّ : كان هذا في شأن القبلة لمّا حوّلت إلى الكعبة

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٢٤ .

(٢) مجمع البيان ٢ : ٤٥١ .

(٣) > > ٢ : ٤٥٥ وفيه : نزلت في يهود المدينة ، عن قتادة والربيع وابن

(٤) مجمع البيان ٢ : ٤٥٥ .

جرير ، وقد رواه أصحابنا أيضاً .

(٦) في التفسير المطبوع : اثناعشر رجلاً .

(٥) مجمع البيان ٢ : ٤٥٦ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٧١ -

وصلوا شقّ ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه : آمنوا بما نزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها وجه النهار ، و ارجعوا إلى قبلتكم آخره لعلمهم يشكون^(١). وفي قوله : «ومن أهل الكتاب» عن ابن عباس قال : يعني بقوله : « من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك» عبدالله بن سلام ، أودعه رجل ألفاً و مائتي أوقية من ذهب فأدّاه إليه ، وبالأخر فتحاص بن عازوراء ، وذلك أنّ رجلاً من قريش استودعه ديناراً فخانه ؛ وفي بعض التفاسير : إنّ الذين يؤدّون الأمانة في هذه الأمة النصارى ، و الذين لا يؤدّونها اليهود^(٢).

وفي قوله : « إنّ الذين يشترون بعهد الله » نزلت في جماعة من أحبار اليهود : أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف ، كتبوا ما في التوراة من أمر محمد ﷺ وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنّه من عند الله لثلاث نفوتهم الرماصة و ما كان لهم على اتّباعهم ، عن عكرمة ؛ و قيل : نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله ﷺ فلمّا نزلت الآية نكل الأشعث واعترف بالعقّ وردّ الأرض^(٣).

وفي قوله : « وإنّ منهم لفريقاً » قيل : نزلت في جماعة من أحبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من نعت محمد ﷺ وغيره وأضافوه إلى كتاب الله ؛ و قيل : نزلت في اليهود والنصارى حرّفوا التوراة والإنجيل وضربوا كتاب الله بعضه ببعض و ألحقوا به ما ليس منه ، وأسقطوا منه الدين الحنيف ، عن ابن عباس^(٤).

و في قوله : « ما كان لبشر » قيل : إنّ أبارافع القرظيّ من اليهود و رئيس وفد نجران قال : يا محمد أتريد أن نعبدك أو نتخذك إلهاً ؛ قال : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني ، فنزلت ، عن ابن عباس و عطاء ؛ و قيل : نزلت في نصارى نجران ؛ و قيل : إنّ رجلاً قال : يا رسول الله نسلم عليك

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٦٠ . (٢) مجمع البيان ٢ : ٤٦٢ .

(٣) > > ٢ : ٤٦٣ .

(٤) > > ٢ : ٤٦٤ . وفيه : من بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

كما يسلم بعضنا على بعض ، أفلا نسجد لك ؟ قال : لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ، فنزلت .^(١)

وفي قوله تعالى : « كيف يهدي الله » قيل : نزلت في رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدرًا وهرب وارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة ؟ فسألوا فنزلت الآيات إلى قوله : « لا الذين تابوا » فحملها إليه رجل من قومه ، فقال : إنني لأعلم أنك لصدوق ، وأن رسول الله ﷺ لا صدق منك ، وأن الله تعالى أصدق الثلاثة ، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وقيل : نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعث حسداً وبغياً .^(٢)

وفي قوله تعالى : « كل الطعام كان حلالاً » أنكر اليهود تحليل النبي ﷺ لحوم الإبل فقال ﷺ : كل ذلك كان حلالاً لإبراهيم عليه السلام ، فقالت اليهود : كل شيء نحرّمه فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم وهلم جرا حتى انتهى إلينا ، فنزلت .^(٣)

وفي قوله تعالى : « لم تصدّون عن سبيل الله » قيل : إنهم كانوا يغرون بين الأوس والخزرج يذكرونهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحميّة والعصيّة فينسلخوا عن الدين فهي في اليهود خاصّة ؛ وقيل : في اليهود والنصارى ، ومعناها : لم تصدّون بالكذب بالنبي وأن صفته ليست في كتبكم .^(٤)

وفي قوله تعالى : « لن يضرّوكم إلّا أذى » قال مقاتل : إن رؤوس اليهود مثل كعب بن الأشرف وأبي رافع وأبي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم كعبد الله ابن سلام وأصحابه فأنبوههم على إسلامهم ، فنزلت .^(٥)

وفي قوله تعالى : « ليسوا سواء » قيل : لمّا أسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٧١ .

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٦٦ .

(٢) > > ٢ : ٤٨٠ .

(٣) > > ٢ : ٤٧٥ .

(٥) > > ٢ : ٤٨٧ .

ج٤ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم -٧٣-

أخبار اليهود : ما آمن بمحمد إلا أشرارنا فنزلت ، عن ابن عباس وغيره ؛ وقيل : نزلت في أربعين من أهل نجران ، وأثنين و ثلاثين من الحبشة ، وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى فصدّ قوا محمد ﷺ ، عن عطاء . (١)

وفي قوله : « لقد سمع الله » لما نزل « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » قالت اليهود : إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء ، قائله حي بن أخطب ، عن الحسن و مجاهد ؛ وقيل : كتب النبي ﷺ مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعواهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً ؛ فدخل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناساً كثيراً منهم اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء فدعاهم إلى الإسلام والزكاة والصلاة ، فقال فنحاص : إن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقر ونحن أغنياء ، ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا ؛ فغضب أبو بكر وضرب وجهه فنزلت . (٢)

وفي قوله تعالى : « الذين قالوا إن الله عهد إلينا » قيل : نزلت في جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازوراء قالوا : يا محمد إن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فان زعمت أن الله بعثك إلينا فاجتنبنا به لنصدقك ، فأُنزل هذه الآية ، عن الكلبي ؛ وقيل : إن الله أمر بني إسرائيل في التوراة : من جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدّ قوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح و محمد ﷺ ، فإذا أتياكم فآمنوا بهما بغير قربان فلم تقتلتموهما إن كنتم صادقين هذا تكذيب لهم في قولهم ، ودلالة على عنادهم وعلى أن النبي ﷺ لو أتاهم بالقربان المتقبل كما أرادوا لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا آباؤهم ، وإنما لم يقطع الله عذرهم لعلمه سبحانه بأن في الإتيان به مفسدة لهم ، و المعجزات تابعة للمصالح ، وكان ذلك اقتراح في الأدلة على الله ، والذي يلزم في ذلك أن يزيع علتهم بنصب الأدلة فقط . (٣)

(١) مجمع البيان ٢ : ٤٨٨ .

(٢) مجمع البيان ٢ : ٥٤٧ .

(٣) مجمع البيان ٢ : ٥٤٩ . وفيه : مالك بن الصيفي .

وفي قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أتوا » نزلت في رفاعه بن زيد بن السائب ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويابلسا نهما وعاباه ، عن ابن عباس (١) .

وفي قوله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » قيل : نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا : هل على هؤلاء من ذنب ؟ قال : لا ، فقالوا : فوالله ما نحن إلا كميئتهم ، ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار ، فكذبهم الله تعالى ؛ وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا : نحن أبناء الله وأحبناؤه ، وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام (٢) .

وفي قوله : « ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً » قيل : كان أبو برزة كاهناً في الجاهلية فسافر إليه ناس (٣) ممن أسلم فنزلت ؛ وقيل : إن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ فينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة : إنكم أهل كتاب وتجد صاحب الكتاب فلان آمن أن يكون هذا مكرراً منكم ، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ، فذلك قوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ثم قال كعب : يا أهل مكة ليحيى منكم ثلاثون ومنا ثلاثون نلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهد على قتال محمد ، ففعلوا ذلك : فلمّا فرغوا قال أبو سفيان لكعب : إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أمميون لانعلم ، فأيننا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق : نحن أم محمد ؟ قال كعب : أعرضوا على دينكم ، فقال أبو سفيان : نحن ننحدر للحجيج الكوهاء ، ونسقيهم الماء ، ونقري الضيف ، ونفك العاني (٤) ونصل الرحم ، ونعمر بيت ربنا ، ونطوف به ، ونحن أهل الحرم ؛ ومحمد فارق دين آباءه ، وقطع الرحم ، وفارق الحرم ،

(١) مجمع البيان ٣ : ٥٣ .

(٢) مجمع البيان ٣ : ٥٨ .

(٣) في المصدر : فتنافس إليه ناس .

(٤) الكوهاء : البعير الضخم السنام . العاني : الأسير .

٩٠ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٧٥ -

وديننا القديم ، ودين محمد الحديث ؛ فقال كعب : أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد - صلى الله عليه وآله - فنزلت .^(١)

وفي قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون » كان بين رجل من اليهود و رجل من المنافقين خصومة ؛ فقال اليهودي : أخاصم إلى محمد - لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم - وقال المنافق : لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف - لأنه علم أنه يأخذ الرشوة - فنزلت ؛ فالطاغوت هو كعب بن الأشرف . وقيل : إنه كاهن من جبهة أراد المنافق أن يتحاكم إليه ؛ وقيل : أراد بهما كانوا يتحاكمون فيه إلى الأوثان بضرب القداح ؛ وعن الباقر والصادق عليهما السلام أن المعني به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق .^(٢)

وفي قوله : « لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » أي تناقضاً من جهة حق و باطل ، أو اختلافاً في الإخبار عما يسمون ، أو من جهة بليغ ومرذول ، أو تناقضاً كثيراً ، وذلك أن كلام البشر إذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ ، وكل هذه هنفي عن كتاب الله .^(٣)

وفي قوله : « إن يدعون من دونه إلا إناثاً » فيه أقوال : أحدها : إلا أوثاناً ، وكانوا يسمون الأوثان باسم الإناث ؛ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأشاف^(٤) ونائلة ، عن أبي مالك والسدّي ومجاهد وابن زيد ، وذكره أبو حمزة الثمالي في تفسيره قال : كان في كل واحدة منهن شيطانة أنثى تترأى للسدنة وتكلمهم ، وذلك من صنيع إبليس وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال : لعنه الله . قالوا : واللات كان اسماً لصخرة والعزى كان

(١) مجمع البيان ٣ : ٥٩ . (٢) مجمع البيان ٣ : ٦٦ .

(٣) مجمع البيان ٣ : ٨١ .

(٤) هكذا في المطبوع ، وفي نسخة : أناف بالنون ، والمصحح : « أشاف » بالسين ككتاب وسحاب صنم وضعها عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة و كان يذبح عليهما تجاه الكعبة ، وقيل : هما أشاف بن عمرو ونائلة بنت سهل كانا شخصين من جرهم ، فجرا في الكعبة فاستخاجا جرهم فمهدتهما قريش .

اسماً لشجرة إلا نقلوهما إلى الوثن وجعلوهما علماً عليهما ؛ وقيل : العزى تأنيث الأعر واللات تأنيث لفظة «الله» وقال الحسن : كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الأُنثى .

وثانيها : أن المراد : إلامواتاً ، عن ابن عباس والحسن وقتادة ، فالمعنى : ما يعبدون من دون الله إلا جهاذاً ومواتاً لا يعقل ولا ينطق ولا يضر ولا ينفع ، ^(١) فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم ، وسمّاها إناً لاعتقاد مشركي العرب الأُنوثة في كل ما اتضعت منزلته ، ولأن الإناث من كل جنس أرذله ؛ وقال الزجاج : لأن الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول : الأحجار تعجبني ، ويجوز أن يكون سمّاها إناً لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرتها .

وثالثها : أن المعنى : إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة « وإن يدعون إلا شيطناً مريداً » أي مارداً شديداً في كفره وعصيانه ، متمادياً في شره وطغيانه .

يُسأل عن هذا فيقال : كيف نفى في أوّل الكلام عبادتهم لغير الإناث ، ثم أثبت في آخره عبادتهم للشيطان ، فأثبت في الآخر ما نفيه في الأوّل ؟ أجاب الحسن عن هذا فقال : إنهم لم يعبدوا إلا الشيطان في الحقيقة ، لأن الأوثان كانت مواتاً مادعت أحداً إلى عبادتها ، بل الداعي إلى عبادتها الشيطان فأضيفت العبادة إليه ؛ وقال ابن عباس : كان في كل من أصنامهم شيطان يدعو المشركين إلى عبادتها فلذلك حسن إضافة العبادة إليهما ؛ وقيل : ليس في الآية إثبات المنفي ، بل ما يعبدون إلا الأوثان وإلا الشيطان « لا تمخذن من عبادك نصيباً مفروضاً » أي معلوماً ، وروي أن النبي ﷺ قال : في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة . وفي رواية أخرى : من كل ألف واحد لله وسائرهم للنار ولا بليس ، أوردهما أبو حمزة الثمالي في تفسيره « ولا تمّنينهم » يعني طول البقاء في الدنيا فيؤثرونها على الآخرة ؛ وقيل : أقول لهم : ليس وراءكم بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار فافعلوا ما شئتم ؛ وقيل : معناه :

(١) في المصدر : لا تعقل ولا تنطق ولا تنفع .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أبواب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٧٧

أَمْ يَنْبَغِيهِمْ بِالْأَهْوَاءِ الْبَاطِلَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَأُزَيْنَ لَهُمْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَزَهْرَاتِهَا «وَلَا مَرْنَتَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ» أَي لِيَشْتَقِقْنَ آذَانَهُمْ ؛ وَقِيلَ : لِيَقْطَعَنَّ الْأُذُنَ مِنْ أَصْلِهَا وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، وَهَذَا شَيْءٌ قَدْ كَانَ مُشْرَكُو الْعَرَبِ يَفْعَلُونَهُ يَجْعِدُونَ آذَانَ الْأَنْعَامِ ، وَيَقَالُ : كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِالْبَحِيرَةِ وَالسَّامِثَةِ «وَلَا مَرْنَتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ» أَي دِينَ اللَّهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ؛ وَقِيلَ : أَرَادَ مَعْنَى الْخِصَاءِ وَكَرِهُوا الْإِخْصَاءَ فِي الْبَهَائِمِ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ الْوَشْمُ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْحِجَارَةَ عَدَلُوا عَنِ الِاتِّفَاعِ بِهَا إِلَى عِبَادَتِهَا . (١)

وَفِي قَوْلِهِ : «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ» قِيلَ : تَفَاخَرُ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : نَبِيَّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ ، وَكِتَابُنَا قَبْلَ كِتَابِكُمْ ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : نَبِيِّنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَكِتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكِتَابِ ، وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ، فَزَلَّتِ الْآيَةُ ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : نَحْنُ وَأَنْتُمْ سَوَاءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا : «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فَفَلَحَ الْمُسْلِمُونَ ؛ وَقِيلَ : مَا قَالَتِ الْيَهُودُ : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، وَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ : لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى نَزَلَتْ . (٢)

وَفِي قَوْلِهِ : «يَسْمُوكَ أَهْلَ الْكِتَابِ» رَوَى أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ وَجَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَتْنَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ جَمْلَةً كَمَا أُوتِيَ مُوسَى بِالتَّوْرَةِ جَمْلَةً فَنَزَلَتْ ؛ وَقِيلَ : إِنَّهُمْ سَأَلُوا أَنْ يَنْزَلَ عَلَى رِجَالِهِمْ مِنْهُمْ بَأَعْيَانِهِمْ كِتَابًا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ فِيهِ بِتَصَدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ ؛ وَرَوَى أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ بِأَخْصَاصٍ لَهُمْ ؛ قَالَ الْحَسَنُ : إِنَّهُمْ سَأَلُوا ذَلِكَ لِلتَّعَنُّتِ وَالتَّحَكُّمِ فِي طَلَبِ الْمَعْجِزَةِ ، لِالظُّهْرِ الْحَقِّ ، وَلَوْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ اسْتِشْرَادًا لِاعْتِنَادِ الْأَعْطَاهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ . (٣)

وَفِي قَوْلِهِ : «فَبْظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَرَّ مَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ» أَيِ كَانَتْ حَالًا لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا فَعَلُوا مَا فَعَلُوا اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ تَحْرِيمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَهِيَ

(٢) مجمع البيان ٣ : ١١٤ .

(١) مجمع البيان ٣ : ١١٢ .

(٣) مجمع البيان ٣ : ١٣٣ .

هايين في قوله سبحانه : «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» الآية^(١).
وفي قوله تعالى : «يا أهل الكتاب» قيل : إنه خطاب لليهود والنصارى لأن النصارى
غلت في المسيح فقالوا : هو ابن الله ، وبعضهم قال : هو الله ، وبعضهم قال : هو ثالث ثلاثة :
الأب ، والابن ، وروح القدس ؛ واليهود غلت فيه حتى قالوا : ولد لغير رشدة ، فالغلو
لازم للفرقيين ؛ وقيل : للنصارى خاصة «ولا تقولوا ثلاثة» هذا خطاب للنصارى ، أي
لا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ؛ وقيل : هذا لا يصح لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهة ، ولكنهم
يقولون : إله واحد ثلاثة أقانيم : أب وابن وروح القدس ، ومعناه : لا تقولوا : الله ثلاثة ،
وقد شبهوا قولهم : جوهر واحد ثلاثة أقانيم بقولنا : سراج واحد ، ثم تقول : إنه ثلاثة
أشياء : دهن وقطن ونار ، وشمس واحدة وإنما هي جسم وضوء وشعاع ، وهذا غلط
بعيد ، لأننا لانعني بقولنا : سراج واحد أنه شيء واحد ، بل هو أشياء على الحقيقة ،
وكذلك الشمس ، كما تقول : عشرة واحدة ، وإنسان واحد ، ودار واحدة ، وإنما هي
أشياء متغايرة ؛ فإن قالوا : إن الله شيء واحد وإله واحد حقيقة فقولهم : ثلاثة
متناقضة ، وإن قالوا : إنه في الحقيقة أشياء كما ذكرناه فقد تركوا القول بالتوحيد
والتحقوا بالمشبهة ، وإلا فلا واسطة بين الأمرين انتهى^(٢).

وقال الرازي في تفسيره : المعنى : لا تقولوا : إن الله سبحانه واحد بالجواهر ثلاثة
بالأقانيم .

واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً ، والذي يتحصل منهم أنهم أثبتوا ذاتاً
موصوفاً بصفات ثلاثة ، إلا أنهم وإن سموها تلك الصفات بأنّها صفات فهي في الحقيقة
ذوات ، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم ، ولولا أنها ذوات قائمة
بأنفسها لما جوزوا عليها أن يحل في الغير وأن يفارق ذاتاً إلى أخرى ، فهم وإن كانوا
يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذاتاً متعددة قائمة بأنفسها ، وذلك
محض الكفر .

ثم قال : اختلفوا في تعيين المبتدأ لقوله : «ثلاثة» على أقوال : الأول : ما ذكرناه ،

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٢٩ -

أي ولا تقولوا : الأقانيم ثلاثة ؛ الثاني : قال الزجاج : ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة ، وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون : إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة ، والدليل عليه قوله تعالى : «أنت قلت للناس اتخذوني وأهلي إلهين من دون الله» ^(١) الثالث : قال الفراء : ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله : «سيقولون ثلاثة» ^(٢) وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين ؛ وبالجمله فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكةً وبعداً عن العقل من مذهب النصارى . ^(٣)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء» : أي بين اليهود والنصارى ؛ وقيل : المراد بين أصناف النصارى خاصة لأهوائهم المختلفة في الدين ، وذلك أن النسطورية ^(٤) قالت : إن عيسى ابن الله ، واليعقوبية : إن الله هو

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) الكهف : ٢٢ .

(٣) التفسير الكبير ٣ : ٣٤٦ .

(٤) النسطورية أو الناطرة : طائفة من المسيحيين ينتسبون إلى نسطور يوس بطريرك القسطنطينية المتولد في ٤٢٨ من الميلاد ، وقال الشهرستاني : هم أصحاب نسطور العكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الانجيل بحكم رأيه ، قال : إن الله تعالى واحد ذواقين ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحد الكلمة بجسد عيسى عليه السلام كاشراق الشمس في كوة اوعلى بلور ، او كظهور النقش في الغاتم ، و دعوا أن الابن لم يزل متولدا من الاب وانما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد ، و الحدث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إله و انسان اتحدا ، وهما جوهران اقنومان طبيعتان : جوهر قديم وجوهر محدث ، اله تام و انسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحيا واحدا ومشئة واحدة . واليعقوبية أو الباقية طائفة اخرى ينسبون إلى يعقوب البردعي اسقف الرها ، وقيل : انهم اهل مذهب ديستورس ؛ وقيل : غير ذلك ، قال الشهرستاني : انهم قالوا بالاقانيم الثلاثة ، إلا انهم قالوا انقلب الكلمة لحما و دما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو . الى آخر ما يطول ذكره . الملكانية أو الملكانية ، قال الشهرستاني : هم أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية ، قالوا : ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدعت بناسوته ، وصرحوا بأن الجوهر غير الاقانيم ، وذلك كالوصوف والصفة و عن هذا صرحوا باثبات الثلثية ، وقالوا : المسيح ناسوت كلى لاجزى ، وهو قديم اذلى من قديم اذلى ولقد ولدت مريم الها اذليا ، واقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت إله .

المسيح بن مريم ، و الملكانيّة و هم الروم قالوا : إنّ الله ثالث ثلاثة : الله ، و عيسى ، و مريم .^(١)

وفي قوله : «نحن أبناء الله» : قيل : إنّ اليهود قالوا : نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من أبيه ، و النصارى كما قالوا : المسيح ابن الله جعلوا نفوسهم أبناء الله وأحبّاهم لأنهم تأوّلوا ما في الإنجيل من قول المسيح : «أذهب إلى أبي وأبيكم» عن الحسن ؛ وقيل : إنّ جماعة من اليهود منهم : كعب بن الأشرف ، و كعب بن أسيد ، وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا للنبيّ الله حين حدّثهم بنقمة الله وعقوباته : لا نخوفنا فإنا أبناء الله وأحبّاءه ، وإن غضب علينا فما نلما يغضب كغضب الرجل على ولده ، يعني أنّه يزول عن قريب ، عن ابن عباس ؛ وقيل : إنّهم لما قال قوم : إنّ المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما تقول العرب : هذيل شعراء ، أي فيهم شعراء .^(٢)

وفي قوله : «قالت اليهود يد الله مغلولة» أي مقبوضة عن العطاء ، ممسكة عن الرزق فنسبوه إلى البخل ، عن ابن عباس وغيره ، قالوا : إنّ الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً ، وأخصبهم ناحية ، فلما عصوا الله في عهد ﷺ وكذبوه كفّ الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عازوراء : «يد الله مغلولة» ولم يقل : إلى عنقه . قال أهل المعاني : إنّما قال فنحاص ولم ينهه الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم الله في ذلك ، وقيل : معناه : يد الله مكفوفة عن عذابنا ، فليس يعدّ بنا إلّا بما يبرّ به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل ؛ وقيل : إنّهم استغفروا وتقديره : أيد الله مغلولة عنّا حيث قتر المعيشة علينا ؛ وقال أبو القاسم البلخي : يجوز أن يكون اليهود قالوا قولاً واعتقدوا مذهباً يؤدّي إلى أنّ الله تعالى يبخل في حال ، ويجود في حالة أخرى ، فحكى ذلك عنهم على وجه التعجيب منهم والتكذيب لهم ، ويجوز أن يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزاء من حيث لم يوسع على النبيّ ﷺ ، وليس ينبغي أن يتعجب من قوم يقولون لموسى : «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»^(٣) ويتخذون العجل

(١) مجمع البيان ٣ : ١٧٣ .

(٢) مجمع البيان ٣ : ١٧٧ ، وفيه : والنصارى لما قالوا للمسيح : ابن الله .

(٣) الاعراف : ١٣٧ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٨١ -

إلهاً أن يقولوا : إنَّ الله يبخل تارة ويجود أخرى ؛ وقال الحسن بن عليّ المغربيّ :
حدّثني بعض اليهود بمصر أن طائفة منهم قال ذلك .^(١)

أقول : قال الرازيّ : لعلمه كان فيهم من كان على مذهب الفلسفة ؛ وهو أن الله تعالى موجب لذاته وأنّ حدوث الحوادث عنه لا يمكن إلا على نهج واحد وسنن واحد وأنه تعالى غير قادر على إحداث الحوادث على غير الوجوه التي عليها يقع ، فعبروا عن عدم الاقتدار على التغيير والتبديل بغلّ اليد .^(٢)

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله : « غلّت أيديهم » : فيه أقوال : أحدها : أنّه على سبيل الإخبار ، أي غلّت أيديهم في جهنّم . وثانيها : أن يكون خرج مخرج الدعاء كما يقال : قاتله الله . وثالثها : أن معناه : جعلوا بخلاء وألزموا البخل فهم أبخل قوم ، فلم يملق يهودي أبداً غير لئيم بخيل .

« كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله » أي لحرب محمد ﷺ ، وفي هذا دلالة ومعجزة ، لأنّ الله أخبر فوافق خبره المخبر ، فقد كانت اليهود أشدّ أهل الحجاز بأساً ، وأمنهم داراً ، حتّى أن قريشاً تعتصد بهم ، والأوس و الخزرج تستبقي إلى مخالفتهم وتتكبّر بنصرتهم ، فأباد الله خضراءهم ، واستأصل شأفتهم ، واجتث أصلهم^(٣) فأجلى النبيّ ﷺ بني النضير وبني قينقاع ، وقتل بني قريظة ، وشرّد أهل خيبر ، وغلب على فديك ، ودان أهل وادي القرى ، فمحا الله سبحانه آثارهم صاعرين .^(٤)
وفي قوله : « لقد كفر الذين قالوا » هذا مذهب البعقويّة منهم لأنّهم قالوا إنّ الله تعالى اتّحد بالمسيح اتّحاد الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً .^(٥)

(١) مجمع البيان ٣ : ٢٢٠ ، وفيه : الحسين بن عليّ المغربي وهو الصحيح .

(٢) التفسير الكبير ٣ : ٤٢٤ .

(٣) أباد الله خضراءهم أي أذهب نعمتهم وخصبهم ، ويمكن أن يكون المعنى : أهلك الله معظمهم من خضراء القوم : معظمهم . واستأصل شأفتهم أي استأصلهم من أصلهم ، أو استأصل عداوتهم و أذاهم . اجتثه : قلعه من أصله .

(٤) مجمع البيان ٣ : ٢٢١ .

(٥) مجمع البيان ٣ : ٢٢٨ . الناسوت : الطليمة الإنسانية ، أصله الناس ، زيدت في آخره واو وتاء مبالغة كملكوت . واللاهوت : الألوهة ، وأصله : لاه بمعنى إله ، ويجوز أن يكون من لاه يليه بمعنى علا وارتفع .

وقال الرازي: في تفسير قول النصارى: «ثالث ثلاثة» طريقان: الأول: قول المفسرين وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة. والثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد ثلاثة أقانيم: أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالآب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر والماء باللبن، وزعمت أن الآب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد؛ واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا نرى في الدنيا مقالة أشدّ فساداً من مقالة النصارى. ^(١)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: «ترى كثيراً منهم» أي من اليهود «يتولّون الذين كفروا» يريد كفار مكة، يريد بذلك كعب بن الأشرف وأصحابه حين استحاشوا المشركين على رسول الله ﷺ كما أمر؛ وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: يتولّون الملوك الجبارين ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم. ^(٢)

وفي قوله تعالى: «ما جعل الله من بحيرة» يريد: ما حرّمها أهل الجاهلية، والبحيرة: هي الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً بحروا أذنّها ^(٣) و امتنعوا من ركوبها ونحرها، ولا تطرد من ماء، ولا تمنع من مرقى، فإذا لقيها المعين ^(٤) لم يركبها؛ وقيل: إنهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء جميعاً، وإن كانت أنثى شقّوا أذنّها فتلك البحيرة، ثم لا يجرّ لها وبر، ولا يذكر عليها اسم الله إن ذكّيت، ولا

(١) التفسير الكبير ٣: ٤٣٣، وفيه: وزعموا أن الآب إله.

(٢) مجمع البيان ٣: ٢٣٢، وفيه: «استحاشوا» بالميم وهو المصيح، أي طلبوا منهم الدماء والجيش.

(٣) أي شقوا أذنّها.

(٤) المعين: العاجز.

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم -٨٣-

حمل عليها ، وحرّم على النساء أن يذقن من لبنها شيئاً ، ولا أن ينتفعن بها ، وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصّة دون النساء حتّى تموت ، فإذا ماتت اشترك الرجال والنساء في أكلها ، عن ابن عباس ؛ وقيل : إنّ البحيرة بنت السائمة .

«ولاسائمة» وهي ما كانوا يسيّبونه ،^(١) فإنّ الرجل إذا نذر لقدم من سفر أو لبرء من علة أو ما أشبه ذلك فقال : ناقتي سائمة ، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأن لا تخلأ عن ماء ، ولا تمنع من مرعى ، عن الزجاج وعلقمة ؛ وقيل : هي التي تسيّب للأصنام^(٢) أي تعتق لها ، وكان الرجل يسيّب من ماله ما يشاء فيجيء به إلى السدنة^(٣) وهم خدعة آلهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل ونحو ذلك ، عن ابن عباس وابن مسعود ؛ وقيل : إنّ السائمة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سيّبت فلم يركبوها ، ولم يجزّوا وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقّ أذنّها ثم يخلّى سبيلها مع أمّها .

«ولا وصيلة» وهي في الغنم ، كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهم ، عن الزجاج ؛ وقيل : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كانت السابع جدياً ذبحوه لآلهم ، ولحمه للرجال دون النساء ، وإن كانت عناقاً استحيوها وكانت من عرض الغنم ، وإن ولدت في البطن السابع جدياً وعناقاً قالوا : إنّ الأخت وصلت أخاها فمحرّمة علينا^(٤) فحرمّا جميعاً ، وكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء ، عن ابن مسعود ومقاتل ؛ وقيل : الوصيلة : الشاة إذا أتأمت^(٥) عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة ، فقالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث ، عن محمد بن إسحاق .

(١) من سيّبت الدابة : تركتها واهملتها .

(٢) من سيّب الغلام : أهنته .

(٣) سدنة بفتحات : الخدم والحيّاب .

(٤) في التفسير المطبوع : فحرمته علينا .

(٥) أتأمت البراة : وضعت اثنتين في بطن واحد .

«ولاحام» وهو الذكر من الإبل ، كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قدحى ظهره ، فلا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ، ولا من مرعى ، عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ؛ وقيل : إنه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل : حى ظهره فلا يركب ، عن الفرّاء .

أعلم الله سبحانه أنه لم يجرّم من هذه الأشياء شيئاً ؛ وقال المفسّرون : روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن عمرو بن لحي بن قمعّة بن خندف كان قد ملك مكّة ، وكان أوّل من غيّر دين إسماعيل ، فاتخذ الأصنام ، ونصب الأوثان ، و بحر البحيرة ، وسيّب السّاقية ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، قال رسول الله ﷺ : فلقد رأيته في النار تؤذي أهل النار ريح قصبه ،^(١) و يروي : يجرّ قصبه في النار .^(٢) وفي قوله : « ولو نزلنا عليك كتاباً » نزلت في النضر بن الحارث و عبدالله بن أميّة و نوفل بن خويلد قالوا : يا محمد لن نؤمن لك حتّى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنتك رسوله « ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون » أي لما آمنوا به ، فاقتضت الحكمة استيصالهم وأن لا يمهلهم « ولو جعلناه ملكاً » أي الرسول ، أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة « لجعلناه رجلاً » لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته ، لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة إلا بعد التّجسّم بالأجسام الكثيفة « وللبسنا عليهم ما يلبسون » قال الزجاج : كانوا هم يلبسون على ضعفهم في أمر النبي ﷺ فيقولون : إننا هذا بشر مثلكم ، فقال : لو أنزلنا ملكاً فرأوهم الملك رجلاً لكان يلحقهم من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منهم ، وهذا احتجاج عليهم بأنّ الذي طلبوه لا يزيدهم بياناً ؛ وقيل : معناه : ولو أنزلنا ملكاً لما عرفوه إلا بالتفكّر وهم لا يتفكّرون ، فيبْقون في اللبس الذي كانوا فيه ، وأضاف اللبس إلى نفسه لأنّه يقع عند نزاله الملائكة .^(٣)

(١) في النهاية : فيه : رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار ، والقصب بالضم : العصى ، و جمعه أقصاب ؛ وقيل : القصب اسم للامعاء كلها ؛ وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الامعاء .

(٢) مجمع البيان ٣ : ٢٥٢ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٢٧٥-٢٧٧ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٨٥ -

وفي قوله : « قل أي شيء أكبر شهادة » قال الكلبي : أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : ما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك فيما تقول ، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ، فأرانا من يشهد أنك رسول الله ﷺ كما تزعم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .^(١)

وفي قوله : « ومن بلغ » في تفسير العياشي : قال أبو جعفر و أبو عبد الله عليهما السلام : معناه : ومن بلغ أن يكون إماماً من آل محمد ﷺ ، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ .^(٢)

وفي قوله : « كما يعرفون أبناءهم » قال أبو حمزة الثمالي : لما قدم النبي ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام : إن الله أنزل على نبيّه أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فكيف هذه المعرفة ؟ قال : نعرف نبي الله بالنعمة الذي نعمة الله إذا رأيناه فيكم ، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان ، وأيم الله الذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني ، فقال له : كيف ؟ قال عبد الله : عرفته بما نعمة الله لنا في كتابنا فأشهد أنه هو ، فأما ابني فأبني لا أدري ما أحدث أمه ، فقال : قد وفقت وصدقت وأصبحت .^(٣)

وفي قوله : « ومنهم من يستمع إليك » قيل : إن نفراً من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وأبوسفيان بن حرب والوليد بن مغيرة و عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وغيرهم جلسوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرء القرآن ، فقالوا للنضر : ما يقول محمد ؟ فقال : أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية . وأساطير الأولين أحاديثهم التي كانوا يسطرونها ؛ وقيل : معنى الأساطير الترهات والبسباس^(٤) مثل حديث رستم وإسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه .^(٥)

(١) مجمع البيان ٤ : ٢٨١ .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٢٨٢ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٢٨٢ .

(٤) الترهات بضم التاء وتشديد الراء جمع ترهة كقبرة وهي الاباطيل والاقاويل الغالية من الطاميل . البسباس : الاباطيل والكذب .

(٥) مجمع البيان ٤ : ٢٨٦ .

و في قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون » أي مايقولون إنك شاعرٌ
أو مجنون وأشباه ذلك « فإنهم لا يكذبونك » قرأ نافع والكسائي والأعشى عن أبي
بكر : « لا يكذبونك » بالتخفيف ، وهو قراءة علي عليه السلام و المروي عن الصادق عليه السلام ،
والباقون بفتح الكاف والتشديد . وفيه وجوه :

أحدها : لا يكذبونك بقلوبهم اعتقاداً ، وإن كانوا يظهررون بأفواههم التكذيب
عناداً ، وهو قول الأكثر ، ويشهد له ما رواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن
رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أباجهل فصافحه أبوجهل ، فقيل له في ذلك فقال : والله إنني لأعلم
أنه صادق ، ولكننا متى كننا تبعاً لعبد مناف ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال السدي :
التقى أخنس بن شريق وأبوجهل بن هشام فقال له : يا أبالحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وآله -
أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس هنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فقال أبوجهل :
ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ، ولكن إذا ذهب بنوقصي باللواء والحجابه
والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ ^(١)

وثانيها : أن المعنى : لا يكذبونك بحجة ، ولا يتمكنون من إبطال ما جئت به
ببرهان ويثبت عليه ما روي عن علي عليه السلام أنه كان يقرء « لا يكذبونك » ويقول : إن المراد
ببنا أنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقتك .

وثالثها : أن المراد : لا يصادفونك كاذباً كما تقول العرب : قاتلناكم فما أجبتناكم
أي ما أصبناكم جبناء ، ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف ، لأن أفعلت وفعلت
يجوزان في هذا الموضع ، وأفعلت هو الأصل فيه .

ورابعها : أن المراد : لا ينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به ، لأنك كنت عندهم
أميناً صدوقاً ، وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ، وروي أن
أباجهل قال للذي صلى الله عليه وآله : لاتتهمك ولا نكذبك ، ولكننا نتهم الذي جئت به و
نكذب به .

(١) و بهذا البيان السخيف صرفوا الخلافة عن أمير المؤمنين على عليه السلام إلى غيره ، حيث قالوا :
لا تجمع النبوة والخلافة في بيت واحد .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى الله على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٨٧ -

وخامسها : أن المراد : لا يكذبونك بل يكذبونني ، فإن تكذيبك راجع إليّ ولست مختصاً به ، لأنك رسول ، فمن ردّ عليك فقد ردّ عليّ .^(١)

و في قوله : « فان استطعت أن تبتغي » أي تطلب وتتخذ « نفقاً في الأرض » أي سرباً ومسكناً في جوف الأرض « أو سلماً » أي مصعداً « إلى السماء فتأتيهم بآية » أي حجة تلجئهم إلى الإيمان فافعل ؛ وقيل : فتأتيهم بآية أفضل ممّا آتيناهم به فافعل « إنسما يستجيب الذين يسمعون » أي يصغون إليك ويتفكرون في آياتك فإن لم يتفكروا ولم يستدلّ بالآيات بمنزلة من لم يسمع « والموتى يبعثهم الله » يريد : إن الذين لا يصغون إليك ولا يتدبرون بمنزلة الموتى فلا يجيبون إلى أن يبعثهم الله يوم القيامة .^(٢) « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه » أي ما اقترحوا عليه من مثل آيات الأولين كعصا موسى وناقطة نعوذ « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ما في إنزالها من وجوب الاستيصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها ، وما في الاقتصاد بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة .^(٣)

و في قوله : « هل يهلك إلا القوم الظالمون » أي الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض ، فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فإنسما يهلك محنة ، ويعوضه الله على ذلك أعواضاً كثيرة يصغر ذلك في جنبها .^(٤)

و في قوله : « هل يستوي الأعمى والبصير » أي العارف بالله سبحانه العالم بدينه ، والجاهل به و دينه ، فجعل الأعمى مثلاً للجاهل ، والبصير مثلاً للعارف بالله وبنبيّه ، و في تفسير أهل البيت عليهم السلام : هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم .^(٥) و في قوله : « الذين

(١) مجمع البيان ٤ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) في التفسير المطبوع : يريد : إن الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرأ عليهم وتبينه لهم من الآيات والعجج بمنزلة الموتى ، فكما استأنسح الموتى كلامك إلى أن يبعثهم فكذلك فأيس من هؤلاء أن تستجيبوا لك ، وتقديره : إننا يستجيب المؤمن السامع للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب إلى أن يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه إلى الإيمان . وكثيراً ما يختصر المصنف كلام المفسرين وينقل معناه .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٢٩٦ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٣٠٤ .

(٥) مجمع البيان ٤ : ٣٠٣ .

يخافون أن يحشروا إلى ربهم » يريد : المؤمنون يخافون القيامة وأهوالها ؛ وقيل : معناه : يعلمون ، وقال الصادق عليه السلام : أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربهم برغبتهم فيما عنده ، فإن القرآن شافع مشفع^(١) .

و في قوله : « ماتستعجلون به » قيل : معناه : الذي تطلبونه من العذاب كأن يقولون : يا محمد اتتنا بالذي تعدنا ؛ وقيل : هي الآيات التي اقترحوها عليه استعجلوه بها ، فأعلم الله سبحانه أن ذلك عنده^(٢) . وفي قوله : « من فوقكم » قيل : عنى به الصيحة والحجارة والطوفان والريح « أو من تحت أرجلكم » عنى به الخسف ؛ وقيل : « من فوقكم » أي من قبل كباركم « أو من تحت أرجلكم » من سفلكم ؛ وقيل : « من فوقكم » السلاطين الظلمة « ومن تحت أرجلكم » السبيد السوء ومن لاخير فيه وهو المروى عن أبي عبد الله عليه السلام « أو يلبسكم شيعاً » أي يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء لا تكونون شيعة واحدة ؛ وقيل : هو أن يكلمهم إلى أنفسهم ويخليهم من الطافه بذنوبهم السالفة ؛ وقيل : عنى به : يضرب بعضهم ببعض بما يلقيه بينهم من العداوة والعصية وهو المروى عن أبي عبد الله عليه السلام « و يذيق بعضهم بأس بعض » أي قتال بعض وحرب بعض ؛ وقيل : هو سوء الجوار ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

و في تفسير الكلبي : أنه لما نزلت هذه الآية قام النبي صلى الله عليه وآله فتوضأ وأسبغ وضوءه ، ثم قام وصلى فأحسن صلاته ، ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله تعالى سمع مقالتك ، وأنه قد أجارهم من خصلتين ، ولم يجرحهم من خصلتين : أجارهم من أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، ولم يجرحهم من الخصلتين الآخرين ، فقال صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل فما بقاء أممتي مع قتل بعضهم بعضاً ؟ فقام وعاد إلى الدعاء فنزل « ألم أحسب الناس » الآيتين^(٣) فقال : لا بد من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب ، لأن الوحي انقطع ، و بقي السيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٣١٠ .

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٠٤ .

(٣) العنكبوت ١ : ٢٠ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٨٩ -

وقال أبو جعفر عليه السلام : لما نزل « فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » قال المسلمون : كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام ، فأ نزل الله تعالى : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » أم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا .^(١)

و في قوله : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران » استهوته من قولهم : هوى من حالى : إذا تردى ، ويشبهه به الذي زل عن الطريق المستقيم ؛ وقيل : استغوته الغيلان في المهامه ؛^(٢) وقيل : دعت الشياطين إلى اتباع الهوى ؛ وقيل : أهلكته ؛ وقيل : ذهبت به « له أصحاب يدعونه إلى الهدى » أي إلى الطريق الواضح ، يقولون له : « اعتنا » ولا يقبل منهم ولا يصير إليهم لأنّه قد تحيّر لاستيلاء الشيطان عليه .^(٣)

و في قوله : « وما قدروا الله حقّ قدره » جاء رجل من اليهود يقال له : مالك بن الصيف^(٤) يخاصم النبي صلى الله عليه وآله ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أنّ الله سبحانه يبعث الحبر السمين ؟ - وكان سميناً - فغضب وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فقالوا له أصحابه : ويحك ولا موسى ؟ فنزلت الآية ، عن سعيد بن جبير ؛ وفي رواية أخرى عنه : إنّهما نزلت في الكفار أنكروا قدرة الله عليهم ، فمن أقر أنّ الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حقّ قدره ؛ وقيل : نزلت في مشركي قريش ، عن مجاهد ؛ وقيل : إنّ الرجل كان فنهصاص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة ، عن السدي ؛ وقيل : إنّ اليهود قالت : يا نجل أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : نعم ، قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فنزلت ، عن ابن عباس « تجعلونه قراطيس » أي كتباً وصحفاً متفرقة ، أو ذا قراطيس ، أي تودعونه إيساها « تبدونها وتخفون كثيراً » أي تبدون بعضها وتكتُمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات الرسول صلى الله عليه وآله والإشارة إليه « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » قيل : إنّه خطاب للمسلمين ؛ وقيل : هو

(١) مجمع البيان ٤ : ٣١٥ و ٣١٦ .

(٢) الحائق من الجبال : المنيف المرتفع لانبات فيه . المكان المشرف . المهامه جمع المهمة والمهمة : المفاضة البعيدة . البلد المقفر .

(٤) في المصدر : مالك بن الضيف .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٣١٩ .

خطابٌ لليهود ، أي علمتم التوراة فضيحتموه ، أو علمتم بالقرآن ما لم تعلموا « قل الله أي الله أنزل ذلك » ثم ذرهم في خوضهم « أي فيما خاضوا فيه من الباطل واللعب ، وهذا الأمر على التهديد ^(١) .

و في قوله : « وجعلوا لله شركاء الجن » أراد بالجن الملائكة لا يستأجرهم عن الأعين ؛ وقيل : إن قريشاً كانوا يقولون : إن الله صاهر الجن فحدث بينهم الملائكة ، فالمراد بالجن المعروف ؛ وقيل : أراد بالجن الشياطين ، لأنهم أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان « وخلقهم » الهاء والميم عائدة عليهم ، أي جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ، أو على الجن فالمعنى : والله خالق الجن فكيف يكونون شركاء ؟ ويجوز أن يكون المعنى : وخلق الجن والإنس جميعاً ؛ وقيل : إن المراد بالآية المجوس إذ قالوا : يزدان وأهرمن وهو الشيطان عندهم ، فنسبوا خلق المؤذيات والشرور والأشياء الضارة إلى أهرمن ، و مثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة « وخرقوا له بنين وبنات » أي اختلقوا وموهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إليه ، فإن المشركين قالوا : الملائكة بنات الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، واليهود قالوا : عزيز ابن الله « بغير علم » أي غير حجة ^(٢) .

و في قوله : « وليقولوا درست » ذلك يا محمد ، أي تعلمته من اليهود ، وهذه اللام لام الصيرورة ، أي أن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا : درست هو تلاوة الآيات ^(٣) . و في قوله : « وأقسموا بالله » قالت قريش : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب به الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت له ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدك ، فقال رسول الله ﷺ : أي شيء تحبون أن أتكم به ؟ قالوا : اجعل لنا الصفا ذهباً ، وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك : أحق ما تقول أم باطل ؟ وأرنا الملائكة يشهدون لك ، أو ائتنا بالله و الملائكة قبيلاً ؟ فقال رسول الله : فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقوني ؟ قالوا : نعم والله لئن

(٢) مجمع البيان ٤ : ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٣٣ .

(٣) > > ٤ : ٣٤٦ .

٩٦ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩١-

فعلت لتتبعنك أجمعين ، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا ، فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهباً ، فجاء جبرئيل عليه السلام فقال له : إن شئت أصبح الصفا ذهباً ، ولكن إن لم يصدقوا عذبهم ، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم ؛ فقال ﷺ : بل يتوب تائبهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، عن الكلبي وعبد بن كعب .
« جهد أيمانهم » أي مجتهدين مجتهدين مظهرين الوفاء به « إنما الآيات عند الله » أي هو مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم لأنزلها « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » أي في جهنم عقوبة لهم ، أو في الدنيا بالحيرة « وحشرنا » أي جمعنا « عليهم كل شيء » أي كل آية ؛ وقيل : أي كل ما سألوه « قبلاً » أي معاناة ومقابلة « إلا أن يشاء الله » أي أن يجبرهم على الإيمان وهو المروي عن أهل البيت عليه السلام .^(١)

و في قوله : « فلا تكونن من الممترين » أي من الشاكين في ذلك ، والخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة ؛ وقيل : الخطاب لغيره ، أي فلا تكن أيها الإنسان أو أيها السامع .^(٢) « وإن هم إلا يخرصون » أي ما هم إلا يكذبون ، أو لا يقولون عن علم ولكن عن خرز^(٣) و تخمين ؛ وقال ابن عباس : كانوا يدعون النبي ﷺ و المؤمنين إلى أكل الميتة ، ويقولون : أتناكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم ؛ فهذا إضلالهم .^(٤)

و في قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » يعني علماء الكافرين و رؤسائهم « ليجادلوكم » في استحلال الميتة كما مر ، وقال عكرمة : إن قوماً من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش - فكانوا^(٥) أوليائهم في الجاهلية - : إن محمدًا و أصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم ، فذلك إيهامهم إليهم ؛ وقال ابن عباس : هم إبليس وجنوده

(١) مجمع البيان ٤ : ٢٤٩ - ٢٥٩ .

(٢) > > ٤ : ٣٥٤ . والظاهر أنه سقط بعد ذلك قوله : وفي قوله تعالى .

(٣) هكذا في المطبوع ، وفي النسخة المخطوطة : خرز ، وفي المصدر : خرص وهو الصحيح .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٣٥٦ . (٥) في المصدر : وكان

ليوحون إلى أوليائهم من الإنس باللقاء الوسوسة في قلوبهم^(١).
وفي قوله : « وهذا لشركائنا » يعني الأوثان ، وإنما جعل الأوثان شركاءهم
لأنهم جعلوا لها نصيباً من أموالهم .

« فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله » فيه أقوال : أحدها : أنهم كانوا يزرعون
لله زرعاً وللأصنام زرعاً ، فكان إذا زكا الزرع الذي زرعه لله ولم يزك الزرع الذي
زرعه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه إليها ، ويقولون : إن الله غني والأصنام
أحوج ، وإن زكا الزرع الذي جعلوه للأصنام ولم يزك الزرع الذي زرعه لله لم
يجعلوا منه شيئاً لله تعالى ، وقالوا : هو غني ، وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه
لله وبعضه للأصنام ، فما كان لله أطعموه الضيفان ، وما كان للصنم أنفق على الصنم .
وثانيها : أنه إذا كان اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله تعالى ردّوه ، وإذا
اختلط ما جعل لله بما جعل للأصنام تركوه ، وقالوا : الله أغني ، وإذا تخرق الماء من
الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه ، وإذا تخرق من الذي للأصنام في الذي لله
سدّوه ، وقالوا : الله أغني ، عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام .
وثالثها : أنه إذا هلك ما جعل للأصنام بدّلوه ممّا جعل لله ، وإذا هلك ما جعل
لله لم يبدّلوه ممّا جعل للأصنام^(٢) .

وفي قوله : « قتل أولادهم شركائهم » يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات
ووأدهن^(٣) أحياء خيفة العيلة والفقر والعار ؛ وقيل : كان السبب في تزوين قتل البنات
أن النعمان بن المنذر أغار على قوم فسمي نساءهم ، وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ،
ثم اصطلحوها فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فأبى عنها من سبها ،
فحلف قيس لا تولد له بنت إلا وأدها ، فصار ذلك سنة فيما بينهم^(٤) .

قوله : « حجر » أي حرام ، عني بذلك الأتعام والزرع اللذين جعلوهما لآلهتهم
وأوثانهم « لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم » أي لا يأكلها إلا من نشاء أن يأذن له في

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٧٠ .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٣٧١ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٣٥٨ .

(٤) وأد البنات : دفنها في التراب حياً .

٩٦ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩٣ -

أكلها ، وأعلم سبحانه أن هذا التحريم زعم منهم لاحجّة لهم فيه ، وكانوا لا يحلون ذلك إلا لمن قام بخدمة أصنامهم من الرجال دون النساء « وأنعام حرّمت ظهورها » أي الركوب عليها ، وهي السائبة والبحيرة والحمام « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » قيل : كانت لهم من أنعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها ؛ وقيل : إنهم كانوا لا يحجّون عليها ؛ وقيل : هي التي إذا ذكّوها أهّلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها « افتراء عليه » لأنهم كانوا يقولون : إن الله أمرهم بذلك « وقالوا ما في بطون هذه الأنعام » يعني ألبان البحائر والسيّب ، عن ابن عباس وغيره ؛ وقيل : يعني أجنّة البحائر والسيّب ما ولد منها حيّاً فهو خالص للذكور دون النساء ، وما ولدت ميتاً أكله الرجال والنساء ؛ وقيل : المراد به كلاهما « وعزّمت على أزواجنا أي إنائنا . (١)

وفي قوله : « فإن شهدوا فلا تشهد معهم » معناه : فإن لم يجدوا شاهداً يشهد لهم على تحرّيمها غيرهم فشهدوا بأنفسهم فلا تشهد أنت معهم . (٢)
قوله : « على طائفتين من قبلنا أي اليهود والنصارى » وإن كنّا عن دراستهم لغافلين « أي إننا كنّا غافلين عن تلاوة كتبهم . (٣)

وفي قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » قرأ سورة القصص : « فارقوا » وهو المروي عن عليّ عليه السلام .

واختلف في المعنيين بهذه الآية على أقوال : أحدها : أنهم الكفار وأصناف المشركين ، ونسختها آية السيف ؛ وثانيها : أنهم اليهود والنصارى لأنهم يكفّر بعضهم بعضاً . وثالثها : أنهم أهل الضلالة وأصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة ، رواه أبوهريرة وعائشة وهو المروي عن الباقر عليه السلام : جعلوا دين الله أدياناً لا كفار بعضهم بعضاً ؛ وصاروا أحزاباً و فرقاً « است منهم في شيء » هذا خطاب للنبي عليه السلام وإعلام له أنه ليس منهم في شيء ، وأنه على المباحدة التامة من أن يجتمع معهم في

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣ . (٢) مجمع البيان : ٣٨١ .

(٣) > > > : ٣٨٢ .

معنى من مذهبهم الفاسدة ؛ وقيل : أي لست من مخالطتهم في شيء ؛ وقيل : لست من قتالهم في شيء ، فنسختها آية القتال .^(١)

وفي قوله تعالى : « فلا يكن في صدرك حرج منه » فيه أقوال : أحدها : أن معنى الحرج : الضيق ، أي لا يضيق صدرك لتشعب الفكر ، خوفاً من أن لا تقوم بتبليغ ما أنزل إليك حق القيام ، فليس عليك أكثر من الإذاز .

وثانيها : أن معنى الحرج الشك ، أي لا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه .

و ثالثها : أن معناه : فلا يضيّق صدرك من قومك أن يكذبوك و يجبهوك (يجهموك خل) بالسوء^(٢) فيما أنزل إليك ، وقد روي أن الله تعالى لما أنزل القرآن على رسول الله قال : إني أخشى أن يكذب بني الناس ويبلغوا رأسي^(٣) فيتركوه كالخبزة فأزال الله تعالى الخوف عنه بهذه الآية .^(٤)

وفي قوله تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة » كني به عن المشركين الذين كانوا يبذون سبوا آتهم في طوافهم ، فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون : نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ، ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب ؛ وهم الحمس .^(٥) قال الفرّاء كانوا يعملون شيئاً من سيور مقطّعة يشدّونه على حقويهم يسمّون حوفاً ، وإن عمل من صوف سمّوا رهطاً ، وكان تضع المرأة على قبلها النسعة^(٦) فتقول :

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٢) جبهه بالسوء : استقبله به .

(٣) تلغ رأسه : شدّه أي كسره ، قال العزري في النهاية : فيه : إذا تملّغوا رأسى كما تملّغ الخبزة ، التلغ : الشدخ ، وقيل : ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى يتشدخ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٣٩٥ .

(٥) الحمس جمع الاحمس ، وهم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس و من تابعهم في الجاهلية ، فسموا حمساً لانهم تحمّسوا في دينهم أي تشددوا ، أولادناهم بالحمس ، وهي الكعبة .

(٦) السيور جمع السير : قدة من الجلد مستطيلة . الحوف : جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الصبيان أو نقبة من ادم تقد سيورا . النسع : سير أو حبل عريض تشد به الرجال ، والقطعة منه : النسعة .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩٥ -

اليوم يبد وبعضه أوكله ✽ وما بدا منه فلا حلّه

تعني الفرج ، لأن ذلك لا يستر سترًا تامًا

وفي قوله : « في أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم » أي في أصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعت لها أسماء سمّيتموها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء ؛ و قيل : معناه : سمّيتهم لبعضها أنه يستقيم المطر ، والآخرة أنه يأتيهم بالرزق ، والآخرة أنه يشفي المرضى ، والآخرة أنه يصحبهم في السفر « ما نزل الله بها من سلطان » أي حجة وبرهان « فانتظروا » عذاب الله فإنه نازل بكم .^(١)

وفي قوله : « وكلماته » أي الكتب المتقدمة والقرآن والوحي .^(٢) وفي قوله : « أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » معناه : أولم يتفكروا هؤلاء الكفار المكذّبون بمحمد ﷺ فيعلموا أنه ليس بمجنون ، إذ ليس في أقواله وأحواله ما يدل على الجنون ، ثم ابتدأ بالكلام فقال : « ما بصاحبهم من جنة » أي ليس به جنون ، وذلك أن رسول الله ﷺ صعد الصفا وكان يدعو قريشاً فخذاً فخذاً^(٣) إلى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله ، فقال المشركون : إن صاحبهم قدجن ، بات ليلاً يصوت إلى الصباح ، فنزلت .^(٤)

وفي قوله تعالى : « قل ادعوا شركاءكم » معناه أن معبودي ينصروني ويدفع كيد الكائدين عني ، ومعبودكم لا يقدر على نصركم ، فإن قدرتم لي على ضرر فاجتمعوا أنتم مع أصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والإضرار ، فإن معبودي

(١) مجمع البيان ٤ : ٤٣٧ و ٤٣٨ ، وفيه : ولاخر انه يأتيهم بالرزق ، ولاخر انه يشفي المرضى ولاخر انه يصحبهم في السفر .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٤٨٨ .

(٣) فخذاً فخذاً أي حياً ، قال الجزري في النهاية : لما نزلت : « وادع شركاءك الاقرين » بات يفخذ عشيرته ، أي يناديهم فخذاً فخذاً وهم أقرب العشيرة إليه ، وقد تكرر ذكر الفخذ في العديد وأول العشيرة الشعب ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٥٠٤ - ٥٠٥ ، وفيه : أولم يتفكروا هؤلاء المكذّبون بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وبنبوتهم في أقواله وأفعاله فيعلموا أنه .

يدفع كيدكم عني « وإن تدعوهم » أي الأصنام أو المشركين « خذ العفو » أي ما عفا وفضل من أموالهم ، أو العفو من أخلاق الناس وأقبل الميسور منها ؛ وقيل : هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالإساءة « وأمر بالعرف » أي بالمعروف « وأعرض عن الجاهلين » أي أعرض عنهم عند قيام الحجّة عليهم والأيّاس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه .

ولا يقال : هي منسوخة بآية القتال ، لأنّها عامّةٌ خصّ عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل . قال ابن زيد : لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : كيف ياربّ والغضب ؟ فنزل ^(١) . قوله : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ » أي إن نالك من الشيطان وسوسة و نخسة في القلب أو عرض لك من الشيطان عارض ^(٢) .

وفي قوله : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتهم » أي إذا جئتهم بآية كذبوا بها وإذا أبطأت عنهم يقترحونها ويقولون : هلا جئتنا من قبل نفسك ، فليس كل ما نقوله وحياً من السماء ؛ وقيل : إذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا : هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها ^(٣) .

وفي قوله : « كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » السماع هنا بمعنى القبول وهؤلاء هم المنافقون ؛ ^(٤) وقيل : هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنضير ؛ وقيل : إنهم مشركو العرب ، لأنهم قالوا : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا « إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون » يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرّون به فكأنهم صمّ بكم لا يعقلون كالذباب قال الباقر عليه السلام : نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له : سوبيط ^(٥) .

(١) مجمع البيان ٤ : ٥١١ و ٥١٢ . (٢) مجمع البيان ٤ : ٥١٣ .

(٣) » ٤ : ٥١٤ .

(٤) في المصدر : وهؤلاء الكفار هم المنافقون .

(٥) مجمع البيان ٤ : ٥٣٢ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩٧-

وفي قوله : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بمثله عداوة وعناداً ؛ وقيل : إنما قالوا ذلك قبل ظهور عجزهم وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كعدة ، وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ ، وعقبة بن أبي معيط وقتله أيضاً يوم بدر « وإذ قالوا اللهم القائل لذلك النضر بن الحارث أيضاً ؛ وقيل : أبو جهل .^(١) وفي قوله : « إلا مكاءً وتصديةً » المكاء : الصفير ، والتصدية : ضرب اليد على اليد ، قال ابن عباس : كانت قریش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون ، وصلاتهم معناه : دعاؤهم أى يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح ؛ وقيل : أراد : ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب ؛ وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ، ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما ، فيخلطان عليه صلاته ، فقتلهم الله جميعاً ببدر ، ولهم يقول ولبقية بني عبد الدار : « فذوقوا العذاب » يعني عذاب السيف يوم بدر ؛ وقيل : عذاب الآخرة .^(٢)

وفي قوله تعالى : « فقد مضت سنة الأولين » أي في نصر المؤمنين و كبت أعداء الدين .^(٣) وفي قوله : « وقالت اليهود عزيز ابن الله » قال ابن عباس : القائل لذلك جماعة منهم جاؤوا إلى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك ؛ وقيل : إنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقضوا ، وإن عزيزاً أملى التوراة من ظهر قلبه علمه جبرئيل ﷺ فقالوا : إنه ابن الله ، إلا أن الله أضاف ذلك إلى جميعهم وإن كانوا لا يقولون ذلك اليوم ، كما يقال : إن الخوارج يقولون بتعذيب أطفال المشركين ، وإنما يقوله الأزارقة منهم خاصة ، ويدل على أن هذا مذهب اليهود أنهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ « يضاؤون قول الذين كفروا » أي عباد الأصنام في عبادتهم لها ، أو في عبادتهم للملائكة ، وقولهم : إنهم بنات الله « اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » روي عن أبي جعفر و أبي عبد الله ﷺ أنهما قالا : أما والله ما

(١) مجمع البيان ٤ : ٥٣٨ - ٥٣٩ . (٢) مجمع البيان ٤ : ٥٤٠ .

(٣) > ٤ : ٥٤٢ .

صاموا لهم ولا صلوا لهم ، ولكنهم أحلوا لهم حراماً ، وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون . و روى الثعلبيّ بإسناده عن عديّ بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : يا عديّ أطرح هذا الوثن من عنقك ، قال : فطرحتّه و انتهيت إليه وهو يقرء هذه الآية حتّى فرغ منها ، فقلت له : إنّنا لسنا نعبدهم ، فقال : أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه ؟ قال : فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم .^(١)

وفي قوله : « إنّما النسيء زيادة في الكفر » يعني تأخير الأشهر الحرم عمداً تبعها الله سبحانه عليه ، وكانت العرب تحرّم الأشهر الأربعة ، وذلك ممّا تمسّكت به من ملّة إبراهيم وإسماعيل ، وهم كانوا أصحاب غارات وحروب ، فربّما كان يشقّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها ،^(٢) فكانوا يؤخّرون تحرّيم المحرّم إلى صفر فيحرّمونه ويستحلّون المحرّم فيمكثون بذلك زماناً ، ثمّ يزول التحريم إلى المحرّم^(٣) ولا يفعلون ذلك إلّا في ذي الحجة وقال ابن عباس : معنى قوله : « زيادة في الكفر » أنّهم كانوا أحلّوا ما حرّم الله وحرّموا ما أحلّ الله ، قال الفرّاء : و الذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن تغلبة وكان رئيس الموسم ، فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أخاب ، ولا يردّ لي قضاء ، فيقولون : نعم صدقت أنسنا شهراً و آخر عنا حرمة المحرّم واجعلها في صفر وأحلّ المحرّم ، فيفعل ذلك ، والذي كان ينسؤها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أميّة الكنانيّ ؛ قال ابن عباس : وأوّل من سنّ النسيء عمرو بن لحيّ بن قمعّة بن خندف ؛ و قال أبو مسلم : بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس ؛ و قال مجاهد : كان المشركون يحجّون في كلّ شهر عامين فحجّوا في ذي الحجة عامين ، ثمّ حجّوا في المحرّم عامين ، ثمّ حجّوا في صفر عامين ، و كذلك في الشهور حتّى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ، ثمّ حجّ النبيّ

(١) مجمع البيان ٥ : ٢٣ .

(٢) أغار عليهم : هجم وأوقع بهم . وفي التفسير المطبوع : لا يفرون فيها .

(٣) في التفسير المطبوع : ثم يؤول التحريم إلى المحرّم .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ٩٩ -

صلى الله عليه وآله في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة ، فذلك حين قال النبي ﷺ في خطبته : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذوالقعدة و ذو الحجة والمحرم ، و رجب مفطر الذي ^(١) بين جمادى وشعبان » و أراد ﷺ بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها و أعاد الحج إلى ذي الحجة و بطل النسب ، « ليواطؤا عدة ما حرم الله » أي إنهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال ، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام ليكون موافقة في العدد ^(٢).

و في قوله : « أنهم يفتنون » أي يمتحنون « في كل عام مرة أو مرتين » بالأمراض والأوجاع ، أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ ، وما يرون من نصرة الله رسوله ، وما ينال أعداءه من القتل والسبي ؛ وقيل : بالقحط والجوع ؛ وقيل : بهتك أستاذهم وما يظهر من خبث سرائرهم « وإذا ما أنزلت سورة » أي من القرآن وهم حضور مع النبي ﷺ كرهوا ما يسمعون ، و « نظر بعضهم إلى بعض » نظراً يؤمون به : « هل يراكم من أحد » وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بهم ، فكأنهم يقول بعضهم لبعض : هل يراكم من أحد ؟ ثم يقومون فينصرفون ، وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم ، وكانوا لا يقولون ذلك بالسنتهم ولكن ينظرون نظرة من يقول لغيره ذلك ؛ وقيل : إن المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ، ثم يقولون : هل يرانا أحد من المسلمين ؟ فإذا تحقق لهم أنه لا يراهم أحد من المسلمين بالغوا فيه ، وإن علموا أنه يراهم واحد كفوا عنه « ثم انصرفوا » عن المجلس ، أو عن الإيمان « صرف الله قلوبهم » عن رحمة و ثوابه ؛ وقيل : إنه دعاء عليهم ^(٣).

(١) هكذا في المطبوع ، وفي نسخة منغلطة : و رجب مضر الذي . و في التفسير المطبوع : و رجب الذي .

(٢) مجمع البيان ٥ : ٢٩٠ .

(٣) مجمع البيان ٥ : ٨٥ - ٨٦ .

وفي قوله : « قال الذين لا يرجون لقاءنا » أي لا يؤمنون بالبعث والنشور « ائت بقرآن غير هذا » الذي تتلوه علينا « أو بدله » فاجعله على خلاف ما تقرؤه ، و الفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه ، و تبديله لا يكون إلا برفعه ؛ وقيل : معنى قوله : « بدله » غير أحكامه من الحلال والحرام ، أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم و سقوط الأمر منهم وأن يخلى بينهم وبين ما يريدون « ولا أدريكم به » أي ولا أعلمكم الله به بأن لا ينزله عليّ « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله » أي أقمت بينكم دهرأ طويلاً من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم ولا ادعيت نبوة حتى أكرمني الله به « و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا : إنما نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله ، وإن الله أذن لنا في عبادتها ، وأنه سيشفعها فينا في الآخرة ؛ و توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة ، فجمعوا بين قبيح القول و قبيح الفعل و قبيح التوهم ؛ وقيل : معناه : هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشنا ، عن الحسن ، قال : لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث بدلالة قوله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » .^(١) « قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض » أي تخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام و كونها شافعة ، لأن ذلك لو كان صحيحاً لكان تعالى به عالماً ، ففي نفي علمه بذلك نفي المعلوم .^(٢)

وفي قوله تعالى : « فيقولون الله » فيها دلالة على أنهم كانوا يقرّون بالخالق وإن كانوا مشركين ، فإن جمهور العقلاء يقرّون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ، و من أقرّ بالصانع على هذا صنفان : موحد يعتقد أن الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ، و مشرك وهم ضربان : فضرب جعلوا لله شريكاً في ملكه يضادّه وينافيه وهم الثنوية والمجوس ؛ ثم اختلفوا فمنهم من يثبت لله شريكاً قديماً كالمانوية ، ومنهم من يثبت لله شريكاً محدثاً كالمجوس ، و ضرب آخر لا يجعل لله شريكاً في حكمه

(١) النحل : ٣٨ .

(٢) مجمع البيان ٥ : ٩٧ - ٩٨ .

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٠١ -

و ملكه ، ولكن يجعل له شريكاً في العبادة يكون متوسطاً بينه و بين الصانع وهم أصحاب المتوسطات ، ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسائط من الأجرام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ، ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأنصام ونحوها ، تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علواً كبيراً .^(١)

و في قوله تعالى : « أم من لا يهدي إلا أن يهدي » الأنصام لا تهدي ولا تهدي أحداً و إن هديت ، لا أنها موات من حجارة و نحوها ، ولكن الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت لأنهم لما اتخذوها آلهة عبّر عنها كما يعبر عن من يعقل و وصفت بصفة من يعقل و إن لم تكن في الحقيقة كذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (٢) « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » و قوله : « فادعهم فليستجيبوا لكم ألهم أرجل يمشون بها » الآية وكذا قوله : « إن تدعهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم ؛ و قيل : المراد بذلك الملائكة والجن ؛ وقيل : الرؤساء والمضللون الذين يدعون إلى الكفر ؛ وقيل : إن المعنى في قوله : « لا يهدي إلا أن يهدي » لا يتحرك إلا أن يحرك « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » أي بما لم يعلموه من جميع وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج إلى الفكر فيه ، أو الرجوع إلى الرسول في معرفة مراده مثل التشابه ، فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظواهره كذبوا به ؛ وقيل : أي لم يحيطوا بكيفية نظمهم وترتيبهم ، وهذا كما أن الناس يعرفون ألفاظ الشعر والخطب ومعانيها وما يمكنهم إبداعها لجهلهم بنظمها وترتيبها ؛ وقال الحسن : معناه : بل كذبوا بالقرآن من غير علم ببطلانه ؛ وقيل : معناه : بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار و البعث والنشور والثواب والعقاب .^(٣)

و في قوله : « ماذا يستجعل منه المجرمون » هذا الاستفهام عناء التفطيع والتهويل كما يقول الإنسان لمن هو في أمر يستوخم عاقبته : ماذا تجني على نفسك ؟ و قال

(١) مجمع البيان ٥ : ١٠٧ .

(٢) في التفسير المطبوع : ألا ترى إلى قوله سبحانه : « و يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون » وقوله : « إن الذين تدعون » إه .

(٣) مجمع البيان ٥ : ١٠٩ - ١١٠ .

أبو جعفر الباقر عليه السلام : يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة أهل القبلة في آخر الزمان . « أنتم إذا ما وقع آمنتم به » هذا استفهام إنكار وتقديره : أحيان وقع بكم العذاب المقدّر الموقوت آمنتم به أي بالله أو بالقرآن أو بالعذاب الذي كنتم تنكرونه ؟ فيقال لكم : الآن تؤمنون به « وقد كنتم به » أي بالعذاب « تستعجلون » من قبله . ستهزئين ^(١) وفي قوله : « قل بفضل الله وبرحمته » قيل : فضل الله الإسلام ورحمته القرآن ؛ وقيل : بالعكس ؛ وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام : فضل الله رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمته علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وروى ذلك الكليني عن أبي صالح عن ابن عباس ^(٢) .

وفي قوله : « فجعلتم منه حراماً وحلالاً » يعني ماحرّموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وأمثالها . ^(٣)

وفي قوله : « ولا يحزنك قولهم » أي أقوالهم الموضّية كقولهم : إنك ساحر أو مجنون « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء » يحتمل (ما) ههنا وجهين : أحدهما أن يكون بمعنى أي شيء ، تفصيلاً لفعلهم ؛ والآخر أن يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ، ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون بمعنى الذي ويكون منصوباً بالعطف على (من) و يكون التقدير : والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء . ^(٤)

وفي قوله : « وما أنا عليكم بوكيل » أي ما أنا بحفيظ لكم عن الإهلاك إذا لم تنظروا أنتم لأنفسكم ، والمعنى أنه ليس عليّ إلاّ البلاغ ولا يلزم مني أن أجعلكم مهتدين وأن أنجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع أن يحفظه من الضرر . ^(٥)

وفي قوله : « يمتنعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » يعني يمتنعكم في الدنيا بالنعمة السابغة في الخفض والدعة والأمن والسعة إلى الوقت الذي قدّر لكم أجل الموت فيه « ويؤت كل ذي فضل فضله » أي ذي إفضال على غيره بمال أو كلام أو عمل جزاء إفضاله أو كل ذي عمل صالح نوابه على قدر عمله « ألا إنهم يثنون

(١) مجمع البيان ٥ : ١١٥ .

(٢) مجمع البيان ٥ : ١١٧ .

(٣) > > > ١١٨ : .

(٤) > > > ١٢٠ : ١٢١ .

(٥) > > > ١٤٠ : .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أبواب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٠٣ -

صدورهم « قيل : نزلت في الأخنس بن شريق و كان حلو الكلام يلتقى رسول الله صلى الله عليه وآله بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره ، عن ابن عباس ؛ و روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : أخبرني جابر بن عبد الله أن المشركين إذا مروا برسول الله عليه السلام طأطأ أحداهم رأسه وظهره هكذا - وغطى رأسه بثوبه - حتى لا يراه رسول الله فأنزل الله تعالى هذه الآية . « ألا إنهم » يعني الكفار والمنافقين « يثنون صدورهم » أي يطوونها على ما هم عليه من الكفر ، عن الحسن ؛ وقيل : معناه : يخفون صدورهم ^(١) لكيلا يسمعو كتاب الله و ذكره ؛ وقيل : يثنونها على عداوة النبي عليه السلام ؛ وقيل : إنهم كانوا إذا قعدوا مجلساً على معاداة النبي عليه السلام والسعي في أمره بالفساد انضم بعضهم إلى بعض ونسى بعضهم صدره إلى صدر بعض يتناجون « ليستخفوا منه » أي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الأخير ، وعلى الأقوال الأخر : ليستروا ذلك عن النبي عليه السلام « الأحيان يستغشون ثيابهم » أي يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي عليه السلام و على المؤمنين ويكتمونه ؛ وقيل : كنسى باستغشاء ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته . ^(٢) و في قوله : « إلى أمة معدودة » أي إلى أجل مسمى و وقت معلوم ، عن ابن عباس و مجاهد ؛ وقيل : أي إلى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح ؛ وقيل : إن الأمة المعدودة هم أصحاب المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان ، ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً كعدة أهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزح الخريف ، ^(٣) وهو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام . ^(٤)

و في قوله : « فلعلك تارك » روي عن ابن عباس أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله عليه السلام فقالوا : يا محمد إن كنت رسولاً فحول لنا جبال مكة ذهباً ، أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة ، فأنزل الله تعالى : « فلعلك تارك » الآية ، و روى العياشي

(١) في التفسير المطبوع : يخفون صدورهم . (٢) مجمع البيان ٥ : ١٤٣ .

(٣) في النهاية : قزعة : قطعة من القيم وجمعها : قزح ؛ ومنه حديث علي عليه السلام : فيجتمعون إليه كما يجتمع قزح الخريف . أي قطع السحاب المتفرق ، وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق ، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك .

(٤) مجمع البيان ٥ : ١٤٤ .

باِسْناده عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام : إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُوَاحِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَفَعَلَ ، فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَكَ وَصِيِّي فَفَعَلَ ؛ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : وَاللَّهِ لَصَاعٌ مِنْ تَمَرٍ فِي شَنْ بَالٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا سَأَلَ تَحَدَّ رَبَّهُ ، فَهَلَّا سَأَلَهُ مُلْكًا يَعْضُدُهُ عَلَى عَدُوِّهِ ؟ أَوْ كَنْزًا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى فِاقَتِهِ ؟ ؛ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ « فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ » وَهُوَ مَا فِيهِ سَبٌّ آلِهِمْ فَلَا تَبْلُغُهُمْ إِيَّاهُ خَوْفًا مِنْهُمْ « وَضَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ » أَيِ وَلَعَلَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ وَبِمَا يَلْحَقُكَ مِنْ أَذَاهُمْ وَتَكْذِيبِهِمْ ؛ وَقِيلَ : بِاقْتِرَاحَاتِهِمْ « أَنْ يَقُولُوا » أَيِ كِرَاهَاةٍ أَوْ مَخَافَةٍ أَنْ يَقُولُوا « لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ » مِنَ الْمَالِ « أَوْ جَاءَ مَعَهُ مُلْكٌ » يَشْهَدُ لَهُ ، وَلَيْسَ قَوْلُهُ : « فَلَعَلَّكَ » عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ عَنْ تَرْكِ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ كَمَا يَقُولُ أَحَدُنَا لِغَيْرِهِ وَقَدْ عَلِمَ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَطِيعُهُ وَلا يَعْصِيهِ وَيَدْعُوهُ غَيْرُهُ إِلَى عَصْيَانِهِ : لَعَلَّكَ تَتْرَكَ بَعْضُ مَا آمَرَكَ بِهِ لِقَوْلِ فُلَانٍ ، وَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ لِيُؤَنِّسَ مِنْ يَدْعُوهُ إِلَى تَرْكِ أَمْرِهِ .

« قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَقْتَرِيَاتٍ » أَيِ إِنْ كَانَ هَذَا مَقْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَمَا زَعَمْتُمْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ فِي النِّظْمِ وَالْفَصَاحَةِ ، مَقْتَرِيَاتٍ عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِكُمْ ، وَقَدْ نَشَأَتْ أَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْكُمْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي التَّحْدِي ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جِهَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهَا هِيَ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ فِي هَذَا النِّظْمِ الْمَخْصُوصِ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ جِهَةً الْإِعْجَازِ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا قَنَعَ فِي الْمَعَارِضَةِ بِالْإِفْتِرَاءِ وَالِاخْتِلَاقِ ، لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ ، فَأَعْلَى طَبَقَاتِهَا مَعْجِزٌ ، وَأَدْنَاهَا وَ أَوْسَطُهَا مُمْكِنٌ ، فَالتَّحْدِي فِي الْآيَةِ إِنَّمَا وَقَعَ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنْهَا ، وَلَوْ كَانَ وَجْهُ الْإِعْجَازِ الصَّرْفَةُ لَكَانَ الرُّكْبَانُ مِنَ الْكَلَامِ أَبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ ، وَالْمِثْلُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مِثْلُهُ فِي الْجِنْسِ ، لِأَنَّ مِثْلَهُ فِي الْجِنْسِ يَكُونُ حِكَايَتَهُ فَلَا يَقَعُ بِهَا التَّحْدِي ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ مُتَعَارَفٌ بَيْنَ الْعَرَبِ فِي تَحْدِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا اشْتَهَرَ مِنْ مَنَاقِضَاتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَعَلَقَمَةَ وَعُمَرُ بْنُ كُلْثُومٍ وَالْحَارِثُ بْنُ حَلْزَهٍ وَجَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَغَيْرُهُمْ .

« وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ » أَيِ لِيَعِينُوكُمْ عَلَى مَعَارِضَةِ الْقُرْآنِ « إِنْ

ج ٦ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥٥ -

كنتم صادقين» في قولكم : إنني افتريته ، فهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاكمة ، وفيه الدلالة الواضحة على إعجاز القرآن ، لأنه إذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله تحداهم به وأوعدهم بالقتل والأسر بعد أن عاب دينهم وآلهتهم و ثبت أنهم كانوا أحرص الناس على إبطال أمره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك ، فإذا قيل لهم : افترؤا أنتم مثل هذا القرآن وأدحضوا حججته فذلك أيسر وأهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من أدل الدلائل على عجزهم ، إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه ، لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منهما ، فكيف و لو بلغوا غاية أمانيتهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم ، من إبطال أمره فإن الملحق قد يقتل .

فإن قيل : لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ، ومرة بسورة ، ومرة بحديث مثله ؛ فالجواب أن التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الإعجاز من منظور الكلام ، فيجوز أن يتحدى مرة بالأقل ، ومرة بالأكثر ، فإن لم يستجيبوا لكم ، قيل : إنه خطاب للمسلمين ؛ وقيل : للكفار ، أي فإن لم يستجب لكم من تدعونهم إلى المعاونة ؛ وقيل : للرسول ﷺ ، وذكره بلفظ الجمع تفخيماً .^(١)

وفي قوله : «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا» أي إن هذه الأخبار لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيماننا إليك ، لأنهم لم يكونوا من أهل كتاب وسير .^(٢)

(١) في هامش النسخة المقروءة على المصنف : لما كانت المذاهب المشهورة في إعجاز القرآن متروكة بين أن يكون بالصرفة أو ببلوغه الدرجة القصوى من الفصاحة والبلاغة ، أو اشتماله على العلوم الدقيقة ، أو على القصص التي لا يعرفها إلا أهل الكتاب ، أو على الأخبار بالغميبات ، أو عدم وجدان الاختلاف ، أو بغاية البلاغة والنظم المخصوص معاً اختيار الأخير واستدل بالاية عليه بأنه لو كان لغير الفصاحة والنظم مدخلا لما اكتفى بقوله : « مثله مقتربات » إذا نظرنا من المماثلة المماثلة في النظم والفصاحة كما كان عادتهم في معارضة الكلام والتفاخر به ، وهذا ينفي الصرفة أيضاً لأن مثله مغل في ذلك بل كان الانسب أن يقول : اتوا بكلام أدون من ذلك ، وإيضاً الاتيان بالركيك من الكلام كان ادخل في الصرفة ، و بعد فيه كلام للمتاامل . منه .

(٢) مجمع البيان ٥ : ١٤٦ و ١٤٧

وفي قوله : « ما ثبتت به فؤادك » أي ما تقوي به قلبك ، و نطيب به نفسك ، و نزيدك به ثباتاً على ما أنت عليه من الإيثار والصبر على أذى قومك .^(١)
وفي قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » فيه أقوال : أحدها : أنهم مشركو قريش كانوا يقرّون بالله خالقاً ومحيياً ومميتاً ، ويعبدون الأصنام و يدعونها آلهة ، عن ابن عباس والجباري .

وثانيها : أنها نزلت في مشركي العرب إذا سئلوا : من خلق السماوات والأرض وينزل القطر ؟ قالوا : الله ، ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلييتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، عن الضحّاك .

وثالثها : أنهم أهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ، ثم أشركوا بآل نكاح القرآن ونبوّة نبيّنا ﷺ ، عن الحسن ، وهذا القول مع ما تقدّمه رواه دارم بن قبيصة ، عن عليّ بن موسى الرضا ، عن جدّه^(٢) أبي عبد الله ﷺ .

ورابعها : أنهم المنافقون يظهرون الإيمان ويشركون في السرّ ، عن البلخي .
وخامسها : أنهم : المشبهة آمنوا في الجملة وأشركوا في التفصيل ، و روي ذلك عن ابن عباس . و سادسها أن المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة ، أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها ممّا أوجب الله عليها النار ، فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله في عبادته^(٣) عن أبي جعفر ﷺ .

وروي عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال : قول الرجل : لولا فلان لهلكت ولولا فلان لصاع عيالي جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ، فقيل له : لو قال : لولا أن من الله عليّ بفلان لهلكت ، قال : لا بأس بهذا . وفي رواية زرارة ونجد بن مسلم وحران عنهما ﷺ : إنه شرك النعم . و روى محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال : إنه شرك لا يبلغ به الكفر .

« أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله » أي عقوبة تغشاهم و تحيط بهم .^(٤)

(١) مجمع البيان ٥ : ٢٠٤ . (٢) في التفسير المطبوع : عن أبيه ، عن جدّه .

(٣) في التفسير المطبوع : ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره .

(٤) مجمع البيان ٥ : ٢٦٧-٢٦٨ . وفيه : أي أفأمن هؤلاء الكافرون أن يأتيهم عذاب من الله سبحانه يومهم ويحيط بهم ؟ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المخلفة في القرآن الكريم - ١٠٧ -

وفي قوله : « يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة » أي بالعذاب قبل الرحمة ، عن ابن عباس وغيره . والمثالات : العقوبات .

« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » فيه أقوال : أحدها : إنما أنت مخوف وهاد لكل قوم ، وليس إليك إنزال الآيات ، فأنت مبتدأ ، ومنذر خبره ، وهاد عطف على منذر . والثاني : أن المنذر هو محمد ﷺ ، والهادي هو الله . والثالث : أن معناه : ولكل قوم نبي يهديهم وداع يرشدهم . والرابع : أن المراد بالهادي كل داع إلى الحق ؛ وعن ابن عباس قال : لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ : أنا المنذر ، وعلي الهادي من بعدي ، يا علي بك يهتدي المهتدون . وروى مثله أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي بردة الأسلمي^(١) .

وفي قوله : « إلا كباسط كفيه » هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعا رجاء أن ينفعه ، فمثله كمثّل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناولوه ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعده المسافة بينهما ، فكذلك ما كان يعبده انشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم فلا يستجاب دعاؤهم ، عن ابن عباس ؛ وقيل : كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه الماء ، عن مجاهد ؛ وقيل : كالذي يبسط كفيه إلى الماء فمات قبل أن يبلغ الماء فاه ؛ وقيل : إنه يتمثل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول : هو كالقايض على الماء .

« وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » أي ليس دعاؤهم الأصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصواب ؛ وقيل : في ضلال عن طريق الإجابة والنفع « والله يسجد

(١) مجمع البيان ٦ : ٢٧٨ . والحديث فيه هكذا : روى أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالاسناد إلى إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، عن أبيه ، عن حكيم بن جبير ، عن أبي بردة الأسلمي قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب ، فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدرة ، ثم قال : إنما أنت منذر ، ثم ردها إلى صدر علي ثم قال : ولكل قوم هاد ، ثم قال : أنك منارة الانام وغاية الهدى ، وأمير القرى ، وأشهد ذلك أنك كذلك .

من في السموات والأرض» يعني الملائكة وسائر المكلّفين «طوعاً و كرهاً» أي يجب السجود لله تعالى إلا أن المؤمن يسجد له طوعاً ، والكافر كرهاً بالسيف ؛ أو يخضعون له إلا أن الكافر يخضع له كرهاً لأنّه لا يمكنه أن يمتنع عن الخضوع لله تعالى لما يحلّ به من الآلام والأسقام «وظالّهم» أي ويسجد ظلالهم لله «بالغدو والآصال» أي العشيّات قيل : المراد بالظلّ الشخص ، فإنّ من يسجد يسجد معه ظلّه ؛ قال الحسن : يسجد ظلّ الكافر ولا يسجد الكافر ، ومعناه عند أهل التحقيق أنّه يسجد شخصه دون قلبه ، لأنّه لا يريد بسجوده عبادة ربّه من حيث إنّّه يسجد للخوف ؛ وقيل : إنّ الظلال على ظاهرها ، والمعنى في سجودها تمايلها من جانب إلى جانب و انقيادها للتسخير^(١) بالطول و القصر «قل هل يستوي الأعمى والبصير» أي المؤمن و الكافر «أم هل تستوي الظلمات و النور» أي الكفر و الإيمان ، أو الضلالة و الهدى ، أو الجهل و العلم «أم جعلوا شركاء خلقوا كخلقه» أي هل جعل هؤلاء الكفّار شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله تعالى من الأجسام و الألوان و الطعوم و الروائح و القدرة و الحياة و غير ذلك «فتشابه الخلق عليهم» أي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله ، وما الذي خلق الأوثان ، فظنّوا أن الأوثان تستحقّ العبادة لأنّ أفعالها مثل أفعال الله تعالى ، فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً إذ كان ذلك كلّهُ لله لم يبق شبهة أنّهُ إلا له لاستحقاق العبادة سواء^(٢).

و في قوله تعالى : «فسالت أودية بقدرها» يعني فاحتمل الأنهار الماء كلّ نهر بقدره : الصغير على قدر صغره ، و الكبير على قدر كبره « فاحتمل السيل زبداً رايياً» أي طافياً عالياً فوق الماء ، شبه سبّحانه الحقّ و الإسلام بالماء الصافي النافع للخلق ، و الباطل بالزبد الداهي باطلاً ؛ وقيل : إنّهُ مثل القرآن النازل من السماء ، ثمّ يحتمل القلوب حظّها من اليقين والشكّ على قدرها ، فالماء مثل اليقين ؛ و الزبد مثل للشكّ ، عن ابن عباس ؛ ثمّ ذكر المثل الآخر فقال : «ومما توقدون عليه في النار» وهو الذهب

(١) في التفسير المطبوع : و انقيادها بالتسخير .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٢٨٣-٢٨٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٠٩ -

والفضة والرياح وغيره مما يذاب «ابتغاء حلية» أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب و
الفضة «أو متاع» معناه : ابتغاء متاع ينتفع به ، وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منه
الأواني وغيرها «زبد مثله» أي مثل زبد الماء ، فإن هذه الأشياء التي تستخرج من
المعادن توجد عليها النار ليتميز الخالص من الخبيث لها أيضاً زبد وهو خبيثها «كذلك
يضرب الله الحق والباطل» أي مثل الحق والباطل «فأما الزبد فيذهب جفاء» أي باطلاً
متفرقاً بحيث لا ينتفع به «وأما ما ينفع الناس» وهو الماء الصافي والأعيان التي ينتفع
بها «فيمكث في الأرض» فينتفع به الناس ، فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء الملتفع
به في نبات الأرض وحياة كل شيء به ، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الأعيان
الملتفع بها ، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاءً ، وكمثل خبث الحديد
وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة التي لا ينتفع به «كذلك يضرب الله الأمثال
للناس» في أمر دينهم ، قال قتادة : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد :
شبه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء ، وشبه القلوب بالأودية والأنهار
فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه أخذ حظاً عظيماً منه ، كالنهر الكبير الذي
يأخذ الماء الكثير ، ومن رضي بما أداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل
حظاً منه ، كالنهر الصغير فهذا مثل .

ثم شبه المخاطر ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء ، وذلك من خبث
التربة لآمن الماء ، وكذا الله ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لآمن ذات الحق ،
يقول : فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخائل الشك باطلاً
 ويبقى الحق فهذا مثل ثان ؛ والمثل الثالث : قوله : «ومما توقدون عليه» فالكفر مثل
هذا الخبث الذي لا ينتفع به ، والإيمان مثل الصافي الذي ينتفع به .^(١)

وفي قوله : «ولو أن قرآنًا» جواب لو عذوف ، أي لكان هذا القرآن ؛ وقيل :
أي لما آمنوا «أفلم يأس الذين آمنوا» أي أفلم يعلموا ويتبينوا ، عن ابن عباس وغيره ؛
وقيل : معناه : أولم يعلم الذين آمنوا علماء يتسوا معه من أن يكون غير ما علموه ؟

وقيل : معناه : أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون ؟ «قارعة» أي نازلة وداهية تفرعهم من الحرب والمجدب والقتل والأسر «أو تحل قريباً من دارهم» قيل : إن الناء في تحل للتأنيث ، أي تحل تلك القارعة قريباً من دارهم فتجاورهم حتى تحصل لهم المخافة منها ؛ وقيل : إن الناء للخطاب ، أي تحل أنت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم يعني مكة «حتى يأتي وعد الله» بفتح مكة ؛ وقيل : أي بالإذن لك في قتالهم ؛ وقيل : حتى يأتي يوم القيامة .

«فأملت للذين كفروا» أي فأمهلتهم وأطلت مدتهم ليتوبوا أوليتهم عليهم الحجية «فكيف كان عقاب» تفخيم لذلك العقاب «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» أي أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس وحافظ على كل نفس أعمالها حتى يجازيها كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام ؟ ويدل على المحذوف قوله تعالى : «وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم» أي بما يستحقون من الصفات ، وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ؛ وقيل : سمّوهم بالأسماء التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم واتخاذهم آلهة ؟ وقيل : معناه إنه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهية ، وذلك استحقاق لهم ؛ وقيل : سمّوهم ماذا خلقوا ؟ أو هل ضرّوا أو نفعوا ؟ «أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض» أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه ، على معنى أنه ليس ولو كان لعلم . «أم بظاهر من القول» أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له ، فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط ؛ وقيل : أم بظاهر كتاب أنزله الله سمّيت الأصنام آلهة ، فيبين أنه ليس ههنا دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلهية «بل زين للذين كفروا مكرهم» أي دع ذكر ما كنّا فيه زين الشيطان لهم الكفر ، لأن مكرهم بالرسول كفر منهم ؛ وقيل : بل زين لهم الرؤساء والغواة كذبهم وزورهم . (١)

وفي قوله : «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون» المراد أصحاب النبي ﷺ

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١١ -

الذين أعطوا القرآن ، أو مؤمنو أهل الكتاب .^(١)

وفي قوله : « وإما نرينك بعض الذي نعدهم » أي من نصر المؤمنين عليهم و تمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال « أو نتوفينك » أي نقبضك إلينا قبل أن نريك ذلك ، وبين بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته ، أي فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك « فإنما عليك » أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم ، وعلينا حسابهم ومجازاتهم .^(٢)

و في قوله : « ومن عنده علم الكتاب » قيل : هو الله تعالى ؛ وقيل : مؤمنو أهل الكتاب ؛ وقيل : إن المراد به علي بن أبي طالب عليه السلام وأئمة الهدى عليهم السلام عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام بأسانيد .^(٣)

و في قوله : « مثل الذين كفروا بربهم » أي مثل أعمالهم « كرماد اشتدت به الريح » أي ذرته و نسفته « في يوم عاصف » أي شديد الريح ، فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، أي على الانتفاع بأعمالهم .^(٤)

و في قوله : « كلمة طيبة » هي كلمة التوحيد ؛ وقيل : كل كلام أمر الله تعالى « كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » أي شجرة زاكية نامية راسخة أصولها في الأرض ، عالية أغصانها وثمارها في السماء ، وأراد به المبالغة في الرفة ، و هذه الشجرة قيل : هي النخلة ؛^(٥) وقيل : شجرة في الجنة .

(١) مجمع البيان ٦ : ٢٩٦ .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٢٩٨ .

(٣) > > > ٣٠١ : ٥ ، والاسانيد في المصدر هكذا : روى عن بريد بن معاوية ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إيانا عنى و على أولنا وافضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . و روى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ، ثم قال : عندنا والله علم الكتاب كلها . ويؤيد ذلك ما روى عاصم بن أبي النجود ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : ماريت أحدا أقره من علي بن أبي طالب عليه السلام للقرآن . و روى أبو عبد الرحمن أيضا عن عبد الله بن مسعود قال : لو كنت أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني لأتيته . قال : فقلت له : فعلى ؟ قال : أولم آتته ؟ .

(٤) مجمع البيان ٦ : ٣٠٩ .

(٥) في التفسير المطبوع : روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أن هذه الشجرة هي النخلة .

و روى ابن عقدة عن أبي جعفر عليه السلام أن الشجرة رسول الله عليه السلام ، وفرعها علي عليه السلام ، وغصن الشجرة ^(١) فاطمة عليها السلام ، وثمارها أولادها ، وأوراقها شيعتنا . ثم قال عليه السلام : إن الرجل من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة ، وإن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة .

« تؤتي أكلها » أي تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها « كل حين » أي في كل سنة أشهر ، عن ابن عباس وأبي جعفر عليهما السلام ؛ وقيل : أي كل سنة ؛ وقيل : أي كل غداة وعشية ؛ وقيل : في جميع الأوقات ؛ وقيل : إنه سبحانه شبه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها ، وشبه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة ، وشبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الإيمان وثوابه كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر ؛ وقيل : إن معنى قوله : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ما يفتي به الأئمة من آل محمد شيعتهم في الحلال والحرام ، ومثل كلمة خبيثة « هي كلمة الشرك والكفر ؛ وقيل : كل كلام في معصية الله كشجرة خبيثة غير زاكية وهي شجرة الحنظل ؛ وقيل : إنها شجرة هذه صفتها وهو أنه لا قرار لها في الأرض ؛ وقيل : إنها الكشوث . ^(٢) وروى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أن هذا مثل بني أمية « اجتثت من فوق الأرض » أي استوصلت واقتلعت جذته من الأرض « مالها من قرار » مالتك الشجرة من ثبات ، فإن الريح تنسفها و تذهب بها ، فكما أن هذه الشجرة لا ثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها أحد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها . ^(٣)

و في قوله : « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً » أي عرفوا نعمة الله بمحمد أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفراً . و روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز . ^(٤)

(١) في التفسير المطبوع وفي نسخ مخطوطة من الكتاب : وعنصر الشجرة فاطمة .

(٢) الكشوث نبات يلتصق على الشوك والشجر لا أصل له في الأرض ولا ورق .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٣١٢ - ٣١٣ .

(٤) في المصدر : ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره .

ج ٩ باب احتياج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١٣ -

و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله بدّلوها أقبح التبديل ، إذ جعلوا مكان شكرها الكفر بها ؛ واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عباس و ابن جبير وغيرهم أنهم كفّار قريش كذبوا نبيّهم ونصبوا له الحرب والعداوة .
و سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية فقال : هما الأفجران من قريش : بنو أميّة و بنو المغيرة ، فأما بنو أميّة فمتمّعوا إلى حين ، و أما بنو المغيرة فكفّيتهم يوم بدر . وقيل : إنهم جيلة بن الأيّهم ومن تبعه من العرب تنصّروا ولحقوا بالروم و أحلّوا قومهم دار البوار أي دار الهلاك .^(١)

و في قوله : « ربما يودّ الذين كفروا » أي في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار « ما ننزل الملائكة إلا بالحق » أي بالموت ، أو بعدذاب الاستيصال إن لم يؤمنوا ، أو إلا بالرسالة « وما كانوا إذا » أي حين تنزل الملائكة « منظرين » أي لا يمهلون ساعة .

« إنّنا نحن نزّلنا الذكر » أي القرآن « وإنّا له لحافظون » عن الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف ؛^(٢) وقيل : نحفظه من كيد المشركين فلا يمكنهم إبطاله ولا يندرس ولا ينسى ؛ وقيل : المعنى : وإنّا لمحمّد حافظون .

« ولوفتحنا عليهم » أي على هؤلاء المشركين « باباً من السماء » ينظرون إليه « فظلموا فيه يعرجون » أي فظلمت الملائكة تصعد و تنزل في ذلك الباب ؛ وقيل : فظلم هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب و شاهدوا ملكوت السموات « لقالوا إنّما سكرت أبصارنا » أي سدّت و غطّيت ؛ وقيل : تحيّرت و سكنت عن أن تنظر « بل نحن قوم مسحورون » سحرنا نحل فيخيّل الأشياء إلينا على خلاف حقيقتها .^(٣)

(١) مجمع البيان ٦ : ٣١٤ .

(٢) في التفسير المطبوع : و قيل : مناه : متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه ، فتنقله الأمة عصرًا بعد عصر إلى يوم القيامة ، لقيام الحجّة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن الحسن .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣١ .

وفي قوله : « لا تمدَّنْ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ » أي لا ترفعنَّ عَيْنَكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِهِ أَمْثالاً مِنَ النِّعَمِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ زَهْرَاتِ الدُّنْيَا ، فَيَكُونُ « أَزْوَاجاً » مَنْصُوباً عَلَى الْحَالِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْأَشْيَاءُ وَالْأَمْثَالُ ؛ وَقِيلَ : لَا تَنْظُرَنَّ وَلَا تَعْظُمَنَّ فِي عَيْنِكَ وَلَا تَمُدِّهِمَا إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَصْنَافاً مِنَ الْمَشْرُوكِينَ « وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ » إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ « وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ » أَيِ تَوَاضِعْ لَهُمْ .

« كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ » أَيِ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ عَلَيْكَ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى « الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ » جَمْعُ عِضَةٍ ، وَأَصْلُهُ عَضُوءٌ ، وَالتَّعْضِيَةُ : التَّفْرِيقُ ، أَيِ فَرَّقُوا وَ جَعَلُوهُ أَعْضَاءً ، فَأَمَّنُوا بِبَعْضِهِ وَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِ ؛ وَقِيلَ : سَمَّاهُمْ مُقْتَسِمِينَ لِأَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَّنُوا بِبَعْضِهَا وَ كَفَرُوا بِبَعْضِهَا ؛ وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : إِنِّي أَنْذَرُكُمْ عَذَاباً كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرِيقَ مَكَّةَ ، يَصْدُوثُنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْإِيمَانَ بِهِ ؛ قَالَ مُقَاتِلُ : كَانُوا سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا بَعْثَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغيرةِ أَيْتَامَ الْمَوْسِمِ يَقُولُونَ لِمَنْ أَتَى مَكَّةَ : لَا تَغْتَرُّوا بِالْخَارِجِ مِنَّا وَ الْمُدَّعِيِ النَّبِوءَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عَذَاباً فَمَاتُوا شَرَّ مِيتَةٍ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ فَقَالَ : « الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ » أَجْزَاءً أَجْزَاءً ^(١) فَقَالُوا : سِحْرٌ ، وَقَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَقَالُوا : مُفْتَرَى ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » أَيِ أَظْهِرُوا وَأَعْلَنُوا وَصَرَّحُوا بِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ غَيْرَ خَافٍ « وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرُوكِينَ » أَيِ لَا تَخَاصِمَهُمْ إِلَى أَنْ تُؤْمَرَ بِقِتَالِهِمْ ، أَوْ لَا تَلْتَمِثْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » أَيِ الْمَوْتُ . ^(٢)

وفي قوله : « أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ » أَيِ الْأَصْنَامُ وَالْكَفَّارُ « لَا جَرَمَ » أَيِ حَقّاً وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ . ^(٣)

(١) فِي التَّفْسِيرِ الْمَطْبُوعِ : أَيِ جُزْءٍ وَأَجْزَاءٍ .

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٦ : ٣٤٤ - ٣٤٧ .

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٦ : ٣٥٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١٥ -

وفي قوله : «أوبأخذهم في قلوبهم» أي يأخذهم العذاب في تصرّفهم في أسفارهم وتجاراتهم ؛ وقيل : في قلوبهم في كلّ الأحوال ليلاً و نهاراً فيدخل فيه قلوبهم على الفراش يميناً وشمالاً « فمأهم بمعجزين » أي فليسوا بفائتين وما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه « أوبأخذهم على تخوف » قال الأكثر : أي على تنقّص إهمّا بقتل أو بموت ، أي ينقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذ منهم الأوّل فالأوّل حتّى يأتي على جميعهم ؛ وقيل : في حال تخوفهم من العذاب « يتفوّظ ظلاله » أي يتميّل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال ، ومعنى سجود الظلّ دورانه من جانب إلى جانب كما مرّ ؛ وقيل : المراد بالظلّ هو الشخص بعينه ، ولهذا الإطلاق شواهد في كلام العرب «وهم داخرون» أي أدّلة صاغرون ، فنّبه تعالى على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبّرّها ، فهي في ذلك كالساجد من العباد « وله الدين واصباً » أي له الطاعة دائمة واجبة على الدوام ، من صبب الشيء وصوباً ؛ إذادام ؛ وقيل : أي خالصاً نصيباً ممّا رزقناهم» أي ما مرّ ذكره في سورة الأنعام من الحرث والأنعام وغيرها «ولهم ما يشتهون» أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهونه و يحبّونه من البنين «وهو كظيم» أي ممتلئ غيظاً وحزناً «أيمسكه على هون أم يدسه في التراب» أي يدبّر في أمر البنات المولود له : أيمسكه على ذلّ وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حياً ؛ وهو الوأد الذي كان من عادة العرب ، وهو أن أحدهم كان يحفر حفرة صغيرة فإذا ولد له أنثى جعلها فيها وحشاً عليها التراب حتّى تموت تحته ، وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر « ويجعلون لله ما يكرهون» أي البنات « أن لهم الحسنى » أي البنون أو المثوبة الحسنى في الآخرة^(١) « وأنهم مفرطون» أي مقدّمون معجلّون إلى النار .^(٢)

وفي قوله : « فما الذين فضّلوا » فيه قولان : أحدهما : أنهم لا يشركون عبيدهم في أموالهم وأزواجهم حتّى يكونوا فيه سواء وبرون ذلك نقصاً ، فلا يرضون لأنفسهم به ، وهم يشركون عبادي في ملكي وسلطاني و يوجّهون العبادة و القرب إليهم كما

(١) في التفسير المطبوع : والمثوبة الحسنى وهي الجنة .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٣٥٣ - ٣٦٩ .

يوجهونها إليّ. والثاني : أن معناه : فرؤلاء الذين فضلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون مما يليكم ، بل الله رازق المملوك والمماليك ، فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما يرزقه الله ، فهم سواء في ذلك . (١)

وفي قوله : « ومن رزقناه منا رزقاً حسناً » يريد حرراً رزقناه وملكناه مالا ونعمة « فهو ينفق منه سرّاً وجهراً » لا يخاف من أحد « هل يستون » يريد أن الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مالكا قادراً على الإنفاق دون الآخر لا يستويان فكيف يسوّى بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء والرازق لجميع خلقه ؟ ؛ وقيل : إن هذا المثل للكافر والمؤمن ، فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير « وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء » من الكلام ، لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه ؛ وقيل : معناه : لا يقدر أن يميز أمر نفسه « وهو كل على مولاه » أي يقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره « أينما وجهه لا يأت بخير » أي لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة « هل يستوي هو » أي هذا الأبكم « ومن يأمر بالعدل » أي ومن هو فصيح يأمر بالحق والصواب « وهو على صراط مستقيم » أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي و يذر . وفيه (٢) أيضاً وجهان : أحدهما : أنه مثل ضرب به الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه ، وأصل الخير كله من الله ، فكيف يسوّى بينه وبين شيء سواه في العبادة ؟ .

والآخر أنه مثل للكافر والمؤمن : فالأبكم : الكافر ، والذي يأمر بالعدل : المؤمن ، عن ابن عباس ؛ وقيل : إن الأبكم أبي بن خلف ، ومن يأمر بالعدل حمزة و عثمان بن مظعون ، عن عطاء ؛ وقيل : إن الأبكم هاشم بن عمرو بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ . (٣)

(١) مجمع البيان ٦ : ٣٧٣ .

(٢) أي في هذا المثل .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٣٧٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١٧ -

وفي قوله : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » نزلت في الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله على الإسلام ، فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه : لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة ، فإن الله حافظكم ، أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول وأكدتموه بالإيمان ؛ وقيل : نزلت في قوم حالفوا قوماً فجاءهم قوم وقالوا : نحن أكثر منهم وأعز وأقوى فانتقضوا ذلك العهد وحالفونا . « ولا تكونوا كآلتي نقضت غزلها » أي لا تكونوا كالمرأة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد إمرار وفتل للغزل ، وهي امرأة حقاء من قريش ، كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقض ما غزلن ، ولا تزال ذلك دأبها ، واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب ، وكان تسمي خرقاء مكّة « أنكأنا » جمع نكث ، وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية « تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم » أي دغلاً وخيانة ومكرأ « أن تكون أمة هي أربى من أمة » أي بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم وأمة أعلى من أمة « فتزل قدم بعد ثبوتها » أي فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدى . (١)

وفي قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية » يعني إذا نسخنا آية وآتيناه مكانها أخرى « قالوا إنما أنت مفتّر » قال ابن عباس : كانوا يقولون : يسخر محمد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً يأمرهم بأمر وإنه لكاذب ، ويأثمهم بما يقول من عند نفسه . « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر » قال ابن عباس : قالت قريش : إنما يعلمه بلعام وكان قيناً بمكّة روميّاً نصرانيّاً ؛ وقال الضحّاك : أرادوا به سلمان الفارسي ، قالوا : إنه يتعلم القصص منه ؛ وقال مجاهد وقتادة : أرادوا به عبداً لبني الحضرمي روميّاً يقال له يعيش أو عامش صاحب كتاب ، وأسلم وحسن إسلامه ؛ وقال عبد الله بن مسلم : كان غلامان في الجاهلية نصرانيّان من أهل عين التمر ، اسم أحدهما يسار ، والآخر جبير ، وكانا صيقلين يقرآن كتاباً لهما بلسانهم ، وكان رسول الله ﷺ ربهما مرّ بهما واستمع قراءتهما فقالوا : إنما يتعلم منهما ، ثم ألزمهم الله الحجة وأكذبهم بأن قال :

« لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » أي لغة الذي يضيفون إليه التعليم و يميلون إليه القول أعجمية ، و الأعجمي هو الذي لا يفصح و إن كان عربياً « و هذا لسان عربي مبين » أي ظاهر بين لا يتشكّل ، ^(١) يعني إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله و هو بلغتهم فكيف يأتي به الأعجمي . ^(٢)

وفي قوله : « ولا تجعل مع الله إلهاً آخر » الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ليكون أبلغ في الزجر . ^(٣) «مدحوراً» أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله . ^(٤)

وفي قوله : « إذا لا تنفوا إلى ذي العرش سيلاً » أي لطلبوا طريقاً يقرّبهم إلى مالك العرش لعلمهم بعلوّه عليهم وعظمته ، وقال أكثر المفسرين : معناه : لطلبوا سيلاً إلى معازة ^(٥) مالك العرش و مغالبتها ، فإن الشريكين في الإلهية يكونان متساويين في صفات الذات ، و يطلب أحدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك فيكون إشارة إلى دليل التمانع . ^(٦)

وفي قوله : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة » قال الكلبي : هم أبو سفيان والنضر بن الحارث و أبو جهل و أم جميل امرأة أبي لهب ، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن ، فكانوا يأتونه ويمرّون به ولا يرونه « حجاباً مستوراً » أي ساتراً ؛ وقيل : مستوراً عن الأعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده » أي ذكرت الله بالتوحيد وأبطلت الشرك « ولّوا على أديبارهم نفوراً » أي أعرضوا عنك مدبرين نافرين ، والمعنى بذلك كفّار قريش ؛ وقيل : هم الشياطين ؛ وقيل : إذا سمعوا بسم الرحمن الرحيم ولّوا ؛ وقيل : إذا سمعوا قول لا إله إلا الله .

(١) في التفسير المطبوع : ظاهر بين لا يتشكك .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٣٨٥ .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٤٠٧ ، ولم نجد فيه قوله : « ليكون أبلغ في الزجر » .

(٤) مجمع البيان ٦ : ٤١٦ .

(٥) عازم : عارضه في العزة .

(٦) مجمع البيان ٦ : ٤١٧ .

ج ٤ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١١٩ -

«نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك» أي ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين وغرضهم في الاستماع إليك «وإذ هم نجوى» أي متناجون ، والمعنى : إننا نعلمهم في حال ما يصغون إلى سماع قراءتك ، وفي حال يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم ، فيقول بعضهم : هو ساحر ، وبعضهم : هو كاهن ، وبعضهم : هو شاعر ؛ وقيل : يعني به أبا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وخويطب بن عبد العزى ، اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ ، فقال أبو جهل : هو مجنون ، وقال زمعة : هو شاعر ، وقال خويطب : هو كاهن ، ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال : هو ساحر » إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي سحر فاختلط عليه أمره ؛ وقيل : المراد بالمسحور المخذوع والمعلل ؛ وقيل : أي ذاسحر ؛ أي رمة خلقه الله بشراً مثلكم ؛ وقيل : المسحور بمعنى الساحر كالستور بمعنى الساتر .^(١)

وفي قوله : «قل ادعوا الذين زعمتم» أي الملائكة والمسيح وعزير ؛ وقيل : هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن ، عن ابن مسعود ، قال : وأسلم أولئك النفر^(٢) وبقي الكفار على عبادتهم .^(٣)

وفي قوله : «إن ربك أحاط بالناس» أي أحاط علماً بأحوالهم وما يفعلونه من طاعة أو معصية «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» فيه أقوال : أحدها : أن المراد بالرؤيا رؤية العين ، والمراد الأسرى وما رآه في المعراج . وثانيها : أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدها فصدّه المشركون في الحديدية حتى شكّ قوم . وثالثها : أن ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه أن قروناً تصعد منبره وتنزل ، فسماء ذلك واغتم به ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام ، وقالوا على هذا التأويل أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية ، أخبره الله تعالى بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته ؛ وقيل : إن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، وإنما سميت فتنة لأن المشركين

(١) مجمع البيان ٦ : ٤١٨ - ٤١٩ .

(٢) في التفسير المطبوع : أولئك النفر من الجن .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٤٢٢ .

قالوا : إن النار تحرق الشجر ، فكيف تنبت الشجرة في النار ؟ وصدق به المؤمنون .^(١)

وفي قوله : « وقالوا لن نؤمن لك » قال ابن عباس : إن جماعة من قريش و هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة و أبو سفيان بن الحرب و الأسود بن المطلب و زمعة بن الأسود و الوليد بن المغيرة و أبو جهل بن هشام و عبد الله بن أمية^(٢) و أمية بن خلف و العاص بن وائل ، و بنوه و منبهه ابنا الحجاج و النضر بن الحارث و أبو البخثري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة ، وقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد و كلموه و خاصموه ، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ، فبادر - عليه و آله صلوات الله و سلامه - إليهم ظناً منه أنه بدالهم من أمره ، و كان حريصاً على رشدهم ، فجالس إليهم فقالوا : يا محمد إنما دعوناك لنعتمد إليك ، فلا نعلم قوماً أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، شتمت الآلهة ، و عبت الدين ، و سفهت الأحلام ، و فرقت الجماعة ، فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالاً أعطيناك ، و إن كنت تطلب الشرف سوّدناك علينا ، و إن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الأطباء ! فقال ﷺ : ليس شيء من ذلك ، بل بعثني الله إليكم رسولاً و أنزل كتاباً ، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا و الآخرة ، و إن تردّوه أصبر حتّى يحكم الله بيننا ، قالوا : فإذا ليس أحد أضيق بلدنا منك ، فاسأل ربك أن يسيّر هذه الجبال و يجري لنا أنهاراً كأَنْهار الشام و العراق ، و أن يبعث لنا من مضى ، و ليكن فيهم قضيّ فإنّه شيخ صدوق لنسألهم عمّا تقول أحقّ أم باطل ؟ فقال : ما بهذا بعثت ، قالوا : فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك ، و يجعل لنا جنّات و كنوزاً و قصوراً من ذهب ، فقال : ما بهذا بعثت و قد جئتمكم بما بعثني الله تعالى به فإن قبلتم و إلّا فهو يحكم بيني و بينكم ، قالوا : فأسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك ، قال : ذاك إلى الله إن شاء فعل ؛ و قال قائل منهم : لا نؤمن لك حتّى

(١) مجمع البيان ٦ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٢) في التفسير المطبوع : عبد الله بن أبي أمية .

ج٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢١ -

تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فقام النبي ﷺ وقام معه عبدالله بن امية^(١) المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب فقال : يا محمد - ﷺ - عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ، ثم سألوك لا أنفسهم اموراً فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل ، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ سلماً إلى السماء ثم ترقى فيه و أنا أنظر ، و تأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك و كتاب يشهد لك . وقال أبو جهل : إنه أبي إلا سب الآلهة و شتم الآباء ، و إنني أعاهد الله لأحملن حجراً فإذا سجد ضربت به رأسه ؛ فانصرف رسول الله ﷺ حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات .

« حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » أي تشقق لنا من أرض مكة عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً » أي قطعاً قد تركب بعضها على بعض ، و معنى كما زعمت أي كما خوفنا به من انشقاق السماء و انفطارها ، أو كما زعمت أنك نبي تأتي بالمعجزات « أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً » أي كفيلاً ضامناً لنا بما تقول ؛ و قيل : هو جمع القبيلة ، أي بالملائكة قبيلة قبيلة ؛ و قيل : أي مقابلين لنا ، وهذا يدل على أن القوم كانوا مشبهة مع شركهم « أو يكون لك بيت من زخرف » أي من ذهب ؛ و قيل : الزخرف : النقوش « أو ترقى في السماء » أي تصعد « ولن نؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » أي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منّا كتاباً من السماء شاهداً بصحة نبوتك نقرؤه « قل سبحانه ربّي » أي تنزيهاً له من كل قبيح و سوء ، و في ذلك من الجواب : إنكم تتخيرون الآيات وهي إلى الله سبحانه ، فهو العالم بالتدبير ، الفاعل لما توجه به المصلحة ، فلا وجه لطلبكم إيها مني ؛ و قيل : أي تعظيماً له عن أن يحكم عليه عبيده ، لأن له الطاعة عليهم ؛ و قيل : إنهم لمّا قالوا : أو تأتي بالله أو ترقى في السماء إلى عند الله لا اعتقادهم أنه سبحانه جسم ، قال : قل : سبحانه ربّي عن كونه بصفة الأجسام حتى يجوز عليه المقابلة و النزول ؛ و قيل : معناه : تنزيهاً له عن أن يفعل المعجزات تابعاً للاقتراحات « هل كنت إلا بشراً رسولاً » أي هذه الأشياء ليست في طاقة البشر فلا أقدر

(١) في التفسير المطبوع : عبدالله بن أبي امية .

بنفسى أن آتى بها^(١) « قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين » أي ساكنين قاطنين « لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » منهم ؛ وقيل : معناه : مطمئنين إلى الدنيا ولذا أنها غير خائفين ولا متعبدين بشرع ؛ وقيل : معناه : لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا إليهم ملكاً ليكونوا إلى الفهم إليه أسرع ؛ وقيل : إن العرب قالوا : كنّا ساكنين مطمئنين فجاء نحل فأزعجنا وشوش علينا أمرنا ، فبين الله سبحانه أنهم لو كانوا ملائكة مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل إليهم ، فكذلك كون الناس مطمئنين لا يمنع من إرسال الرسل إليهم إذ هم إليه أحوج من الملائكة .^(٢)

و في قوله : « خشية الإنفاق » أي الفقر والفاقة « و كان الإنسان قنوراً » أي بخيلاً .^(٣) وفي قوله : « و قرآناً فرقناه » أي وأنزلنا عليك قرآناً فصلّنا سوراً وآيات ؛ أوفرّقنا به الحق عن الباطل ؛ أو جعلنا بعضه خبراً وبعضه أمراً و بعضه نهياً و بعضه وعداً و بعضه وعيداً ؛ وأنزلناه متفرّقاً لم ننزله جميعاً ، إذ كان بين أوله و آخره نيف و عشرون سنة « لتقرأه على الناس على مكث » أي على تثبّت و تؤدّة ليكون أمكن في قلوبهم ؛ وقيل : لتقرأه عليهم مفرّقاً شيئاً بعد شيء . « ونزلناه تنزيلاً » على حسب الحاجة و وقوع الحوادث « قل آمنوا به أولا تؤمنوا » به فإن إيمانكم ينفعكم ولا ينفع غيركم ، و هذا تهديد لهم « إن الذين أتوا العلم من قبله » أي أعطوا علم التوراة قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام و غيره ؛ وقيل : إنهم أهل العلم من أهل الكتاب و غيرهم ؛ وقيل : إنهم أمة نحل ﷺ « إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجّداً » أي يسقطون على الوجوه ساجدين ، و إنما خصّ الذقن لأنّ من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه .^(٤)

و في قوله : « قيماً » أي معتدلاً مستقيماً لاتناقض فيه ، أو قيماً على سائر الكتب

(١) في التفسير المطبوع : أن آتى بها كما لم يقدو من كان قبلى من الرسل ، والله تعالى إنما يظهر المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل ، فلا تطالبونى بما لا يطالب به البشر .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٤٣٩-٤٤١ .

(٣) > > > ٤٤٣ .

(٤) > > > ٤٤٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢٣ -

المتقدمة يصدقها و يحفظها وينفي الباطل عنها وهو الناسخ لشرائعها ؛ وقيل : قيساً
لأمور الدين يلزم الرجوع إليه فيها ؛ وقيل : دائماً لا ينسخ ^(١) « فلعلك باخع نفسك
على آثارك » أي مهلك وقاتل نفسك على آثارك قومك الذين قالوا : لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، تمرّداً منهم على ربهم « إن لم يؤمنوا بهذا الحديث » أي
بالقرآن « أسفاً » أي حزناً و تلهفاً و وجداً بإدبارهم عنك و إعراضهم عن قبول ما
آتيتهم به ؛ وقيل : « على آثارك » أي بعد موتهم . ^(٢)

و في قوله : « إلا أن تأتيتهم سنة الأولين » أي لا طلب أن تأتيتهم العادة في
الأوليين من عذاب الاستيصال « أو تأتيتهم العذاب قبلاً » أي مقابلة من حيث يرونها ،
وتأويله أنهم باهتنامهم عن الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمن كرهاً . ^(٣)

و في قوله : « أفحسب الذين كفروا » أي أفحسب الذين جحدوا توحيد الله « أن
يتخذوا عبادي من دوني » أرباباً ينصرونهم ويدفعون عنهم عقابي ، والمراد بالعباد المسيح
والملائكة ؛ وقيل : معناه : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهة وإنسي لأغضب
لنفسي عليهم ولأعاقبهم ؟ ^(٤) « فمن كان يرجو لقاء ربه » أي يطمع لقاء ثوابه . ^(٥)

و في قوله : « فاختلف الأحزاب من بينهم » أي الأحزاب من أهل الكتاب في
أمر عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام كما مرّ . ^(٦)

و في قوله : « قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين » أي أنحن أم أنتم
« خير مقاماً » أي منزلاً ومسكناً ، أو موضع إقامة « و أحسن ندياً » أي مجلساً « هم
أحسن أنافاً ورئياً » قال ابن عباس : الأثاث : المتاع وزينة الدنيا ، والرئي : المنظر و
الهيئة ؛ وقيل : المعني بالآية النضرين الحارث و ذووه ، وكانوا يرجلون شعورهم و
يلبسون أفخر ثيابهم ويفتخرون بشارتهم ^(٧) وهيتهم على أصحاب النبي ﷺ « فليمدد

(١) في التفسير المطبوع : دائماً يدوم و يثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ

(٢) مجمع البيان ٦ : ٤٤٩ و ٤٥٠ .

(٣) > > ٦ : ٤٧٧ . (٤) مجمع البيان ٦ : ٤٩٧ .

(٥) > > ٦ : ٤٩٩ . (٦) > > ٦ : ٥١٤ .

(٧) الشارة : الحسن والجمال . الهيئة : اللباس والزينة . متاع البيت المستحسن .

له الرحمن مدّاً « أمر معناه الخبر ، أي جعل الله جزاء غلالته أن يمدّه بأن يتركه فيها .^(١)

وفي قوله : « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » أفرأيت كلمة تعجيب . وهو العاص ابن وائل ؛ وقيل : الوليد بن المغيرة ؛ وقيل : هو عامّ « وقال لأوتين مالا وولداً » أي في الجنة استهزاءً ، أو إن أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي أعطى في الدنيا مالا وولداً « ونمدّه من العذاب مدّاً » أي نصل له بعض العذاب ببعض فلا ينقطع أبداً « ونرثه ما يقول » أي ما عنده من المال والولد .^(٢)

وفي قوله : « لقد جئتم شيئاً إدّاً » الإدّ : الأمر العظيم ، أي لقد جئتم بشيئ منكر عظيم شنيع « تكاد السموات يتفطرن منه » أي أرادت السموات تنشق لعظم فريتهم وإعظاماً لقولهم « وتخرّ الجبال » أي تسقط « هدّاً » أي كسراً شديداً ؛ وقيل : معناه : هدماً « وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » أي لا يليق به ، وليس من صفته اتّخاذ الولد لأنّه يقتضي حدوده واحتياجه .^(٣) وفي قوله : « قوماً لدّاً » أي شداداً في الخصومة .^(٤) وفي قوله : « أو يحدث لهم ذكراً » أي يجدّد القرآن لهم عظة واعتباراً ؛ وقيل : يحدث لهم شرفاً بإيمانهم به .

« ولا تعجل بالقرآن » فيه وجوه : أحدها أن معناه : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل عليه السلام من إبلاغه ، فإنّه صلّى الله عليه وآله كان يقرء معه و يعجل بتلاوته مخافة نسيانه ، أي تفهّم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه . وثانيها : أن معناه : لا تقرء به أصحابك ولا تملئه حتّى يتبيّن لك معانيه . وثالثها : أن معناه : ولا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه ، لأنّه تعالى إنّما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة .^(٥)

(٢) مجمع البيان ٦ : ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

(٤) > > > ٥٣٣٠ .

(١) مجمع البيان ٦ : ٥٢٦ .

(٣) > > > ٥٣٢٥ ، ٥٣٠ .

(٥) > > > ٣١-٣٢ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢٥ -

وفي قوله : « أولم تأتوهم ببينة ما في الصحف الأولى » أي أولم يأتهم في القرآن بيان ما في كتب الأولى من أنباء الأمم التي أهلكتناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها « قل كل متربص » أي كل واحد منا ومنكم منتظر ، فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وأنتم تتربصون بنا الدوائر . (١)

وفي قوله : « بل قالوا أضغاث أحلام » أي قالوا : القرآن المجيد تخاليط أحلام رآها في المنام « ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها » أي لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قرية جاءتهم الآيات التي طلبوها ، فأهلكناهم مصرين على الكفر « أفهم يؤمنون » عند مجيئها « فاسئلوا أهل الذكر » قال علي عليه السلام : نحن أهل الذكر . (٢) وقيل : أهل التوراة والإنجيل ؛ وقيل : أهل العلم بأخبار الأمم ؛ وقيل : أهل القرآن « فيه ذكركم » أي شرفكم إن تمسكتكم به ، أو ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم و دنياكم . (٣)

وقال البيضاوي في قوله تعالى : « وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما لاعين » وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار ، و تذكرة لذوي الاعتبار « لو أردنا أن نتخذ لهواً » ما يتلهى به ويلعب « لاتخذناه من لدنا » من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجرّدات ، لامن الأجسام المرفوعة ، و الأجرام المبسوطه ، كعادتك في رفع السقوف وتزييقها و تسوية الفروش و تزيينها ؛ وقيل : اللهو : الولد بلغه اليمن ؛ وقيل : الزوجة ؛ والمراد الرد على النصاري « بل نقذف بالحق على الباطل » الذي من عداده اللهو « فيدمغه » فيدمغه .

« ومن عنده » يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم بمنزلة المقرّبين عند الملوك « ولا يستحسرون » أي لا يتعبون منه (٤) « أفان مت فهم الخالدون » نزلت حين قالوا :

(١) مجمع البيان ٧ : ٣٧ .

(٢) في التفسير المطبوع : وروى ذلك عن أبي جعفر عليه السلام .

(٣) مجمع البيان ٧ : ٣٩ و ٤٠ .

(٤) في التفسير المطبوع : ولا يميون منها .

تترقب به ريب المنون «حتى طال عليهم العمر» أي طال أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك وإنه بسبب ما هم فيه .^(١)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها» أي يأتيها أمرنا فينقصها من أطرافها بتخريبها وبموت أهلها ؛ وقيل : بموت العلماء ، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نقصانها : ذهاب عالمها . وقيل : معناه : نقصها من أطرافها بظهور النبي صلى الله عليه وآله على من قاتله أرضاً فأرضاً وقوماً فقوماً ، فيأخذ قراهم وأرضهم .^(٢)

وفي قوله : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر» قيل : الزبور : كتب الأنبياء ، والذكر : اللوح المحفوظ ؛ وقيل : الزبور : الكتب المنزلة بعد التوراة ، والذكر : التوراة ؛ وقيل : الزبور : زبور داود ، والذكر : التوراة «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» قيل : يعني أرض الجنة يرثها عبادي المطيعون ؛ وقيل : هي الأرض المعروفة يرثها أمة محمد بالفتوح ؛ وقال أبو جعفر عليه السلام : هم أصحاب المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان^(٣) «فقل آذنتكم على سواء» أي أعلمتكم بالحرب إعلاماً يستوي نحن وأنتم في علمه ، أو على سواء في الإيدان لم أبين الحق لقوم دون قوم «وإن أدري» أي ما أدري «أقرب أم بعيد ما توعدون» يعني أجل القيامة ، أو الإذن في حربكم «وإن أدري» أي ما أدري «لعله فتنة» أي لعل ما آذنتكم به اختبار لكم ، أو لعل هذه الدنيا فتنة لكم ، أو لعل تأخير العذاب محنة واختبار لكم ، لترجعوا عما أنتم عليه «ومتاع إلى حين» أي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم .^(٤)

وفي قوله تعالى : «ومن الناس من يجادل» قيل : المراد به النضرين الحارث ، والمراد بالشيطان شيطان الإنس ، لأنه كان يأخذ من الأعاجم واليهود ما يطعن به على المسلمين .^(٥)

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٧٧ و ٧٨ و ٨١ و ٨٣ .

(٢) مجمع البيان ٧ : ٤٩ .

(٣) وذكر في التفسير ما يدل على ذلك من روايات كثيرة من طرق العامة راجعه .

(٤) مجمع البيان ٧ : ٦٦ - ٦٨ . (٥) مجمع البيان ٧ : ٧١ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢٧ -

وفي قوله : «ثاني عطفه» أي متكبراً في نفسه ، تقول العرب : نسي فلان عطفه : إذا تكبر وتعجب ، وعطف الرجل : جانباه ؛ وقيل : معناه : لاوى عنقه إعرافاً وتكبراً «ومن الناس من يعبد الله على حرف» أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف ، أي على طرف جبل ونحوه ؛ وقيل : أي على شك ؛ وقيل : يعبد الله بلسانه دون قلبه قيل : نزلت في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه ، و إن أصابه وجع وولدت امرأته جارية قال : ما أصبت في هذا الدين إلا شراً «وإن أصابته فتنة» أي اختبار بجذب وقلة مال «انقلب على وجهه» أي رجع عن دينه إلى الكفر . (١)

وقال البيضاوي في قوله تعالى : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة» المعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة ، فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه ؛ وقيل : المراد بالنصر الرزق والضمير لمن «فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع» أي فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه ، بأن يفعل كل ما يفعله الممتليء غضباً أو المبالغ جزعاً حتى يمدح حبلاً إلى سماء بيته فيختنق ، من قطع : إذا اختنق فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ؛ وقيل : فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه «فليتنظر» فليتصور في نفسه هل يذهب كيده «فعله ذلك» ، وسمّاه على الأوّل كيداً لأنّه منتهى ما يقدر عليه «ما يغيظ» غيظه ، أو الذي يغيظ من نصر الله ؛ وقيل : نزلت في قوم مسلمين استبطؤوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين «يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» أي يثبون ويبطشون بهم «ضعف الطالب والمطلوب» أي عابد الصنم ومعبوده ، أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب ، و الصنم يطلب منه الذباب السلب ، أو الصنم والذباب كأنّه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ، فلو حققت وجدت الصنم أضعف منه بدرجات «ما قدر والله حق قدره» أي ما عرفوه حق معرفته «فذرهم في غمرتهم»

أي في جهالتهم ، شبهتها بالماء الذي يغمر القامة ، لأنهم مغمورون فيها ، أو لاعبون فيها «حتّى حين» أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا «أيحسبون أنما نمدّهم به» إن ما نعطيهم و نجعله مدداً لهم «من مال و بنين» بيان لما وليس خبراً له ، بل خبره «نسارع لهم في الخيرات» والراجع محذوف ، والمعنى : أن الذي نمدّهم به نسارع به فيما فيه خيرهم و إكرامهم ، «بل لا يشعرون» أن ذلك إلا مداً استدراج «ولدينا كتاب» يعني اللوح أو صحيفة الأعمال «بل قلوبهم في غمرة» في غفلة غامرة لها من هذا الذي وصف به هؤلاء ، أو من كتاب الحفظة «ولهم أعمال» خبيثة «من دون ذلك» متجاوزة لما وصفوا به أو من حطة^(١) عمّا هم عليه من الشرك «هم لها عاملون» معتادون فعلها .

«حتّى إذا أخذنا مترفيهم» متنعّميههم بالعذاب ، يعني القتل يوم بدر ، أو الجوع حين دعا عليهم الرسول ﷺ فقال : «اللهم اشدّد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فمحطوا حتّى أكلوا الكلاب والجيف والعظام الماحقة «إذا هم يجأرون» فاجأوا الصراخ بالاستغاثة فقبل لهم : «لاتجأروا اليوم فكنتم على أعقابكم تنكصون» النكوص : الرجوع القهقري «مستكبرين به» الضمير للمبيت ، و شهرة استكبارهم و افتخارهم بأنهم قوامه أغنى عن سبق ذكره ، أولاً يأتي فإنها بمعنى كتابي «سامراً» أي يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه «تهجرون» من الهجر بفتح الهاء ، إمّا بمعنى القطيعة أو الهذيان ، أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه ، أو الهجر بالضم : الفحش «أفلم يدبّروا القول» أي القرآن ليعلموا أنّه الحق «أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين» من الرسول و الكتاب ، أو من الأمن من عذاب الله ، فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون «ولو اتّبع الحق أهواءهم» بأن كان في الواقع آلهة «لفسد السموات و الأرض و من فيهن» كما سبق في قوله تعالى : «ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» .

وقيل : لو اتّبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلا يبقى ، أو لو اتّبع الحق الذي جاء به محمد أهواءهم وانقلب شركاً لجاء الله بالقيامة و أهلك

(١) في المصدر : أو متخطية .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢٩ -

العالم من فرط غضبه ، أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك و المعاصي لخرج عن الألوهية ، ولم يقدر أن يمسك السماوات والأرض « أم تسألهم خرجاً » أجراً على أداء الرسالة « فخراج ربك » رزقه في الدنيا ونوابه في العقبى « خير » لسعته و دوامه « ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضر » يعني القحط ، روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلفز ،^(١) فجاء أبوسفیان إلى رسول الله ﷺ فقال : أُنشدك الله والرحم ، ألسنت تزعمن أنك بعثت رحمة للعالمين ؛ قتلنا الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فنزلت : « ولقد أخذناهم بالعذاب » يعني القتل يوم بدر « ذاعذاب شديد » يعني الجوع ، فإنه أشد من القتل والأسر « إذاهم فيه مبلسون » متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك « قل من بيده ملكوت كل شيء » أي ملكه غاية ما يمكن ؛ وقيل : خزائنه « وهو يجير » يغيث من يشاء ويحرسه « ولا يجار عليه » ولا يغاث أحد ولا يمنع منه ، و تعديته بعلی لتضمين معنى النصرة « إذاً لذهب كل إله بما خلق » أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ، و وقع بينهم التحارب والتغالب ، كما هو حال ملوك الدنيا ، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء ، واللازم باطل بالإجماع والاستقراء ، وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب .^(٢)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله : « ويقولون آمنا بالله » قيل : نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة ، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ؛ وحكى البلخي أنه كانت بين علي بن أبي طالب و عثمان منازعة في أرض اشتراها من علي بن أبي طالب ، فخرجت فيها أحجار وأراد ردها بالعيب فلم يأخذها ، فقال : بيني وبينك رسول الله ﷺ ، فقال الحكم بن أبي العاص : إن حاكمته إلى ابن عمه حكم له فلا تحاكمه إليه ، فنزلت

(١) في القاموس : العلفز بالكسر : القراد الضخم . و طعام من الدم والوبر كان يتخذ في الجماعة ، والنايب المسنة وفيها بقية . و نبات ينبت ببلاد بني سليم .

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٩٨ و ١١١ و ١١٢ و ١٢٢ و ١٢٧ وفيه : إلى واجب واحد .

الآيات ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أوقريب منه « وإن يكن لهم الحق » أي وإن علموا أن الحق يقع لهم « يأتوا إليه » أي إلى النبي صلى الله عليه وآله مذعنين مسرعين طامعين « أفي قلوبهم مرض » أي شك في نبوتك ونفاق ؟ « أم ارتابوا في عدلك » أي رأوا منك ما رايبهم لأجله أمرك ؟ ^(١)

و في قوله : « وأقسموا بالله جهداًيمانهم » لما بين الله سبحانه كراحتهم لحكمه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله : والله لو أمرتنا بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا فنزلت ، والمعنى : حلفوا بالله ألا غلظ أيمانهم و قدر طاقتهم إنك إن أمرتنا بالخروج إلى غزواتك لخرجنا « قل لهم لا تقسموا » أي لا تحلفوا ، و تم الكلام « طاعة معروفة » أي طاعة حسنة للنبي صلى الله عليه وآله خالصة صادقة أفضل وأحسن من قسمكم ^(٢) وقيل : معناه : ليكن منكم طاعة « فإتباعاً عليه ما حمل » أي كلف وأمر . ^(٣)

و في قوله : « وأعانه عليه قوم آخرون » قالوا : أعان محمداً على هذا القرآن عداس مولى خويط ^(٤) بن عبد العزى ، ويسار غلام العلاء بن الحضرمي ، و حبر مولى عامر ، وكانوا من أهل الكتاب ؛ وقيل : إثمهم قالوا : أعانه قوم من اليهود « فقد جاءوا ظلماً وزوراً » أي شركاً وكذباً ، وإتباعاً اكتفى بذلك في جوابهم لتقدم ذكر التحدى وعجزهم عن الإتيان بمثله « وقالوا أساطير الأولين » أي هذه أحاديث المتقدمين و ما سطروه في كتبهم « اكتبها » انتسخها ؛ وقيل : استكتبها « فهي تملأ عليه بكرة » و أصيلاً « أي تملأ عليه طرفي نهاره حتى يحفظها وينسخها . ^(٥)

و قال البيضاوي في قوله تعالى : « قل أنزلني الذي يعلم السر في السموات والأرض » لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته ، وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقبلية ، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار ، فكيف يجعلونه أساطير الأولين ؟ « وقالوا

(١) مجمع البيان ٧ : ١٥٠ .

(٢) في التفسير المطبوع : من قسمكم بما لا تصدقون به .

(٣) مجمع البيان ٧ : ١٥١ .

(٤) في التفسير المطبوع : حويط .

(٥) مجمع البيان ٧ : ١٦١ .

ج باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٣١ -

ما ل هذا الرسول يأكل الطعام كما نأكل « ويمشي في الأسواق » لطلب المعاش كما نمشي ،
وذلك لعدمهم وقصور نظرهم على المحسوسات ، فإن تميز الرسل عنهم عداهم ليس
بأمر جسمانية ، وإنما هو بأحوال نفسانية .^(١)

و في قوله : « وجعلنا بعضكم » أي الناس « لبعض فتنة » أي ابتلاء ، ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالأغنياء ، والمرسلين بالمرسل إليهم « أتصبرون » علة للمجعل ، والمعنى :
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ؟^(٢)

و في قوله : « كذلك لنثبت به فؤادك » أي كذلك أنزلناه متفرقاً لتقوي بتفريقه
فؤادك على حفظه وفهمه ، لأن حاله يخالف حال موسى و داود و عيسى حيث كان
أمةياً و كانوا يكتبون ، فلو ألقى إليه جملة لتعبي بحفظه ،^(٣) ولأن نزوله بحسب
الوقائع يوجب مزيد بصيرة وخوض في المعنى ، ولأنه إذا نزل منجماً^(٤) وهو يتحدث
بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ، ولأنه إذا نزل به جبريل عليه السلام
حالا بعد حال يثبت به فؤاده ، ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ، ومنها انضمام القرائن
الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة « ورتلناه ترتيلاً » أي قرأناه
عليك شيئاً بعد شيء على تودة و تمهل في عشرين سنة ، أو في ثلاث و عشرين سنة ،
« ولا يأتونك بمثل » بسؤال عجيب « إلا جئناك بالحق » الدامغ له في جوابه « وأحسن
تفسيراً » أي ما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم ، أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون :
هلا كانت هذه حاله ؟ إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن
كشفاً لما بعثت له .^(٥)

و في قوله : « وكان الكافر على ربه ظهيراً » يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
« إلا من شاء » أي إلا فعل من شاء « أن يتخذ إلى ربه سبيلاً » أن يتقرب إليه ، فصود
ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله ، واستثناء منه قلماً لشبهة الطمع و
إظهاراً لغاية الشفقة ، حيث اعتدّ بإفئادك نفسك بالتعرض للشوَاب و التخلص عن

(٢) انوار التنزيل ٢ : ١٥٩ .

(٤) أي في أوقات معينة .

(١) انوار التنزيل ٢ : ١٥٥ .

(٣) كذا في النسخ .

(٥) انوار التنزيل ٢ : ١٦٢ .

العقاب أجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه ؛ وقيل : الاستثناء منقطع ، معناه : لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل .^(١)

و في قوله : « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية » أي دلالة ملجئة إلى الإيمان أو بليمة قاسرة إليه « فظلمت أعناقهم لها خاضعين » أفحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله ؛ وقيل : لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم ؛ وقيل : المراد بها الرؤساء أو الجماعات « من كل زوج » صنف « كريم » محمود كثير المنفعة .^(٢)

و في قوله : « وإِنَّه لفي زبر الأولين » أي وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة « أولم يكن لهم آية » على صحة القرآن أو نبوة محمد ﷺ « أن يعلمه علماء بني إسرائيل » أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » كما هو زيادة في إعجازه ، أو بلغة العجم « فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين » لفرط عنادهم واستكبارهم ، أولعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم « كذلك سلكناه » أي أدخلنا القرآن « وما ننزل به » أي بالقرآن « الشياطين » كما يزعمه بعض المشركين^(٣) « وما ينبغي لهم » إنزال ذلك ولا يقدرّون عليه إنهم مصروفون عن استماع القرآن ممنوعون بالشهب .^(٤) « وأنذر عشيرتك الأقربين » الأقرب منهم فالأقرب ، فإنّ الاهتمام بشأنهم أهمّ ، و روي أنّه لما نزلت صعد الصفا و ناداهم فخذاً فخذاً حتّى اجتمعوا إليه ، فقال : لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنّني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد . « واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين » ليّن جانبك لهم ، مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحطّ « الذي يراك حين تقوم » إلى التهجّد « وتقلّبك في الساجدين » وتردّدك في تصفّح أحوال المجتهدين ، كما روي أنّه ﷺ لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة

(١) انوار التنزيل ٢ : ١٦٨ .

(٢) > > ٢ : ١٧٣ .

(٣) في التفسير المطبوع : كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة .

(٤) لم نجد ذلك في انوار التنزيل ، بل هو موجود في مجمع البيان راجعاً .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٢٣ -

بديوت أصحابه لينظر ما يصنعون ، حرصاً على كثرة طاعاتهم ، فوجدها كبيوت الزناير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة ؛ أو تصرّفك فيما بين المصلّين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أمّمتهم « تنزل على كلّ أفكّ أئيم » لمّا بيّن أن القرآن لا يصحّ أن يكون ممّا تنزّل به الشياطين أكّد ذلك بأن بيّن أن محمداً لا يصلح أن يتنزّلوا عليه من وجهين : أحدهما : أنّه إنّما يكون على شرير كذاب كثير الإثم ، فإنّ اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهم من التناسب والتواء ، وحال محمّد - ﷺ - على خلاف ذلك . وثانيهما : قوله : « يلتقون السمع » أي الأفلاك يكون يلتقون السمع إلى الشياطين فيلتقون منهم ظنوناً وأمارات لتقصان علمهم ، فيضمّون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها ، ولا كذلك محمّد ﷺ فإنّه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصي ، وقد طابق كلّها ، وقد فسّر الأكثر بالكلّ لقوله : « على كلّ أفكّ » والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلّ من يصدق منهم فيما يحكي عن الجنّيّ ؛ وقيل : الضمائر للشياطين ، أي يلتقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجوا فيخطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم ، أو يلتقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم .^(١)

و في قوله : « بل هم قومٌ يعدلون » أي عن الحقّ الذي هو التوحيد .^(٢) و في قوله : « لولا أن تصيبهم مصيبةٌ » لولا الأولى امتناعيّة ، والثاني تحضيضيّة ، والمعنى : لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبةٌ بسبب كفرهم ومعاصيهم : ربّنا هلاً أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فننتبّعها ونكون من المصدّقين ما أرسلناك « هو أهدى منهما » أي ممّا أنزل على موسى وعليّ « ولقد وصّلنا لهم القول » أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتّصل التذكير ، أو في النظم ليتقرّر الدعوة بالحجّة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر .^(٣)

و في قوله : « جعل فتنة الناس » أي ما يصيبهم من أذيتهم في الصرف عن الإيمان « كعذاب الله » في الصرف عن الكفر « ولئن جاء نصرٌ من ربّك » فتح وغنيمة « ليقولنّ إنّنا كنّا معكم » في الدين فأشركونا فيه ، والمراد المنافقون ، أو قوم ضعف إيمانهم فارتدّوا من

(١) انوار التنزيل ٢ : ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) > > > ٢٠٣ .

(٣) > > > ٢١٨ و ٢١٩ .

أذى المشركين « وليحملن أثقالهم » أي أثقال ما اقترفته أنفسهم « وأثقالاً مع أثقالهم » وأثقالاً آخر معها لما تسببوا له بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء. (١)

وفي قوله : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء » فيما اتخذوه معتمداً و متكللاً « كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً » فيما نسجه من الغور (٢) والوهن ، بل ذلك أوهن ، فإن لهذا حقيقة و انتفاعاً ما ؛ أمثلهم بالإضافة إلى الموحّد كمثلته بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً من حجر و جص ؛ ويعجز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم ، سمّاه به تحقيقاً للمثيل ، فيكون المعنى : وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم. (٣)

وفي قوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » أي بالخصلة التي هي أحسن ، كمعارضة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم ؛ وقيل : منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه ، وجوابه أنّه آخر الدواء ؛ وقيل : المراد به ذوو العهد منهم ، « إلا الذين ظلموا منهم » بالإفراط في الاعتداء والعناد ، أو بإثبات الولد ، و قولهم : يدالله مغلولة ، أو بنبد العهد ومنع الجزية « فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به » هم عبدالله بن سلام وأضرابه ، أو من تقدّم عهد الرسول من أهل الكتاب « ومن هؤلاء » أي ومن العرب ، أو أهل مكّة ، أو ممّن في عهد الرسول من أهل الكتاب. (٤)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « في صدور الذين أوتوا العلم » : هم النبي ﷺ والمؤمنون به ، لأنّهم حفظوه ووعوه ؛ وقيل : هم الأئمة من آل محمد ﷺ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام « ويتخطّف الناس من حولهم » أي يقتل الناس بعضهم بعضاً فيما حولهم وهم آمنون في الحرم « أفبالباطل يؤمنون » أي يصدّقون بعبادة الأصنام وهي باطلة مضمحلّة. (٥)

(١) انوار التنزيل ٢ : ٢٢٨ و ٢٢٩ .

(٢) الغور : الفتور والضعف .

(٣) انوار التنزيل ٢ : ٢٣٤ .

(٤) انوار التنزيل ٢ : ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٥) مجمع البيان ٨ : ٢٨٨ و ٢٩٣ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٣٥ -

وقال البيضاء في قوله تعالى : « وأنازوا الأرض » : أي قلبوا وجهها لاستنباط المياه و استخراج المعادن و زرع البذور وغيرها . (١)

وفي قوله : « ضرب لكم مثلاً » في عبادة الأصنام « من أنفسكم » أي منتزعاً من أحواله التي هي أقرب الأمور إليكم « هل لكم ممّا ملكتم أيما من شركاء فيما رزقناكم » من الأموال وغيرها « فأنتم فيه سواء » فتكونون سواء أنتم وهم فيه شركاء يتصرفون فيه كنصرفكم مع أنه بشرٌ مثلكم وأنتم معاراة لكم « تخافون » هم إن تستبدوا بتصرف فيه « كخيفتكم أنفسكم » كما تخاف الأحرار بعضهم من بعض « كذلك نفصل الآيات » نبيّنها « لقوم يعقلون » يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال « ليكفروا بما آتيناهم » اللّام فيه للعاقبة ؛ و قيل : لأنهم بمعنى التهديد ، كقوله : « فتمتعوا » غير أنه التفت فيه مبالغة « فسوف تعلمون » عاقبة تمتعكم « أم أنزلنا عليهم سلطاناً » أي حجة ؛ و قيل : ذا سلطان ، أي ملكاً معه برهان « فهو يتكلم » تكلم دلالة ، كقوله : « كتابنا ينطق عليكم بالحق » أو نطق « بما كانوا به يشركون » بإشراكهم و صحته ، أو بالأمر الذي بسببه يشركون في ألوهيته . (٢)

وفي قوله : « فرأوه مصفراً » أي فرأوا الأثر أو الزرع ، فإنه مدلولٌ عليه بما تقدّم ؛ و قيل : السحاب ، لأنه إذا كان مصفراً لم يمطر « فإنك لا تسمع الموتى » و الكفار مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم « ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين » قيّد الحكم به ليكون أشدّ استحالة ، فإن الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئاً « وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم » سمّاهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار ، أو لعمى قلوبهم « ولا يستغفنونك » أي ولا يحملنك على الخفة والقلق « الذين لا يوقنون » بتكذيبهم . (٣)

وقال الطبرسي رحمه الله : نزل قوله : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » في النضر بن الحارث ، كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم ويحدث بها قريشاً ، ويقول لهم : إن محمداً ﷺ - يحدثكم بحديث عاد و ثمود ، وأنا أحدكم

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٢٤١ .

(٢) > > > ٢٤٥ و ٢٤٦ .

(٣) > > > ٢٤٦ و ٢٥١ .

بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن، عن الكلبي؛ وقيل: نزل في رجل اشترى جارية تغذيه ليلاً ونهاراً، عن ابن عباس؛ وأكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء، وهو قول ابن عباس و ابن مسعود وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله وأبي الحسن الرضا صلوات الله عليهم، قالوا: منه الغناء.

و روي أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: هو الطعن في الحق والاستهزاء به وما كان أبوجهل وأصحابه يجيئون به، إذ قال: يامعشر قريش ألا أطمعكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم؟ ثم أرسل إلى زيد وتمر وقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفكم به؛ قال أبو عبدالله عليه السلام: ومنه الغناء، فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شيء يلهمي عن سبيل الله وعن طاعته «ويتخذها» أي آيات القرآن أو سبيل الله «هزوا» يستهزئ بها «كأن في أذنيه قرأ» أي ثقلاً يمنع عن سماع الآيات. (١)

وفي قوله: «بغير عمد ترونها» إذ لو كان لها عمد لرأيتموها، لأنها لو كانت تكون أجساماً عظماً حتى يصح منها أن تقل السماوات، ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر، فكان يتسلسل، فإذا لامد لها؛ وقيل: إن المراد بغير عمد مرئية، والمعنى أن لها عمداً لا ترونها «والقى في الأرض رواسي» أي جبلاً ثابتة «أن تميد بكم» أي كراهة أن تميد بكم. (٢)

وفي قوله: «أولوكان الشيطان يدعوهم» جواب لو محذوف، تقديره: أولوكان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لا تبعوهم «ومن يسلم وجهه إلى الله» أي ومن يخلص دينه لله ويقصد في أفعاله التقرب إلى الله «وهو محسن» فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع «فقد استمسك بالعروة الوثقى» أي فقد تعلّق بالعروة الوثيقة التي لا انفصام لها «والى الله عاقبة الأمور» أي وإلى الله يرجع أواخر الأمور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر والنهي. (٣)

(١) مجمع البيان ٨ : ٣١٣ و ٣١٤ .

(٢) > ٣١٤ .

(٣) > ٣٢٠ و ٣٢١ :

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٣٧ -

وفي قوله : « كالظلمل » شبه الموح بالسمحاب الذي يركب بعضه على بعض ؛ و قيل : يريد كالجبال « فمنهم مقتصد » أي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له ، روى السدي عن مصعب بن معد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر قال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن أخطل ، وقيس بن سبابة ، وعبد الله بن أبي سرح ؛ فأهنا عكرمة فركب البحر فأصابته ريح عاصفة ، فقال أهل السفينة : أخلصوا فإن آلهمكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا ، فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه إني آتي محمداً حتى أضع يدي في يده ، فلا جدته عفواً كريماً ، فجاه فأسلم . والختر : أقبح الغدر .^(١)

وفي قوله : « ما أتتهم من نذير من قبلك » يعني قريشاً ، إذ لم يأتهم نبي قبل نبينا ﷺ ، وإن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسي ؛ وقيل : يعني أهل الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ لم يأتهم نبي قبله « في ستة أيام » أي فيما قدره ستة أيام « ثم استوى على العرش بالقهر والاستعلاء ».^(٢)

وفي قوله : « أولئك لهم عذاب من رجز » أي سيء العذاب « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض » كيف أحاطت بهم وذلك أن الإنسان حينما نظر رأى السماء والأرض قد آماه وخلفه وعن يمينه وشماله ، فلا يقدر على الخروج منها « كسفاً » من السماء أي قطعة منها تغطيهم وتهلكهم .^(٣)

« وماله منهم من ظهير » أي ليس له سبحانه منهم معاون على خلق السماوات والأرض ولا على شيء من الأشياء « وإنا أويناكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » إنما قال ذلك على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك ، كما يقول القائل : أحدنا كاذب ، وإن كان هو عالماً بالكاذب « ثم يفتح بيننا أي يحكم بالحق ».^(٤)

(١) مجمع البيان ٨ : ٣٢٣ .

(٢) ٣٢٦ و ٣٢٥ : ٨ >

(٣) ٣٧٩ و ٣٧٧ : ٨ >

(٤) ٣٩٠ و ٣٨٩ : ٨ >

وقال البضاوي في قوله تعالى : « قل أروني الذين ألحقتم به شركاء » : أي لا ترى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة ؟ وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجّة عليهم زيادة في تبكيّتهم « وما أرسلناك إلا كافّة للناس » أي لإرساله عامّة لهم ، من الكفّ فإنّها إذا عمّتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم ، أو لإجامعاً لهم في الإبلّاغ ، فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » فيها دليل على صحّة الإشراف « وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير » يدعوهم إليه وينذرهم على تركه ، و قد بان من قبل أن لا وجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة ؟ « قل إنما أعظكم بواحدة » أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي مادلّ عليه « أن تقوهوا لله » وهو القيام من مجلس رسول الله ﷺ ، أو الانتصاب في الأمر خالصاً لوجه الله معرضاً عن المراء والتقليد « منى وفراى » متفرّقين اثنين اثنين ، واحداً واحداً ، فإنّ الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول « ثمّ تنفّكروا » في أمر محمّد ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقة « ما بصاحبكم من جنّة » فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك ، أو استيناف منبّه لهم ، على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه ، فإنّه لا يدعه أن يتصدّى لادّعاء أمر خطير من غير وثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك ، فكيف وقد انضمّ إليه معجزات كثيرة ؟ وقيل : ما استفهامة ، والمعنى : ثمّ تنفّكروا أي شيء به من آثار الجنون ؟ « قل ما سألتكم من أجر » أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة « فهو لكم » والمراد نفى السؤال ؛ وقيل : ما موصولة يراد بها ما سألتهم بقوله : « ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً » ^(١) وقوله : « لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى » ^(٢) واتّخاذ السبيل ينفعهم ، وقرباه قرباهم « قل إنّ ربّي يقذف بالحقّ » يليقه وينزله على من يجتنيه من عباده أو يرمي الباطل فيدمغه ، أو يرمي به إلى أقطار الأرض فيكون وعداً باظهار الإسلام « وما يبدى الباطل وما يعيد » أي زهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحيّ ، فإنّه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة ؛ وقيل : الباطل : إبليس أو الصنم ، والمعنى : لا ينشئ خلقاً

ج٤ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم ١٣٩-

ولا يعيده ، أولاً يبدى خيراً لآلهه ولا يعيده ؛ وقيل : ما استهامة منتصبة بما بعده .^(١)
وفي قوله : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً » أي كمن لم يزين له بل وفق
حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه ، فحذف الجواب
لدلالة « فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء » وقيل : تقديره : أفمن زين له سوء
عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة ؟ فحذف الجواب لدلالة « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات »
عليه ، ومعناه : فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيرهم وإصرارهم على التكذيب
« ما يملكون من قطمير » هو لفافة النواة « ولو سمعوا » على سبيل الفرض « ما استجابوا
لكم » لعدم قدرتهم على الإقناع ، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم « و يوم القيمة
يكفرون بشركم » بأشراككم لهم يقرّون ببطلانه ، أو يقولون : ما كنتم إيماناً
تعبدون « ولا ينبئك مثل خبير » ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به أخبرك و
هو الله سبحانه ، فإنّه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين « وما يستوي الأعمى
والبصير » الكافر والمؤمن ؛ وقيل : مثلاً للصنم والله عز وجل « ولا الظلمات ولا النور » ولا
الباطل ولا الحق « ولا الظل ولا العرور » ولا الثواب ولا العقاب « وما يستوي الأحياء ولا
الأموات » تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ، و لذلك كرّر الفعل ؛ و
قيل : للعلماء والجهلاء « إن الله يسمع من يشاء » هدايته فيوقفه لفهم آياته والاتعاظ
بعظاته « وما أنت بمسمع من في القبور » ترشيح لتمثيل المصّرّين على الكفر بالأموال
ومبالغة في إقناطه عنهم « بالبينات » بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم « وبالزبر » كصحف
إبراهيم « وبالكتاب المنير » كالنوراة والإنجيل على إرادة التفصيل دون الجمع ، ويجوز
أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين « أم آتيناهم كتاباً ينطق » على أننا اتخذنا
شركاء « فهم على بينة منه » على حجة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ،
و يجوز أن يكون (هم) للمشركين « ولا يحق » أي لا يحيط « فهل ينظرون » ينتظرون
« إلا سنة الأولين » سنة الله فيهم بتعذيب مكذّبيهم « فلن تجد لسنة الله تبديلاً » ولن

تجد لسنة الله تحويلاً « أي لا يبدل لها بجعل غير التعذيب تعذيباً ولا يحول لها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم ^(١) .

وفي قوله : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم » الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة أو نوازل السماء ونوائب الأرض ، كقوله : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض » أو عذاب الدنيا و عذاب الآخرة ، أو عكسه ، أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله » على محاويجكم « قال الذين كفروا » بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة « للذين آمنوا » تهكمًا بهم من إقرارهم به وتعليقهم الأمور بمشيئته « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » على زعمكم وقيل : قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ، إيهاماً بأن الله لمسا كان قادراً أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك ، وهذا من فرط جهالتهم ، فإن الله تعالى يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له ^(٢) .

« وما علمناه الشعر » رد لقولهم : إن محمداً ﷺ شاعر ، أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فإنه غير مقفى ولا موزون ، وليس معناه ما يتوخاه ^(٣) الشعراء من التخيلات المرغبة والمنقرة « وما ينبغي له » وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحواً من أربعين سنة ؛ وقوله :

أنا النبي لا كذب * وأنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا إصبع دمية * و في سبيل الله هالقيت

اتفاقي من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك ، وقد يقع مثله كثيراً في تضاعيف المنشورات ، على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعراً ، هذا وقد روي أنه حرّك البائين وكسر التاء الأولى بلا إشباع ، و سكن الثانية ؛ وقيل : الضمير للقرآن ، أي وما يصح للقرآن أن يكون شعراً « إن هو إلا ذكر » عظة وإرشاد من الله « وقرآن

(١) انوار التنزيل ٢ : ٢٩٧ و ٣٠٠ و ٣٠٩ و ٣٠٥ .

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٣١٣ .

(٣) توخى الامر : تمده وتطلبه دون سواء .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٤١ -

مبين « وكتابٌ سماويٌّ يتلى في المعابد ظاهر أنه ليس كلام البشر لمافيه من الإعجاز « لينذر» القرآن أو الرسول «من كان حياً» عاقلاً فهماً ، فإن الغافل كالميت ، أو مؤمناً في علم الله ، فإن الحياة الأبدية بالإيمان ، وتخصيص الإنذار به لأنه المنفعة به « ويحق القول » و يجب كلمة العذاب « على الكافرين » المصرين على الكفر « واتخذوا من دون الله آلهة » أشركوها به في العبادة « لعلهم ينصرون » رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور^(١) والأمر بالعكس ، لأنه « لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جندٌ محضون » معدون لحفظهم والذب عنهم ، أو محضون أثرهم في النار .^(٢)

و في قوله : « فاستفتهم » أي فاستخبرهم ، والضمير لمشركي مكة ، أو لبني آدم « أهم أشد خلقاً أم من خلقنا » يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما و المشارق والكواكب و الشهب الشواقب ، و من لتغليب العقلاء « إنما خلقناهم من طين لازب » والمراد إثبات المعاد ورد استحالتهم بأن استحالة ذلك إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد ، وقد علموا أن الإنسان الأول إنما تولد منه ، إنما لا عترفهم بحدوث العالم ، أو بقصة آدم على نبيينا وآله وعليه السلام ، وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بالتوسط بواسطة ، فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك ، وإما لعدم قدرة الفاعل ، فإن من قدر على خلق هذه الأشياء قدر على ما لا يعتد به بالإضافة إليها ، سيما ومن ذلك بدأهم أولاً ، وقدرته ذاتية لا تتغير « بل عجبنا » من قدرة الله وإنكارهم البعث « ويستخرون » من تعجبك وتقريبك للبعث .^(٣)

« وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً » يعني الملائكة ، ذكرهم باسم جنسهم وضعاً

(١) من حزبه الويل : أصابه واشتد عليه .

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٣١٧ .

(٣) » » ٣٢١ : ٣

منهم أن يبلغوا هذه المرتبة؛ وقيل: قالوا: إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة؛ وقيل: قالوا: الله والشيطان أخوان «ولقد علمت الجنة أنهم» أن الكفرة أو الإانس أو الجنة إن فسرت بغير الملائكة «لمحضرون» في العذاب «سبحان الله عما يصفون» من الولد والنسب «إلا عباد الله المخلصين» استثناء من المحضرين منقطع أو متصل إن فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض، أو من يصفون «فإنكم وما تعبدون» عود إلى خطابهم «ما أنتم عليه» أي على الله «بفائتين» مفسدين الناس باغوائهم «إلا من هو صالح الجحيم» إلا من سبق في علم الله تعالى أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة، و(أنتم) ضمير لهم ولا لهم، غلب فيه المخاطب على الغائب، ويجوز أن يكون «وما تعبدون» لما فيه من معنى المقارنة ساداً مسدداً للخبر، أي إنكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما أنتم على ما تعبدونه بفائتين بفاعلين على طريق الفتنة إلا ضالاً مستوجباً للنار مثلكم «وما منّا إلا له مقام معلوم» حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم، والمعنى: وما منّا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتها إلى أمر الله في تدبير العالم، ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله: «سبحان الله» من كلامهم ليتصل بقوله: «ولقد علمت الجنة».

«وإننا لنحن الصاقون» في أداء الطاعة ومنازل الخدمة «وإننا لنحن المسبّحون» المنزهون الله عما لا يليق به «وإن كانوا ليقولون» يعني مشركي قريش «لو أن عندنا ذكراً من الأولين» كتاباً من الكتب التي نزلت عليهم «لكننا عباد الله المخلصين» لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم «فكفروا به» أي لما جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها «فسوف يعلمون» عاقبة كفرهم «فتول عنهم حتى حين» أي يوم بدر؛ وقيل: يوم الفتح «وأبصرهم» على ما ينالهم حينئذ «فسوف يبصرون» ما قضينا لك من التأيد والنصرة والثواب في الآخرة «أفبعذابنا يستعجلون» روي أنه نزل «فسوف يبصرون» قالوا: متى هذا؟ فنزل «فإذا نزل بساحتهم» فإذا نزل العذاب بفنائهم «فساء صباح المُنذرين» أي فبئس صباح المُنذرين صباحهم (١).

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٤٣ -

وفي قوله : « في عزّة » أي استكباراً عن الحق « وشقاق » خلاف لله ولرسوله « فنادوا » استغاثة أو توبة و استغفاراً « ولات حين مناص » أي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد ؛ وقيل : هي النافية للمجنس أي ولا حين مناص لهم ؛ وقيل : للفعل والنصب بإضماره أي ولا أرى حين مناص . (١)

وقال الطبرسي رحمه الله : قال المفسرون : إن أشرف قريش - وهم خمسة وعشرون - منهم : الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأبوجهل وأبي وأمية - ابن خلف - وعتبة وشيبة - ابنا ربيعة - والنضر بن الحارث أتوا أبطالاً وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك تقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فإنه سفته أحلامنا ، وشم آلهتنا ، فدعا أبطال رسول الله ﷺ وقال : يا بن أخي هؤلاء قومك يسألونك ، فقال : ماذا يسألونني ؟ قالوا : دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك ، فقال ﷺ : أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم ؟ فقال له أبوجهل : لله أبوك نعطيك ذلك وعشر أمثالها ، فقال : قولوا : لا إله إلا الله ، فقاموا وقالوا : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً » فنزلت هذه الآيات .

وروي أن النبي ﷺ استعبر (٢) ثم قال : يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ماترت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه ، فقال له أبطال : امض لأمرك فوالله لأأخذك أبداً . (٣)

وقال البيضاوي : « وانطلق الملأ منهم » أي وانطلق أشرف قريش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم (٤) رسول الله ﷺ « أن امشوا واصبروا » واثبتوا (٥) « على آلهتكم » على عبادتها « إن هذا لشيء يراد » إن هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له ، أو إن هذا الرأي الذي يدعيه من التوحيد أوقفه من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريد كل أحد ، أو إن دينكم يطلب ليؤخذ منكم

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٢٣٧ .

(٢) أي جرت عبرته ، والعبرة : الدفعة .

(٣) مجمع البيان ٨ : ٤٦٥ .

(٤) أي غلبهم بالحجة .

(٥) في المصدر هكذا : « أن امشوا » قائلين بعضهم لبعض : امشوا « واصبروا » واثبتوا .

«ما سمعنا بهذا» بالذي يقوله «في الملة الآخرة» في الملة التي أدركنا عليه آباءنا، أو في ملة عيسى التي هو آخر الملل، فإن النصارى يثلاثون؛ ويجوز أن يكون حالاً من هذا، أي ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهنة بالتوحيد كائناً في الملة المترقبة «إن هذا إلا اختلاق» كذب اختلقه «أم عندهم خزائن رحمة ربك» بل أعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يتخيروا للنبوّة من شاءوا «أم لهم ملك السموات» أي ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه، فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها؟ «فليرتقوا في الأسباب» أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحي إلى من يستصوبونه، والسبب في الأصل؛ هو الوصلة؛ وقيل: المراد بالأسباب السماوات لأنّها أسباب الحوادث السفلية «جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب» أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل، مهزوم مكسور عما قريب، فمن أين لهم التدابير الإلهية؟ أو فلا تكثرت^(١) بما يقولون^(٢).

«قل هو نبيّ عظيم» أي ما أنبأتكم به من أنبي نذير من عقوبة من هذه صفته و إنبه واحداً في الألوهية؛ وقيل: ما بعده من نبي آدم «ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون» فإن إخباره عن تقاويل الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي^(٣). «وما أنا من المتكلفين» المتصنعين بما لست من أهله على ما عرفت من حالي فأنتحل النبوّة و أتقول القرآن «بعد حين» بعد الموت، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام^(٤).

وفي قوله: «والذين اتخذوا من دونه أولياء» يحتمل المتخذين من الكفرة، والمتخذين من الملائكة وعيسى والأصنام، على حذف الراجع، وإضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم، وهو مبتدئ خبره على الأول: «ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» بإضمار القول، أو «إن الله يحكم بينهم» وهو متعين على الثاني،

(١) أي لا تهابه ولا نباله .

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٣٣٩ .

(٣) انوار التنزيل ٢ : ٣٥٠ .

(٤) » » ٢ : ٣٥٢ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٤٥ -

وعلى هذا يكون القول المضمّر بما في حيّزه حالاً أو بدلاً من الصلة، وزلفى مصدرٌ أو حال «لو أراد الله أن يتّخذ ولدًا» كما زعموا «لا صطفى ممّا يخلق ما يشاء» إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين، ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه، ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له. ثمّ قرّر ذلك بقوله سبحانه: «هو الله الواحد القهار» فإنّ الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية، وهي تنافي المماثلة فضلاً عن التولد، لأنّ كلّ واحد من المثلين مرّكب من الحقيقة المشتركة والتعيين المخصوص، والقهرية المطلقة تنافي قبول الزوال المذحج إلى الولد^(١) «نسي ما كان يدعو إليه» أي نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه، وأوربه الذي كان يتضرّع إليه^(٢).

«أفمن شرح الله» خبره محذوف دلّ عليه قوله: «فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله» أي من أجل ذكره^(٣).

«ضرب الله مثلاً» للمشرك والموحّد «رجالاً فيه شركاء متشاكسون ورجالاً سلماً لرجل» مثّل المشرك - على ما يدّعيه مذهبه^(٤) من أن يدّعي كلّ واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعا فيه - بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في المهام المختلفة في تحييره وتوزّع قلبه، والموحّد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل^(٥).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: «ويخوفونك بالذين من دونه»: كانت الكفّار تخيفه بالأوثان التي كانوا يعبدونها، قالوا: أما تخاف أن تهلكك آلهتنا؟^(٦) وقيل: إنّه لما قصد خالد لكسر العزّي بأمر النبي ﷺ قالوا: إياك يا خالد فبأسها شديد، فضرب خالد أنفها بالفأس فهشمها فقال:

كفرانك يا عزّي لا سبحانه ✽ سبحانه من أهانك. (٧)

- | | |
|---|---------------------------------------|
| (١) أنوار التنزيل ٢ : ٣٥٢ . | (٢) أنوار التنزيل ٢ : ٣٥٤ . |
| (٣) > > ٢ : ٣٥٧ . | (٤) في المصدر : على ما يقتضيه مذهبه . |
| (٥) > > ٢ : ٣٥٨ . | (٦) > > : إنا نغاف أن تهلكك آلهتنا . |
| (٧) في المصدر زيادة وهي : اني رأيت الله قد أهانك . راجع مجمع البيان ٨ : ٤٩٩ . | |

« أولو كانوا لا يملكون شيئاً » من الشفاعة « ولا يعقلون » جواب هذا الاستفهام محذوف ، أي أولو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم شفعاء و تعبدونهم راجين شفاعتهم ؟ « قل لله الشفاعة جميعاً » أي لا يشفع أحد إلا بأذنه « وإذا ذكر الله وحده اشمازت » أي نفرت ؛ وقيل : انقبضت .^(١)

وقال البيضاوي : « واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم » أي القرآن ؛ أو المأمور به دون المنهي عنه ؛ أو العزائم دون الرخص ؛ أو الناسخ دون المنسوخ ؛ و لعله ما هو أنجى وأسلم كالإنبابة والمواظبة على الطاعة .^(٢) « إن الذين يجادلون في آيات الله عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود حين قالوا : لست صاحبنا ، بل هو المسيح بن داود ، يبلغ سلطانه البر والبحر ، و تسير معه الأنهار » إن في صدورهم إلا كبراً « إلا تكبر عن الحق ، و تعظم عن التفكر والتعلم ، أو إرادة الرياسة ، أو أن النبوة والملك لا يكون إلا لهم » ما هم بباليغيه « بباليغ دفع الآيات أو المارد « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » فمن قدر على خلقها أولاً من غير أصل قدر على خلق الإنسان ثانياً من أصل .^(٣)

« فإذا جاء أمر الله » أي بالعذاب في الدنيا والآخرة « قضى بالحق » بإنجاء الملحق و تعذيب المبطل « و خسر هنالك المبطلون » المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها .^(٤)

و في قوله : « قلوبنا في أكنته » أي في أغطية ، و هذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك ما يدعواهم إليه واعتقاده ، و ميج أسماعهم له ، و امتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول « فاعمل » على دينك ، أو في إبطال أمرنا « إننا عاملون » على ديننا ، أو في إبطال أمرك .^(٥)

وقال الطبرسي رحمه الله : قيل : إن أباجهل رفع ثوباً بينه وبين النبي ﷺ

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٣٦٣ .

(٤) > > ٢ : ٣٨١ .

(١) مجمع البيان ٨ : ٥٠٦ .

(٣) انوار التنزيل ٢ : ٣٧٨ .

(٥) > > ٢ : ٣٨٣ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أدباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٤٧-

فقال : يا محمد أنت من ذاك الجانب ، ونحن من هذا الجانب ، فاعمل أنت على دينك و مذهبك ، إننا عاملون على ديننا و مذهبنا . « فاستقيموا إليه » أي لا تميلوا عن سبيله و توجهوا إليه بالطاعة .^(١)

وفي قوله : « والغوا فيه » أي عارضوه باللغو والباطل وبما لا يعتد به من الكلام . « لعلكم تغلبون » أي لتغلبوه باللغو و الباطل ، ولا يتمكّن أصحابه من الاستماع ؛ وقيل : الغوا فيه بالتخليط في القول والمكاء والصفير ؛ وقيل : معناه : ارفعوا أصواتكم في وجهه بالشعر والرجز ، عن ابن عباس والسدّي : لمّا عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم و تواصلوا بترك استماعه والإلغاء عند قراءته .^(٢)

وقال البيضاوي في قوله : « وما يلقيها » : أي ما يلقي هذه السجّية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان « إلّا الذين صبروا » فإنّها تحبس النفس عن الانتقام « وما يلقيها إلّا ذو حظّ عظيم » من الخير وكمال النفس ؛ وقيل : الحظّ العظيم : الجنة .^(٣)

« ولو جعلناه قرآناً أعجمياً » جواب لقولهم : هلّا نزل القرآن بلغة العجم « لقالوا لولا فصلت آياته » يئسّ بلسان نفقه « أعجميٌّ وعربيٌّ » أكلام أعجميٍّ ومخاطب عربيٌّ ؟ إنكار مقرّر للتخصيص « أو لكّ ينادون من مكان بعيد » هو تمثيل لهم في عدم قبولهم و استماعهم له بمن تصيح به من مسافة بعيدة .^(٤)

« شرع لكم من الدين » أي شرع لكم دين نوح - على نبيّنا وآله وعليه السلام - ومحمد ﷺ ومن بينهما من أدباب الشرائع عليهم الصلاة والسلام ، وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسّر بقوله : « أن أقيموا الدين » وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله « ولا تفرّقوا فيه » ولا تختلفوا في هذا الأصل ، أمّا فروع الشرائع فمختلفة « وما تفرّقوا » يعني الأهم السالفة ؛ وقيل : أهل الكتاب « وإنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم » يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ، أو المشرّكين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب « فلذلك » أي فلاجل ذلك التفرّق ، أو الكتاب

(١) مجمع البيان : ٩ : ٤ .

(٢) مجمع البيان : ٩ : ١١ .

(٣) انوار التنزيل : ٢ : ٣٨٩ .

(٤) انوار التنزيل : ٢ : ٣٩٠ .

أو العلم الذي أوتيته « لاحتجة بيننا و بينكم » أي لاحتجاج بمعنى لاختصومة ، إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمخاصمة مجال « و الذين يحتاجون في الله » في دينه « من بعد ما استجيب له » من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه ، أو من بعد ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه بنصره يوم بدر ، أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقرّوا بنبوته واستفتحوا به « حجّتهم داحضة » زائلة باطلة^(١).

« فإن يشأ الله يختم على قلبك » استبعاداً للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه إنما يجترى عليه من كان مختوماً على قلبه ، جاهلاً بربه ، وكأنه قال : إن يشأ الله خذ لك يختم على قلبك لتجترى ، بالافتراء عليه ؛ وقيل : « يختم على قلبك » يمسك القرآن والوحي عنه أو يربط عليه بالصبر فلا يشقّ عليك أذاهم^(٢).

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » يعني ما أوحى إليه وسمّاه روحاً لأنّ القلوب تحيى به ؛ وقيل : جبرئيل عليه السلام ، والمعنى : أرسلناه إليك بالوحي « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » أي قبل الوحي ، وهو دليل على أنه لم يكن متعبداً قبل النبوة بشرع ؛ وقيل : المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع « ولكن جعلناه نوراً » أي الروح ؛ أو الكتاب ؛ أو الإيمان^(٣).

و في قوله : « وإنه » عطف على إنّنا « في أم الكتاب » في اللوح المحفوظ ، فإنّه أصل الكتب السماوية « لدينا » محفوظاً عندنا عن التغيير « لعلّي » رفيع الشأن في الكتب السماوية ، لكونه معجزاً من بينها « حكيم » ذو حكمة بالغة ، أو محكم لا ينسخه غيره « أفنضرب عنكم الذكر صفحاً » أفنذوده ونبعده عنكم ، مجازاً من قولهم : ضرب الغرائب عن الحوض ، والفاء للعطف على محذوف ، أي أنهم لم يملكوا فنضرب عنكم الذكر ؛ وصفحاً مصدر من غير لفظه ، فإنّ تنحية الذكر عنهم إعراض ؛ أو مفعول له ؛ أو حال بمعنى صافحين ، وأصله أن تولّي الشيء صفحة عنك ؛ وقيل : إنّ به معنى الجانب فيكون ظرفاً « إن كنتم » أي لئن كنتم « فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً » أي من القوم المفسرين ،

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٣٩٦ و ٣٩٥ .

(٢) > > ٢ : ٣٩٨ .

(٣) > > ٢ : ٤٠٢ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٤٩ -

لأنه صرف الخطاب عنهم إلى الرسول ﷺ مخبراً عنهم « ومضى مثل الأولين » وسلف في القرآن قصتهم العجيبة ، وفيه وعدٌ للرسول ﷺ ، ووعيدٌ لهم بمثل ما جرى على الأولين « وجعلوا له من عباده جزءاً » أي ولدأ فقالوا : الملائكة بنات الله ، ولعله سمّاه جزءاً كما سمّي بعضاً لأنه بضعة من الوالد ، دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته « وهو كظيم » مملوء قلبه من الكرب « أو من ينشؤ في الحلية » أي أوجعلوا له ، أو اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات « وهو في الخصام » في المجادلة « غير ميين » مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » كفر آخر تضمنه مقالهم شنّع به عليهم ، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً « أشهدوا خلقهم » أحضروا خلق الله إيتاهم فشاهدوهم إناثاً ؛ فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة .^(١)

« كتاباً من قبله » أي من قبل القرآن « قل أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم » أي أتتبعون آباءكم ولو جئتمكم بدين أهدى من دين آبائكم ، وهو حكاية أمر ماضٍ أوحى إلى النذير ، أو خطاب للرسول ﷺ ، ويؤيد الأول أنه قرأ ابن عامر و حفص قال : وقوله : « قالوا إنما بما أرسلتم به كافرون » : أي وإن كان أهدى إقناطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه « بل متعت هؤلاء » المعاصرين للرسول من قريش « وآباءهم » بالمد في العمر والنعمة فاغترّوا بذلك وانهمكوا في الشهوات .^(٢)

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعنون بالقريتين مكة والطائف ، وبالرجل منهما الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ؛ وقيل : عتبة بن ربيعة من مكة وابن عبدالمطلب من الطائف ؛ وقيل : الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمرو الثقفي من الطائف ، عن ابن عباس ؛ وإنما قالوا : ذلك لأن الرجلين كانا عظيمين في قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما ، فدخلت الشبهة عليهما حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوة ، فقال سبحانه ردّاً عليهم : « أهم يقسمون رحمة ربك »

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٤٠٦ و ٤٠٧ .

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٥ .

يعني النبوة بين المخلوق ، ثم قال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » أي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمنا من مصالح عبادنا ، فليس لأحد أن يتحكم في شيء من ذلك ، فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للمرسالة من شئنا « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » أي أفقرنا البعض وأغنينا البعض ولم نفوت ذلك إليهم مع قلة خطره فكيف نفوت اختيار النبوة إليهم مع عظم محلها وشرف قدرها ؟ « ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » معناه أن الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أن في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض باحوائهم إليهم ، ليستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم ؛ وقيل : معناه : ليملك بعضهم بعضاً بمالهم فيتخذونهم عبيداً و ممالك « ورحمة ربك خير مما يجمعون » أي الثواب ، أو الجنة ، أو النبوة .^(١) « فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون » أي فإما نتوفيقك فإنا منتقمون من أمتهك بعدك « أو نرينك الذي وعدناهم » أي في حياتك ما وعدناهم من العذاب « فإنا عليهم مقتدرون » أي قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك ، قال الحسن وقتادة : إن الله أكرم نبيه بأن لم يره تلك النعمة ولم ير في أمته إلا ما قارت به عينه ، وقد كان بعده نعمة شديدة .

وقد روي أنه ﷺ أري ما يلقى أمته بعده فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتىلقى الله تعالى .

وروي جابر بن عبد الله الأنصاري قال : إنني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى قال : لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة^(٢) التي تضاربكم ، ثم التفت إلى خلفه فقال : أو عليّ أو عليّ ثلاث مرّات ، فرأينا أن جبرئيل ﷺ غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك « فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون » بعليّ بن أبي طالب ﷺ .

وقيل : إن النبي ﷺ أري الانتقام منهم ، وهو ما كان من نعمة الله من

(١) مجمع البيان ٩ : ٤٦ .

(٢) الكتيبة : القطعة من الجيش .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥١ -

المشركين يوم بدر بعد أن أخرجه من مكة « وإنه لذكر لك ولقومك » أي شرف « وسوف تسألون » عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف ؛ وقيل : عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه « واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا » أي سل مؤمني أهل الكتاب ، والتقدير : سل أمم من أرسلنا ؛ وقيل : معناه : وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا سبعين نبياً منهم موسى وعيسى - على نبينا وآله وعليهما السلام - ولم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم .^(١)

وفي قوله تعالى : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً » اختلف في المراد على وجوه : أحدها أن معناه : ولما وصف ابن مريم شهباً في العذاب بالآلهة ، أي فيما قالوه وعلى زعمهم ، وذلك أنه لما نزل قوله : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم^(٢) » قال المشركون : قد رضينا أن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى ، وذلك قوله : « إذا قومك منه يصدون » أي يضجون ضجيج المجادلة حيث خاصموك ، وهو قوله : « وقالوا ، آلهتنا خير أم هو » أي ليست آلهتنا خيراً من عيسى فإن كان عيسى في النار بآله يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا ، عن ابن عباس ومقاتل .

وثانيها : أن معناه : لما ضرب الله المسيح مثلاً بآدم في قوله : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب^(٣) » اعترض على النبي ﷺ بذلك قوم من كفار قريش فنزلت .

وثالثها : أن النبي ﷺ لما مدح المسيح وأمه وأنه كآدم في الخاصية قالوا : إن عمداً يريد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى ، عن قتادة .

ورابعها : ما رواه سادة أهل البيت  عن علي  أنه قال : جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً فوجدته في ملا من قريش فنظر إلي ثم قال : يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم ، أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا ، وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا ، واقتصد فيه قوم فنجوا ، فعظم ذلك عليهم وضحكوا

(١) مجمع البيان ٩ : ٤٩ .

(٢) الانبياء : ٩٨ .

(٣) آل عمران : ٥٩ .

وقالوا : يشبهه بالأنبياء والرسل فنزلت : « وقالوا آلهتنا خير أم هو » أي المسيح ، أو محمد ﷺ ، أو عليّ ﷺ « لجعلنا منكم » أي بدلاً منكم معاشر بني آدم « ملائكة في الأرض يخلفون » بني آدم .^(١)

« أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون » أي بل أبرموا أمراً^(٢) في كيد محمد ﷺ والمكر به « فإنا مبرمون » أي محكمون أمراً في مجازاتهم « أم يحسبون أننا لانسمع سرهم ونجوتهم » السر : ما يضمرة الإنسان في نفسه ولا يظهره لغيره . و النجوى : ما يحدث به المحدث غيره في الخفية .^(٣)

وقال البيضاوي : « قل إن كان للرحمن ولد » فإن النبي ﷺ يكون أعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح له ، وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ، ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ، ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له ، إذ المحال قد يستلزم المحال ؛^(٤) وقيل : معناه : إن كان له ولد في زعمكم « فإنا أول العابدين » لله الموحدين له ؛ أو لأنهم منه أو من أن يكون له ولد ، من عبد يعبد : إذا اشتد أنفه ؛ أو ما كان له ولد فإنا أول الموحدين من أهل مكة « فأنسى يوفكون » يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره « وقيله » و قول الرسول ، ونصبه للعطف على « سرهم » أو على محل الساعة ، أولاً ضمادفعه أي قال قيله ، وجره عاصم وحزة عطفاً على الساعة « فاصفح عنهم » فأعرض عن دعوتهم آيساً عن إيمانهم « وقل سلام » تسلم منكم ومتاركة .^(٥)

وفي قوله سبحانه : « فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون » أي بعد آيات الله ،

(١) مجمع البيان ٩ : ٥٣ .

(٢) في المصدر : بل أحكموا أمراً .

(٣) مجمع البيان ٩ : ٥٧ .

(٤) في المصدر هنا زيادة اسقطها المصنف للاختصار وهي قوله : بل المراد نفيها على أبلغ الوجوه ، كقوله : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » غير أن « لو » نمة مشعرة بانتفاء الطرفين « وإن » هنا لا تشمر به ولا ينقيضه فانها لمجرد الشرطية ، بل الانتفاء معلوم بالانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه ، والدلالة على أن انتكاده للولد ليس لعناد ومراه ، بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به .

(٥) أنوار التنزيل ٢ : ٤١٣ - ٤١٥ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥٣ -

وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في أعجبني زيد وكرمه ، أو بعد حديث الله وهو القرآن ، و آياته : دلالة المتلوّة أو القرآن ، و العطف لتغائر الوصفين « قل للذين آمنوا يغفروا » أي عفوا و يصفحوا « للذين لا يرجون أيام الله » لا يتوقعون وقائمه بأعدائه ، من قولهم : أيام العرب : لوقائعهم ، أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين ونوابهم ووعدهم بها ؛ وقيل : إنها منسوخة بآية القتال « ليجزي قوماً » علة للأمر « ثم جعلناك على شريعة » أي طريقة « من الأمر » أي أمر الدين « هذا » أي القرآن أو اتباع الشريعة « بصائر للناس » بينات تبصرهم وجه الفلاح .^(١)

« أفرايت من اتخذ إلهه هواه » أي ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده ، وقرئ ، « آلهة هواه » لأنه كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده ، فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه « وقالوا ماهي » ما الحياة أو الحال « إلا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحى » نكون أمواتاً ونظفأ وما قبلها ونحى بعد ذلك ، أو نموت بأنفسنا و نحى ببقاء أولادنا ، أو يموت بعضنا ونحى بعض ، أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ، و يحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان « وما يهلكنا إلا الدهر » إلا مرور الزمان « وما لهم بذلك من علم » يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلّق بها على الاستقلال ، أو إنكار البعث ، أو كليهما « إن هم إلا يظنون » إذ لا دليل لهم عليه ، وإنما قالوه بناءً على التقليد و الإنكار لما لم يحسّوا به .^(٢)

وفي قوله : « وأجلٌ مسمّى » وبتقدير الأجل ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة ، أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدّر له « أو إثارة من علم » أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين ، هل فيها ما يدلّ على استحقاقهم للعبادة ، أو الأمر بها « ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له » إنكار أن يكون أحد أضلّ من المشرّكين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم ، فضلاً أن يعلم سرائرهم و يراعي مصالحهم « إلى يوم القيامة »

مادامت الدنيا «وهم عن دعائهم غافلون» لأنهم إماما جمادات، وإماما عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم «قل إن افتريته» على الفرض «فلاتملكون لي من الله شيئا» أي إن عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرتون على دفع شيء منها، فكيف أجتري عليه وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضرر من قبلكم؟ «هو أعلم بما تفيضون فيه» تندفعون فيه من القدرح في آياته «قل ما كنت بدعا من الرسل» بدعيا منهم أدعوكم إلى ما لا يدعون إليه، أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات كلها «وشهد شاهد من بني إسرائيل» أي عبدالله بن سلام؛ وقيل: موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول ﷺ «على مثله» مثل القرآن، وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها، أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» استيناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم، ودليل على الجواب الممحذوف مثل أستم ظالمين «وقال الذين كفروا للذين آمنوا» لا جملهم «لو كان خيرا» الإيمان، أو ما أتى به محمد ﷺ «ما سبقونا إليه» وهم سقاط، إذ عاصتهم فقراء وموال ورعاة، وإتمامه قريش؛ وقيل: بنوعا ومرغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزنة وأسلم وغفار، أو اليهود حين أسلم ابن سلام وأصحابه «بلاغ» أي هذا الذي وعظتم به، أو هذه السورة بلاغ، أي كفاية، أو تبليغ من الرسول (١).

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: «من قريتك التي أخرجتك» أي أخرجك أهلها، والمعنى: كم من رجال هم أشد من أهل مكة «أفمن كان على بينة من ربه» أي على يقين من دينه وعلى حجة واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع «كمن زين له سوء عمله» هم المشركون؛ وقيل: هم المنافقون وهو المردي عن أبي جعفر عليه السلام «وممنهم من يستمع إليك» يعني المنافقين (٢) «قالوا للذين أوتوا العلم» يعني الذين أتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين، عن الأصم بن نباتة عن علي عليه السلام قال: إننا كنّا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا:

(١) أنوار التنزيل ٤٢٦ و ٤٢٨ و ٤٣٣ . (٢) في المصدر المطبوع: أي ومن الكافرين .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥٥ -

«ماذا قال آتفاً» أي أي شيء قال الساعة، وإنما قالوا استهزاء وإظهاراً أننا لم نشغل بوعيه وفهمه؛^(١) وقيل: إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ماسمعه؛ وقيل: بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله ﷺ: أي لم يقل شيئاً فيه فائدة؛ و يحتمل أيضاً أن يكونوا سألوا رياءً ونفاقاً، أي لم يذهب عني من قوله إلا هذا، فماذا قال؟ أعدّه عليّ لأحفظه.^(٢)

وفي قوله: «وتعزّروه» أي تنصروه بالسيف واللسان «إن الذين يباعدونك» المراد بيعة الحديدية وهي بيعة الرضوان.^(٣)

وفي قوله: «لعنتهم» أي لوقعتهم في عنت وهو الإثم والهلاك.^(٤) «قالت الأعراب آمناً» هم قوم من بني أسد أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، إنما كانوا يطلبون الصدقة، فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال: «قل لم تؤمنوا» أي لم تصدّقوا على الحقيقة في الباطن ولكن قولوا أسلمنا» أي استسلمنا مخافة السبي والقتل «لا يلتكم من أعمالكم» أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم «شيئاً» قالوا: فلمّا نزلت الآيات أنوار رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان، فأمر الله سبحانه: «قل أتعلمون الله بدينكم» أي أخبرون الله بالدين الذي أنتم عليه، والمعنى أنه سبحانه عالمٌ بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به، وكان هؤلاء يقولون: آمناً بك من غير قتال وقناملك بنو فلان، فقال سبحانه: «يمنون عليك أن أسلموا» أي بأن أسلموا.^(٥)

وقال البيضاوي في قوله تعالى: «وكم أهلكنا قبلهم»: قبل قومك «من قرن هم أشدّ منهم بطشاً» أي قوة كعاد و ثمود «فنتقبوا في البلاد» فخرقوا في البلاد و تصرّفوا فيها، أو جالوا في الأرض كلّ مجال حذر الموت، وأصل التنقيب التنقيب عن الشيء. والبحث عنه «هل من محيص» أي لهم من الله، أو من الموت؛ وقيل: الضمير في «نتقبوا»

(١) هكذا في النسخ، وفي المصدر: وإنما قالوه استهزاءً أو إظهاراً أننا لم نشغل بوعيه وفهمه.

(٢) مجمع البيان ٩: ١٠٠ - ١٠٢.

(٣) مجمع البيان ٩: ١١٢.

(٤) (٥) > > ٩: ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.

(٤) > > ٩: ١٢٣.

لأهل مكة ، أي ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يتوقعوا مثله لأنفسهم « لمن كان له قلب ، أي قلبٌ واع يتفكر في حقائقه » أو ألقى السمع ، وأصغى لاستماعه « وهو شهيدٌ » حاضرٌ بذهنه ليفهم معانيه ، أو شاهدٌ بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجه « وما أنت عليهم بجبار » أي بمسلطٍ تقهرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت داع . (١)

« أتواصوا به » أي كأنّ الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً « بل هم قومٌ طاغون » إضراب عن أن التواصي جامعهم لتباعد أيسامهم إلى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه « فتول عنهم » فأعرض عن مجادلتهم « فما أنت بمعلوم » على الإعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ . (٢)

« فما أنت بنعمة ربك » بحمد الله وإنعامه « بكاهن ولا مجنون » كما يقولون « أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون » ما يقلق النفوس من حوادث الدهر ؛ وقيل : المنون : الموت « قل تربصوا فإني معكم من المتربصين » أتربص هلاككم كما تتربصون هلاككمي « أم تأمرهم أحلامهم » عقولهم « بهذا التناقض في القول فإن الكاهن يكون ذا فتنة ودقة نظر ، والمجنون مغطى عقله ، والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخمّل ، ولا يتأتى ذلك من المجنون » أم هم قوم طاغون « مجاوزون الحد في العناد » أم يقولون تقوله « اختلقه من تلقاء نفسه » بل لا يؤمنون « فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم » أم خلقوا من غير شيء ، أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه ؛ أو من أجل لاشيء من عبادة ومجازاة « أم هم الخالقون » يؤيد الأول فإن معناه : أم خلقوا أنفسهم ؟ ولذلك عقبه بقوله : « أم خلقوا السموات والأرض » وأم في هذه الآيات منقطعة ، ومعنى الهمزة فيها الإنكار « بل لا يوقنون » أي إذا سئلوا : من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، إذلو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته « أم عندهم خزائن ربك » خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شأوا ، أو خزائن علمه

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٥٧ -

حتى يختاروا لها من شاؤوا «أم هم المصيطرون» الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا «أم لهم سلم» مرتقى إلى السماء «أم تسلمهم أجراً» على تبليغ الرسالة «فهم من مغرم» من التزام غرم «مثقلون» يحملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك «وإن يروا كسفاً» قطعة «من السماء ساقطاً يقولوا» من فرط طغيانهم وعنادهم «سحابٌ مركوم» هذا سحابٌ تراكم بعضها على بعض «فإنك بأعيننا» في حفظنا بحيث نراك ونكلاك^(١) وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «أفرأيتم اللآلئ والعزى ومناة الثالثة الأخرى» : أي أخبرنا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون أن الملائكة بنات الله ؛ وقيل : معناه : أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللآلئ والعزى ومنات بنات الله ؟ لأنه كان منهم من يقول : إنما تعبد هؤلاء لأنهم بنات الله ؛ وقيل : زعموا أن الملائكة بنات الله وصوّروا أصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله ، واشتقوا لها أسماءً من أسماء الله فقالوا : اللآلئ من الله ، والعزى من العزيز ؛ وقيل : إن اللآلئ صنم كانت ثقيف تعبد ، والعزى صنم أيضاً ؛ وقيل : إنها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها ، وقال :

يا عزّ كفرانك لا سبحانك ✽ إنني رأيت الله قد أهانك

عن مجاهد ؛ وقال قتادة : كانت مناة صنماً لهذيل بين مكة والمدينة ؛^(٢) وقال الضحاك والكلبي : كانت في الكعبة لهذيل و خزاعة يعبدونها أهل مكة ؛ وقيل : اللآلئ والعزى ومنات أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها ، ومعنى الآية : أخبروني عن هذه الأصنام هل ضرت أو نفعت أو فعلت ما يجب أن يفعل بالله ؛^(٣) ثم قال سبحانه منكرأ على كفّار قريش قولهم : الملائكة بنات الله وكذلك الأصنام : «ألكم الذكروله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى» أي جائزة غير معتدلة ، يعني أن القسمة التي قسمتم من نسبة الإناث إلى الله وإشاركم بالبين قسمة غير عادلة .^(٤)

(١) انوار التنزيل ٢ : ٤٧٠ و ٤٧١ .

(٢) في المصدر : كانت مناة صنماً بقديد بين مكة والمدينة .

(٣) في المصدر : ما يوجب أن يعدل بالله .

(٤) مجمع البيان ٩ : ١٧٦ و ١٧٧ .

وفي قوله : «أفرأيت الذي تولّى» : و نزلت الآيات السبع في عثمان بن عفّان كان يتصدّق وينفق ماله ، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ما هذا الذي تصنع ؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء ، فقال عثمان : إنّ لي ذنباً وإنّي أطلب بما أصنع رضى الله وأرجو عفوه ، فقال له عبد الله : أعطني ناقمك برحمتك وأنا أتحمل عنك ذنبك كلها ؛ فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن الصدقة فنزلت : «أفرأيت الذي تولّى» أي يوم أحد حين ترك المركز وأعطى قليلاً ثم قطع نفقته . إلى قوله : «سوف يرى» فعاد عثمان إلى ما كان عليه ، عن ابن عباس و جماعة من المفسرين .

وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيّره المشركون وقالوا : تركت دين الأسيّخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار ، قال : إنّني خشيت عذاب الله ، فضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل ، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له ، فنزلت : «أفرأيت الذي تولّى» عن الإيمان «وأعطى» صاحبه الضامن «قليلاً وأكدي» أي بخل بالباقي ، عن مجاهد وابن زيد .

وقيل : نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنّه ربّما كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور ، عن السديّ ؛ وقيل : نزلت في رجل قال لأهله : جهّزوني حتّى أنطلق إلى هذا الرجل - يريد النبي ﷺ - فتجهّز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له : أين تريد ؟ فقال : محمد ﷺ لعليّ أصيب من خيره ، قال له الرجل : أعطني جهازك وأحمل عنك إثمك ، عن عطاء بن يسار ؛ وقيل : نزلت في أبي جهل وذلك أنّه قال : والله ما يأمرنا محمد ﷺ إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله : «وأعطى قليلاً وأكدي» أي لم يؤمن به ، عن محمد بن كعب . (١)

وقال البيضاوي في قوله تعالى : «ويقولوا سحر مستمر» : أي مطّرد ، وهو يدلّ على أنّهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة حتّى قالوا ذلك ، أو محكم من المرّة ، (٢)

(١) مجمع البيان ٩ : ١٧٨ .

(٢) في المصدر : أو محكم من المرّة ، يقال : امررت فاستمر : إذا احكمته فاستحكم .

١٥٩- باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم

أو مستبشع من استمر: إذا اشتدت مرارته، أو مارّ ذاهب لا يبقى « وكلّ أمر مستقرّ منته إلى غاية من خذلان أو نصرة في الدنيا، وشقاوة أو سعادة في الآخرة. (١) » أم يقولون نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع «منتصر» ممتنع لانرام، أو منتصر من الأعداء لانغلب، أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً « سيزم الجمع و يولون الدبر » أي الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، أو لأنّ كلّ واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر « ولقد أهلكنا أشياءكم » أي أشباهكم في الكفر ممن قبلكم. (٢)

و في قوله تعالى: « أفرايتم ماتمنون: أي ماتقذفونه في الأرحام من النطف « أفرايتم ماتحرون » تبنزون حبسه « أنتم تزرعونه » تنبتونه « لجعلناه حطاماً » هشيماً « فظلمتم تفكّهون » تعجبون، أو تندمون على اجتهداكم فيه، أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتتحدّثون فيه. والتفكّه: التنقّل بصنوف الفاكهة، وقد استعير للتنقّل بالحديث « إننا لمغرمون » ملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا، من الغرام « بل نحن محرومون » حرماناً رزقنا « أنتم أنزلتموه من المزن » من السحاب، وأحدثه مزنة؛ وقيل: المزن: السحاب الأبيض، وماؤه أعذب « لو نشاء جعلناه أجاجاً » ملحاً، أو من الأجيج فإنه يحرق الفم « فلو لا تشكرون » أمثال هذه النعم الضرورية « أفرايتم النار التي تورون » تقدحون « أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون » يعني الشجرة التي منه الزناد « نحن جعلناها » جعلنا نار الزناد « تذكرة » تبصرة في أمر البعث، أو في الظلام، أو تذكيراً، أو نموذجاً لنار جهنم « ومتاعاً » ومنفعة « للمقوين » للذين ينزلون القواء وهي القفر، أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم (٣) من الطعام، من أقوت الدار: إذا خلت من ساكنيها « فسبح باسم ربك العظيم » فأحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره « فلا أقسم » إذاً أمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد، أو فلا أنا أقسم فحذف المبتداء وأشبع فتحة لام الابتداء، وبدل عليه أنه قرىء (فلا أقسم) أو فلارد لكلام

(١) انوار التنزيل ٢ : ٤٧٨

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٤٧١ و ٤٧٢ .

(٣) جمع المزود : ما بوضع فيه الزاد .

يخالف المقسم عليه « بمواقع النجوم » بمساقطها ، أو بمنازلها ومجاريها ؛ وقيل : النجوم : نجوم القرآن ، ومواقعها : أوقات نزولها « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » لما في القسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة « إنه لقرآن كريم » كثير النفع « في كتاب مكنون » مصون وهو اللوح « لا يمسسه إلا المطهرون » لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة ، أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث ، فيكون نفيًا بمعنى نهى ، أو لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر « أفبهذا الحديث أنتم مدهنون » متهاونون به كمن يدهن في الأمر ، أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به « وتجعلون رزقكم » أي شكر رزقكم « أنكم تكذبون » أي بما نحه^(١) حيث تنسبونه إلى الأنواء.^(٢)

« ألم يأن للذين آمنوا » ألم يأت وقته ؛ يقال : أنى الأمر يأتى أنياً وأنأواً ؛ إذا جاء إناء « وما نزل من الحق » أي القرآن ، وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر ، ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله « فطال عليهم الأمد » أي فطال عليهم الزمان بطول أعمارهم ، أو آمالهم ، أو ما بينهم وبين أنبيائهم.^(٣)

وقال الطبرسي رحمه الله : قيل : إن قوله تعالى : « ألم يأن للذين آمنوا » الآية

(١) أي بمعطيه والآنواء جمع النوء : النجم مال للغروب ؛ وقيل . معنى النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب وطلوع رقبته وهو نجم يقابله من ساعته في المشرق في كل ليلة إلى ثلاثة يوماً ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها أربعة عشر يوماً ، وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، أي نهض وطلع ، وذلك الطلوع هو النوء ، والآنواء كانت عندهم ثمانية وعشرون معروفة المطالع في أؤمنة السنة كلها ، يسقط منها في كل ثلاثة عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى ، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول ، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا أو بنوء الدبران .

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٤٩٤ و ٤٩٦ . (٣) أنوار التنزيل ٢ : ٤٨٩ و ٤٩٧ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٦١ -

نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة ، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا :
 حدثنا عما في التوراة فإن فيها عجائب ، فنزلت : « الرتل آيات الكتاب المبين » إلى
 قوله تعالى : « لمن الغافلين » فخبّرهم أن هذا القرآن أحسن القصص وأنفع لهم من
 غيره ، فكفّوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت :
 « الله نزل أحسن الحديث كتاباً » الآية فكفّوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ، ثم عادوا
 فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية ، عن الكلبي ومقاتل ؛ وقيل : نزلت في المؤمنين ؛ و
 قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين ، فجعل
 المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً ؛ وقيل : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس
 ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية ، عن ابن عباس ؛ وقيل : كانت الصحابة
 بمكة مجدين ، فلمّا هاجروا أصابوا الريف^(١) والنعمة ، فتغيّروا عما كانوا عليه فقسّمت
 قلوبهم ، والواجب أن يزدادوا الإيمان واليقين والإخلاص في طول صحبة الكتاب ، عن
 محمد بن كعب .^(٢)

وقال البيضاوي في قوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا أي بالرسول المتقدّمه^(٣)
 اتّقوا الله » فيما نهاكم منه « وآمنوا برسوله » فهدى الله^{عليه السلام} « يؤتكم كفلين » نصيبين « من
 رحمتي » لا إيمانكم بمحمد^{عليه السلام} ، وإيمانكم بمن قبله ، ولا يبعد أن يثابوا على دينهم
 السابق وإن كان منسوخاً ببركة الإسلام ؛ وقيل : الخطاب للنصارى الذين كانوا في
 عصره « ويجعل لكم نوراً تمشون به » يريد المذكور في قوله : « يسع نورهم » أو الهدى
 الذي يسلك به إلى جناب القدس^{عليه السلام} « لتلايعلم » أي ليعلموا ، ولا مزيدة ، ويؤيده أنه قرئ :
 ليعلم ، ولكي يعلم ، ولأن يعلم بادغام النون في الياء « أهل الكتاب أن لا يقدرّون على
 شيء من فضل الله » أن هي المخففة ، والمعنى أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله ،
 لأنهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالإيمان به « أو لا يقدرّون على شيء من فضله »
 فضلاً أن يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصّصونها بمن أرادوا ؛ وقيل : لا غير مزيدة

(١) الريف : السعة في المأكل والمشرب . أرض فيها زرع وخصب .

(٢) مجمع البيان ٩ : ٢٣٧ .

(٣) في نسخة : بالكتب المتقدمة .

والمعنى : لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبيّ والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه ، فيكون « وإنّ الفضل » عطفاً على « أن لا يعلم » .^(١)

وفي قوله تعالى : « إنّ الذين يحدّون الله ورسوله » : يعادونهما ، فإنّ كلاهما المتعاديين في حدّ غير حدّ الآخر ؛ أويضعون ويختارون حدوداً غير حدودهما « كبتوا » أخزوا أو أهلكوا ، وأصل الكبت : الكبّ .^(٢)

« ألم تر إلى الذين تولّوا » أي والوا قوماً غضب الله عليهم ، يعني اليهود « ما هم منكم ولا منهم » لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك « ويحلفون على الكذب » وهو ادّعاء الإسلام « وهم يعلمون » أن المحلوف عليه كذب ، وروي أنه ﷺ كان في حجرة من حجراته فقال : يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان ، فدخل عبدالله بن نثيل^(٣) المنافق وكان أزرق ، فقال عليه وآله السلام : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل ، ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت .

« اتّخذوا أيمانهم » أي اتّميحلفوا بها « مجنّة » وقاية دون دماهم وأموالهم « فصدّوا عن سبيل الله » فصدّوا الناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط « استحوذ عليهم الشيطان » أي استولى عليهم .^(٤)

وفي قوله : « لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم » : يعني عامّة الكفّار ، أو اليهود إذ روي أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم « قد يئسوا من الآخرة » لكفرهم بها ، أو لعلمهم بأنّه لاحظّ لهم فيها ، لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيّد بالآيات « كما يئس الكفّار من أصحاب القبور » أن يبعثوا أو يثابوا ، أو ينالهم خير منهم .^(٥)

وقال الطبرسي رحمه الله : « هو الذي بعث في الأمّيين » يعني العرب ، وكانت أمّة أميّة لا تكتب ولا تقرأ ، ولم يبعث إليهم نبيّ ؛ وقيل : يعني أهل مكّة لأنّ مكّة تسمّى

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٥٠١ .

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٥٠٣ .

(٣) في نسخة : عبدالله بن نثيل .

(٤) > > ٢ : ٥٠٦ و ٥٠٧ .

(٥) أنوار التنزيل ٢ : ٥١٧ .

« على صراط مستقيم » مستوى الأجزاء أو الجهة ، والمراد تمثيل المشرك و الموحد بالسالكين ، والدينين بالمسلكين ؛ وقيل : المراد بالمكعب الأعمى فإنه يعتسف فيه مكعب وبالسوي البصير ؛ وقيل : من يمشي مكباً هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ، ومن يمشي سوياً الذي يحشر على قدميه إلى الجنة ^(١) « إن أصبح ماؤكم غوراً أي غائراً في الأرض بحيث لا تناله الدلاء ، مصدر وصف به « فمن يأتيكم بماء معين » جار ، أظاھر سهل المأخذ . ^(٢)

« ن » من أسماء الحروف ؛ وقيل : اسم الحوت ، والمراد به الجنس ؛ أو اليهموت وهو الذي عليه الأرض ؛ أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أسود يكتب به « والقلم » هو الذي خط اللوح ، أو الذي يخط به ، أقسم به لكثرة فوائده « وما يسطرون » وما يكتبون « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » جواب القسم ، والمعنى : ما أنت بمجنون منعماً عليك بالنبوة وحصافة الرأي ^(٣) « وإن لك لأجراً » على الاحتمال أو الإيلاج « غير ممنون » مقطوع ؛ أو ممنون به عليك من الناس « بأيكم المفلتون » أيكم الذي فتن بالمجنون ، والباء مزيدة ؛ أو بأيكم الجنون ، على أن المفلتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم الممجنون ، أفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين ؛ أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم « ودّوا لو تدهن » بأن تلاينهم بأن تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحياناً « فيدهنون » فيلأينونك بترك الطعن والمواقفة « ولا تطع كل حلاف »

(١) قال الشريف الرضي قدس سره : هذه استعارة والمراد بها صفة من يتخبط في الضلال و ينحرف عن طريق الرشاد لانهم يصفون من تلك حاله بأنه ماش على وجهه ، فيقولون : فلان يمشى على وجهه ويمشى على وجهه إذا كان كذلك ، وانما شبهوه بالماشي على وجهه لانه لا ينتفع بمواقع بصره ، إذ كان البصر في الوجه وإذا كان الوجه مكبوا على الارض كان الانسان كالاعمى الذي لا يسلك جددا ولا يقصد سدا ، ومن الدليل على قوله تعالى : « أمن يمشى مكباً » من التكنيات عن عمى البصر قوله تعالى في مقابلة ذلك : « أمن يمشى سوياً » لان السوي ضد المنقوص في خلقه واليبتي في بعض كرائم جسمه .

(٢) انوار التنزيل : ٢ : ٥٣٥ - ٥٣٧ .

(٣) حصافة الرأي : جودته .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٦٥ -

كثير الحلف في الحقّ والباطل «مبين» حقير الرأي «همّاز» عيب «مشّاء» بنميم» نقال للحديث على وجه السعاية «منّاع للخير» يمنع الناس عن الخير من الإيمان والإيفاق والعمل الصالح «معتد» متجاوز في الظلم «أنيم» كثير الأثم «عتل» جاف غليظ «بعد ذلك» بعد ما عدّ من مثالبه «زنيماً» دعيّ، قيل : هو الوليد بن المغيرة ، ادّعاء أبوه بعد ثمان عشرة من مولده ؛ وقيل : الأحنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة «أن كان ذامال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» أي قال ذلك حينئذ لأن كان متمولاً^(١) مستظهِراً بالبنين من فرط غروره ، لكنّ العاقل مدلول قال لانفسه ، لأنّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ، ويجوز أن يكون علّة للاتطع ، أي لاتطع من هذه مثالبه لأن كان ذامال «سنسمه» بالكسبي «على الخراطوم» على الأنف ، وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره ؛ وقيل : هو عبارة عن أن يذّله غاية الإذلال ؛ أو يسود وجهه يوم القيامة .^(٢)

«إن لكم فيه لماتخيّرون» أي إن لكم ما تختارونه وتشتهونه ، وأصله : أن لكم بالفتح لأنّهم المدروس . فلما جئت باللام كسرت ؛ وتخيّر الشيء واختياره : أخذ خيره^(٣) «أم لكم أيمانٌ علينا» عهد مؤكّدة بالأيمان «بالغة» متناهية في التوكيد «إلى يوم القيامة» متعلّق بالمقدّر في لكم ، أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدها حتّى نحكمكم في ذلك اليوم ؛ أو ببالغة ، أي أيمان علينا تبلغ ذلك اليوم «إن لكم لما تحكمون» جواب القسم «سألهم أيّهم بذلك زعيم» بذلك الحكم قائم يدّعيه ويصحّحه «أم لهم شركاء» في هذا القول «فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين» في دعواهم إذ لا أقلّ من التقليد «سنستدرجهم» سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد النعمة «وأملّي لهم» وأمهّلهم «إن كيدي متين» لا يدفع بشيء ، وإنّما سمّي إنعامه استدراجاً بالكيد لأنّه في صورته «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك

(١) في المصدر : لأنه كان متمولاً . (٢) انوار التنزيل ٢ : ٥٣٧ و ٥٣٨ .

(٣) > > : فلما جىء باللام كسرت ، وتخيّر الشيء واختاره : أخذ خيره .

بأبصارهم» إن هي المخففة، واللام دليلها، والمعنى: إنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شرراً^(١) أي غضباً بحيث يكادون يزلمون قدمك ويرمونك^(٢).

وفي قوله: «بما تبصرون وما لا تبصرون»: أي بالمشاهدات والمغيبات، وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها «ولو تقول علينا بعض الأقاويل» سمى الافتراء تقولاً لأنه قول متكلف «لأخذنا منه باليمين» يمينه «ثم لقطعنا منه الوتين» أي نياط قلبه بضرب عنقه، وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما تفعله الملوك بمن يغضبون عليه، وهو أن يأخذ القتال يمينه ويكفحه بالسيف^(٣) ويضرب جيده؛ وقيل: اليمين بمعنى القوة «فما منكم من أحد عنه» عن القتل أو المقتول «حاجزين» دافعين، وصف لأحد فاته عام والخطاب للناس «وإنه لحسرة على الكافرين» إذا رأوا ثواب المؤمنين به «وإنه لحق اليقين» لليقين الذي لا ريب فيه^(٤).

وفي قوله: «على أن نبدل خيراً منهم» أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم^(٥)، أو نعطي عمداً عليه السلام بدلکم وهو خير منكم وهم الأنصار «ولن أجد من دونه ملتحداً» منحرفاً وملتجئاً «إلا بلاغاً من الله» استثناء من قوله: «لأملك» فإن التبليغ إرشاد وإنفاع، أو من «ملتحداً» أو معناه: أن لا أبلغ بلاغاً، وما قبله دليل الجواب «ورسالته» عطف على بلاغاً^(٦).

«وتبذل إليه تبتلاً» أي انقطع إليه بالعبادة، وجرّد نفسك عما سواه «واهجرهم هجراً جميلاً» بأن تجانبهم وتدانيهم ولا تكافئهم وتكل أمرهم إلى الله «أولي النعمة» أزباب التنعم يريد صناديد قريش^(٧).

«ذري ومن خلقت وحيداً» نزل في الوليد بن المغيرة و«وحيداً» حال من الياء، أي ذري وحدي معه فأنا أكفيكه؛ أو من التاء، أي ومن خلقتني وحدي لم يشركني في

(١) شرد الرجل وإليه: نظر إليه بجانب عينه مع إعراس أو غضب، شرد فلاناً: أصابه بالعين.

(٢) انوار التنزيل ٢: ٥٤٠ - ٥٤٢. (٣) أي يضربه به.

(٤) > > ٥٤٦: ٢. (٥) أي خير منهم وأفضل.

(٦) > > ٥٥٠: ٢. (٧) انوار التنزيل ٢: ٥٥٨ و ٥٥٩.

ج باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٦٧ -

خلقه أحد ؛ أو من العائد المحذوف ، أي من خلخته فريداً لآماله ولأولده ؛ أو ذمّ فأنّه كان ملقّباً به فسمّاه الله تهكّماً به ؛ أو أراد أنّه وحيد في الشراة ، أو عن أبيه لأنّه كان زنياً « وجعلت له مالا ممدوداً » مبسوطاً كثيراً ، أو ممدّداً بالنماء ، وكان له الزرع والضرع والتجارة « و بنين شهوداً » حضوراً معه بمكة يتمتع بلقائهم لاحتياجهم إلى سفر لطلب المعاش استغناءً بنعمته ، ولا يحتاج أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه ، أو في المحافل والأندية لوجاهتهم ، قيل : كان له عشرة بنين أو أكثر كلّهم رجال ، فأسلم منهم ثلاثة : خالد وعمارة وهشام « ومهدت له تمهيداً » وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتّى لقب ربحانة قريش والوحيد ، أي باستحقاق الرياسة والتقدّم « ثمّ يطمع أن أزيد » على ما أوتيّه ، وهو استبعاد لطمعه ، إمّا لأنّه لا مزيد على ما أوتيّه ، أو لأنّه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم و معاندة المنعم ، ولذلك قال : « كلاًّ إنّه كان لا ياتنا عنيداً » فأنّه ردع له عن الطمع و تعليل للردع على سبيل الاستيناف بمعاندة آيات المنعم ؛ قيل : ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتّى هلك « سأ رهقه صعوداً » سأعشيه عقبة شاقّة المصعد ، وهو مثل لما يلقي من الشدائد . وعنه عليه السلام : الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ، ثمّ يهوى فيه كذلك أبداً .

« إنّه فكر وقدّر » تعليل للوعيد ، أو بيان للعناد ، والمعنى : ففكر فيما يخيّل طعناً في القرآن ، وقدّر في نفسه ما يقول فيه « فقتل كيف قدّر » تعجيب من تقديره استهزاءً به ، أولاً لأنّه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه ، من قولهم : قتله الله ما أشجع ! .

روي أنّه مرّ بالنبى صلى الله عليه وآله وهو يقرء حم السجدة ، فأثنى قومه وقال : قد سمعت من محمد صلى الله عليه وآله أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس والجن ، إنّه له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة ، ^(١) وإنّ أعلامه لمثمر ، وإنّ أسفله لمفدق ، ^(٢) وإنّه ليعلو ولا يعلو ، فقال قريش : صبا الوليد ، ^(٣) فقال ابن أخيه أبوجهل : أنا أكفيكموه ، فعد إليه حزيناً و كَلّمه بما أحياه فقام فناداهم

(١) الطلاوة بالثلاث : الحسن والبهجة .

(٢) من أغدقت الأرض : أخضبت .

(٣) صبا : خرج من دين إلى دين آخر .

فقال : تزعمون أن محمداً - ﷺ - مجنون فهل رأيتموه يخنق ؟ وتقولون : إنه كاهن فهل رأيتموه يتكلم من ؟ و تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً ؟ فقالوا : لا ، فقال : هاهو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه ؟ ففرحوا به وتفرقوا مستعجبين منه « ثم قتل كيف قدر » تكرير للمبالغة « ثم نظر » أي في أمر القرآن مرة بعد أخرى « ثم عبس » قطب وجهه لما لم يجد فيه طعناً ولم يدر ما يقول ، أو نظر إلى رسول الله ﷺ وقطب وجهه « وبسر » اتباع لعبس « ثم أدبر » عن الحق أو الرسول « واستكبر » عن اتباعه فقال : « إن هذا إلا سحر يؤثر » يروي ويتعلم « وماهي » أي سقرا وعدة الخزنة ، أو السورة « إلا ذكرى للبشر » إلا تذكرة لهم « كلاً » ردع لمن أنكرها ، أو إنكار لأن يتذكروا بها « إنها لا حدى الكبير » لا حدى البالياء الكبير « لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » بدل من « للبشر » أي نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير ، أو التخلف عنه ، أو لمن شاء خبر لأن يتقدم .

« كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » شبههم في إعراضهم ونفادهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرّت من قسورة ، أي أسد « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » قراطيس تنشر وتقر ، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ : لن نتبعك حتى تأتي كلاً منّا بكتاب من السماء فيها : من الله إلى فلان أتبع محمداً ^(١) « لا تحرك » يا محمد « به » بالقرآن « لسانك لتعجل به » لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك « إن علينا جمعه » في صدرك « وقرآنه » وإثبات قراءته في لسانك ، وهو تعليل للنهي « فاذا قرأناه » بلسان جبرئيل عليه السلام عليك « فاتبع قرآنه » قراءته وتكرّ رفيه حتى يرسخ في ذهنك « ثم إن علينا بيانه » بيان ما أشكل عليك من معانيه ؛ وقيل : الخطاب مع الإنسان المذكور ، والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجج لسانه من سرعة قراءته خوفاً فيقال له : « لا تحرك به لسانك لتعجل به » فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » أو التأمل فيه ، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه . ^(٢)

« وشددنا أسرهم » أي وأحكامنا ربط مفاصلهم بأعصاب « وإذا شئنا بدلنا

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٥٦٢ - ٥٦٥ .

(٢) > > ٥٧٦ : ٢ .

٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٦٩ -

أمثالهم تبديلاً » وإذا شئنا أهلكناهم و بدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة الأسر ، يعني
النشأة الثانية ، ولذلك جيء بأذا ، أو بدلناهم غيرهم ممن يطيع ، وإذا لتحقق القدرة
وقوة الداعية ^(١) « ألم نخلقكم من ماء مهين » نطفة قدرة ذليلة « فجعلناه في قرار
مكين » هو الرحم « إلى قدر معلوم » إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة
« فقد رنا » أي فقد رنا على رد ذلك ، أوفقد رنا « فنعم القادرون » نحن « ويل يومئذ
للمكذبين » بقدرتنا على ذلك ، أو على الإعادة « ألم نجعل الأرض كفاتاً » كافتة اسم
لما يكفت ، أي يضم ويجمع « أحياء وأمواتاً » منتصبان على المفعولية « وجعلنا فيها
رواسي شاختات » جبلاً ثوابت طوالاً « وأسقيناكم ماءً فراتاً » بخلق الأنهار والمنابع فيها . ^(٢)
« فلا أقسم بالخنس » بالكواكب الرواجع ، من خنس : إذا تأخر ، وهي ما سوى
النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله : « الجوار الكنس » أي السيارات التي
تختفي تحت ضوء الشمس « والليل إذا عسعس » إذا أقبل بظلامه أو أدبر « والصبح إذا
تنفس » أي إذا أضاء « إنه » أي القرآن « لقول رسول كريم » يعني جبرئيل عليه السلام « مكين »
ذي مكانة « مطاع » في ملامكته « ثم أمين » على الوحي ، و ثم يحتمل اتصاله بما قبله
وما بعده « ولقد رآه » رأى رسول الله جبرئيل « بالأفق المبين » بمطلع الشمس الأعلى
« وما هو » وما محمد عليه السلام « على الغيب » على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب
« بظنين » بمتهم ، وقرأ نافع وعاصم وحزرة وابن عامر « بضنين » من الضن وهو البخل ،
أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم « وما هو بقول شيطان رجيم » بقول بعض المسترقعة للسمع
وهي نفى لقولهم : إنه لكهانة وسحر « فأين تذهبون » استئصال لهم فيما يسلكونه في
أمر الرسول والقرآن ، كقولك لتارك الجادة : أين تذهب ؟ ^(٣)

« ماغرك ربك الكريم » أي شيء خدعك وجرأك على عصيانك ؟ « الذي خلقك
فسوأك فعدلك » التسوية : جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها ، والتعديل :
جعل البنية معتدلة متناسبة الأعضاء ، أو معدلة بما يستعد لها من القوى « في أي صورة
ماشاء ركبك » أي ركبك في أي صورة شاءها ، وما مزيدة . ^(٤)

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٥٧٥ .

(٤) > > ٢ : ٥٨٩ .

(١) أنوار التنزيل ٢ : ٥٧٣ .

(٣) > > ٢ : ٥٨٨ .

« فلا أقسم بالشفق » الحمرة التي ترى في أفق المغرب « والليل و ما وسق » وما جمعه وستره من الدواب وغيرها « والقمر إذا اتسق » اجتمع وتمّ بداراً « لتركبن » طبقاً عن طبق « حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة ؛ أومراتب من الشدة بعد المراتب ، وهي الموت و أهوال القيامة ، أوهي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة « لا يسجدون » أي لا يخضعون ، أولاً يسجدون لقراءة آية السجدة .^(١)

« بما بوعون » أي يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة « غير ممنون » أي مقطوع أومنون به عليهم .^(٢) « والسماء ذات الرجع » ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تحرّكت عنه ؛ وقيل : الرجع : المطر « والأرض ذات الصدع » ما يتصدّع عنه الأرض من النبات ، أو الشقّ بالنبات و العيون « إنّه » إنّ القرآن « لقول فصل » فصل بين الحقّ والباطل « أمهلهم رويداً » إمهالاً يسيراً .^(٣) « لست عليهم بمسيطر » بمتسلط .^(٤)

و قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « أهلك ما لا لبداً » : أي أهلك ما لا كثيراً^(٥) في عداوة النبي ﷺ يقتصر بذلك ؛ وقيل : هو الحارث بن عامر بن نوفل ، وذلك أنّه أذنب ذنباً فاستفتى النبي ﷺ فأمره أن يكفر ، فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد ﷺ « أيعسب أن لم يره أحد » فيطالبه من أين اكتسبه و فيما أنفقه ؛ وقيل : إنّ كان كاذباً لم ينفق ما قاله .^(٦)

« إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » أي لأن رأى نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته و أهواله و قوّته ، قيل : إنّها نزلت في أبي جهل بن هشام من هنا إلى آخر

(١) في المصدر : لا يخضعون ، أو لا يسجدون لتلاوته .

(٢) انوار التنزيل ٢ : ٥٩٤ .

(٣) > > ٢ : ٥٩٧ .

(٤) > > ٢ : ٦٠٠ .

(٥) في المصدر : أنفقت ما لا كثيراً .

(٦) مجمع البيان ١٠ : ٤٩٣ .

ج ٩ باب احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم - ١٧١ -

السورة « إن إلى ربك الرجعى » أي إلى الله مرجع كل أحد « رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى » روي أن أبا جهل قال : هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فبالذي يحلف به لئن رأيتُه يفعل ذلك لأطأن على رقبتِه ، فقيل له : هاهو ذلك يصلي ، فانطلق ليطلق على رقبتِه فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبه ويتقى يديه ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة ، وقال نبي الله : والذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ، فانزل الله سبحانه : « رأيت الذي ينهى » إلى آخر السورة « رأيت إن كان على الهدى » يعني محمد ﷺ « أو أمر بالتقوى » أي بالإخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى ، وههنا حذف تقديره : كيف يكون حال من ينهاء عن الصلاة « رأيت إن كذب » أي أبوجهل « وتولى » عن الإيمان . (١)

وقال البيضاوي في قوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » : اليهود والنصارى فاتهم كفروا بالإلحاد في صفات الله « والمشركين » وعبدة الأصنام « منفيين » عما كانوا عليه من دينهم ، أو الوعد باتِّباع الحق إذا جاءهم الرسول « حتى تأتيتهم البينة » الرسول ، أو القرآن فإنه مبين للحق « رسول من الله » بدل من « البينة » بنفسه ، أو بتقدير مضاف ، أو مبتدأ « بتلوصحفاً مطهرة » صفته أو خبره « فيها كتب قيامة » مكتوبات مستقيمة « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب » عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم ، أو تردّد في دينه ، أو عن وعدهم بالإصرار على الكفر « إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا » أي في كتبهم بما فيها « إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » لا يشركون « حنفاء » هائلين عن العقائد الزائفة « وقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة » ولكنهم حرّفوه فعصوا « وذلك دين القيمة » أي دين الملة القيمة . (٢)

« رأيت الذي يكذب بالدين » بالجزء ، أو الإسلام « فذلك الذي يدع اليتيم » يدفعه دفعاً عنيفاً وهو أبوجهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه ؛

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥١٥ .

(٢) أنوار التنزيل ٢ : ٦١٣ و ٦١٤ .

أو أبوسفیان نحر جزوراً فسأله يتيم لهما فقرعه بعصاه ، أو الوليد بن المغيرة ، أو منافق
بخیل . (١)

وقال الطبرسي رحمه الله : نزلت سورة الجحد في نفر من قريش منهم الحارث بن
قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والأ سود بن عبد يغوث و الأ سود بن
المطلب بن أسدوا مية بن خلف ، قالوا : هلم يا محمد فاتبع ديننا وتبّع دينك ، ونشركك
في أسرارنا كلّها ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا
كنّا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً ممّا في يديك
كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظنا منك ، فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره ،
قالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد إلهك ، فقال : حتّى أنظر ما يأتي من عند
ربّي ، فنزل : « قل يا أيّها الكافرون » السورة ، فعبد رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام
وفيه الملاً من قريش فقام على رؤوسهم ثمّ قرأ عليهم حتّى فرغ من السورة ، فأيسوا
عند ذلك وآذوه وآذوا أصحابه ، قال ابن عباس : وفيهم نزل قوله : « أفغير الله تأمروني
أعبد آلهتها الجاهلون » .

« قل يا أيّها الكافرون » يريد قومًا معيّنين « لا أعبد ما تعبدون » أي لا أعبد آلهتكم
التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال « ولا أنتم عابدون ما أعبد » أي إلهي الذي أعبد
اليوم وفي هذه الحال « ولا أنا عابدٌ ما عبدتم » فيما بعد اليوم « ولا أنتم عابدون ما أعبد »
فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبلية ؛ وقيل أيضاً في وجه التكرار : إنّ القرآن نزل
بلغّة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام ؛ وقيل أيضاً في ذلك : إنّ
المعنى : لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أنتم عابدون الله الذي أنا عابده إذا أشركتم
به واتخذتم الأصنام وغيرها تعبدونها من دونه وإنّما يعبد الله من أخلص العبادة له ،
« ولا أنا عابدٌ ما عبدتم » أي لا أعبد عبادتكم ، فتكون ما مصدرية « ولا أنتم عابدون ما
أعبد » أي وما تعبدون عبادتي ، فأراد في الأوّل المعبود ، وفي الثاني العبادة « لكم دينكم
ولي دين » أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني ، فحذف المضاف ؛ أو لكم كفركم بالله

ج ٩ ما ورد من المعصومين عليه السلام في تفسير الآيات وتأويلها - ١٧٣ -

ولي دين التوحيد والإخلاص على الوعيد والتهديد كقوله : «اعملوا ما شئتم» أو المراد بالدين الجزاء. ^(١)

أقول : أكثر آيات القرآن الكريم مسوقة للاحتجاج ، وإنما اقتصرنا على ما أوردنا لكونها أظهر فيه ، مع أننا قد أوردنا كثيراً منها في كتاب التوحيد وكتاب العدل والمعاد ، وسيأتي بعضها مع تفسير كثير مما أوردنا هنا في كتاب أحوال نبينا عليه السلام .

١ - م : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » قال الإمام عليه السلام : كذبته قريش واليهود بالقرآن وقالوا : سحر مبين تقوله ، فقال عز وجل : « ألم ذلك الكتاب » أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك وهو بالحروف المقطعة التي منها ألف ولام وميم وهو بلغتمكم وحروف هجاءكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين ، فاستعينوا على ذلك بسائر شهادكم ؛ ثم بين أنهم لا يقدرُونَ عليه بقوله : « قل لمن اجتمعت الإانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » قال الله تعالى : « ألم » هو القرآن الذي افتتح بألم هو « ذلك الكتاب » الذي أخبر به موسى ومن بعده من الأنبياء ، وأخبروا بني إسرائيل أنني سأنزل عليه كتاباً عربياً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد « لا ريب فيه » لا شك فيه لظهوره عندهم كما أخبرهم أنبياءهم أن محمداً عليه السلام ينزل عليه الكتاب يقرؤه هو وأُمَّته على سائر أحوالهم. ^(٢)

٢ - م : « إن الذين كفروا سواء عليهم » الآية ، قال الإمام عليه السلام : لما ذكر الله هؤلاء المؤمنين ومدحهم ذكر المنافقين (الكافرين خُل) المخالفين لهم في كفرهم فقال : « إن الذين كفروا » بالله وبما آمن به هؤلاء المؤمنون من توحيد الله ، ونبوة محمد رسول الله عليه السلام ، وبوصيته علي عليه السلام ولي الله ووصي رسوله وبالأئمة الطيبين الطاهرين خيار عباده الميامين القوامين بمصالح خلق الله « سواء عليهم » أنذرتهم « خوفتهم » أم لم تنذرهم « لم تخوفهم » لا يؤمنون أخبر عن علمه فيهم ، وهم الذين قد علم الله عز وجل أنهم لا يؤمنون .

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٥٢ .

(٢) تفسير العسكري : ٢٢ .

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام : إن رسول الله صلوات الله عليه وآله لما قدم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقيقته وبيّنات نبوته كادت اليهود أشد كيد وقصدوه أقبح قصد ، يقصدون أنواره ليطمسوها ، وحجته ليبتلوها ، فكان ممن قصده الرد عليه وتكذيبه مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وحدي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب ، وأبولبابة بن عبد المنذر ^(١) ، فقال : مالك لرسول الله صلوات الله عليه وآله : يا محمد تزعم أنك رسول الله ؟ قال رسول الله صلوات الله عليه وآله : كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين ، قال : يا محمد لن نؤمن لك أنك رسول الله حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتي . إلى آخر ما سياتي في أبواب معجزاته صلوات الله عليه وآله .

« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » الآية ؛ قال عليه السلام : أي وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظر إليها ، بأنهم الذين لا يؤمنون « وعلى سمعهم » وعلى أبصارهم غشاوة » وذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما أريد منهم جهلوا بالزعم الإيماني به ، فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصرها أمامه ، فإن الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما قدمهم بالقهر منه فلا يأمرهم بمغالبة ولا بالمسير إلى ما قصدتهم بالعجز عنه « ولهم عذاب عظيم » يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين ، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبئهم لطاعته ، أو من عذاب الاصطلام ليصيرهم إلى عدله وحكمته . ^(٢)

٣ - فس : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » فإنها نزلت في قوم منافقين أظهروا لرسول الله صلوات الله عليه وآله الإسلام ، وكانوا إذا رأوا الكفار قالوا : « إنا معكم » وإذا لقوا المؤمنين قالوا : نحن مؤمنون ، وكانوا يقولون للكفار « إنا معكم » إنما نحن مستهزون » فرد الله عليهم « الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم

(١) في المصدر : وشيبة .

(٢) تفسير العسكري : ٣٦ و ٣٣ .

٩٦ ما ورد من المعصومين عليه السلام في تفسير الآيات وتأويلها - ١٧٥ -

يعمّهون « و الاستهزاء من الله هو العذاب » ويمدّهم في طغيانهم « أي يدعهم « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » الضلالة ههنا : الحيرة ، والهدى : البيان ، واختاروا الحيرة والضلالة على البيان « و ادعوا شهداءكم » يعني الذين عبدوهم وأطاعوهم من دون الله . (١)

٤ - ٣ : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » الآية ، قال العالم عليه السلام فلمّا ضرب الله الأمثال للكافرين المجاهدين الدافعين لنبوة محمد عليه السلام والمناصيين المنافقين لرسول الله عليه السلام الدافعين ما قاله محمد عليه السلام في أخيه علي عليه السلام والدافعين أن يكون ما قاله عن الله عز وجل وهي آيات محمد عليه السلام ومعجزاته لمحمد عليه السلام مضافة إلى آياته التي بيّنها لعلي عليه السلام بمكة والمدينة ولم يزدادوا إلا عتوا و طغياناً قال الله تعالى ماردة أهل مكة وعتاة أهل مدينة : « إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » حتّى تجدوا أن يكون محمد رسول الله وأن يكون هذا المنزل عليه كلامي مع إظهاره عليه بمكة الباهرات من الآيات كالغمامة التي كان يظله بها في أسفاره ، والجمادات التي كانت تسلم عليه من الجبال والصخور والأحجار والأشجار ؛ وكدفاعه قاصديه بالقتل عنه وقتله إيّاهم ، وكالشجرتين المتباعدتين اللتين تلاصقتا ففقد خلفهما حاجته ثمّ ترجعتا إلى أمكنتهما (٢) كما كانتا ، وكدعائه للشجرة فجاءته محببة خاضعة ذليلة ثمّ أمره لها بالرجوع فرجعت سامعة مطيعة قال : يامعاشر قريش واليهود يامعاشر النواصب الملتحلين للإسلام الذين هم منه برآء ، ويا معشر العرب الفصحاء البلغاء ذوي الألسن « فأتوا بسورة من مثله » من مثل محمد عليه السلام ، من مثل رجل منكم لا يقرء ولا يكتب ، ولم يدرس كتاباً ، ولا يختلف إلى عالم ، ولا تعلم من أحد ، وأنتم تعرفونه في أسفاره وفي حضره ، بقي كذلك أربعين سنة ثمّ أوتي جوامع العلم حتّى علم علم الأولين والآخرين .

(١) تفسير القمي : ٣٠ .

(٢) في المصدر : ثمّ ترجعتا إلى مكانهما .

«فإن كنتم في ريب» من هذه الآيات «فأتوا» من مثل هذا الرجل بمثل هذا الكلام ليبيّن أنه كاذب، ^(١) لأن كل ما كان من عند غير الله فسيوجد له نظير في سائر خلق الله «وإن كنتم» معاشر قرّاء الكتب من اليهود والنصارى «في شك» ممّا جاءكم به محمد ﷺ من شرائعه ومن نصبه أخاه سيّد الوصيّين وصيّاً بعد أن أظهر لكم معجزاته التي منها أن كلمته ذراع مسمومة ، وناطقه ذئب ، وحنّ إليه العود وهو على المنبر ؛ ودفع الله عنه السمّ الذي دسّته اليهود ^(٢) في طعامهم ، وقلب عليهم البلاء ^(٣) وأهلكهم به ، وكثّر القليل من الطعام «فأتوا بسورة من مثله» يعني مثل القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم والكتب الأربعة عشر ^(٤) فإن كنتم لا تجدون في سائر كتب الله سورة كسورة من هذا القرآن ، وكيف يكون كلام محمد ﷺ المتقول أفضل من سائر كلام الله وكتبه يا معشر اليهود والنصارى ؟ ثم قال لجماعتهم : «وادعوا شهداءكم من دون الله» ادعوا أصنامكم التي تعبدونها أيّها المشركون ، وادعوا شياطينكم يا أيّها النصارى واليهود ، وادعوا قرناءكم من الملحدين يا منافقي المسلمين من النصاب لآل محمد الطيّبين عليّهم السلام وسائر أعوانكم على إراداتكم «إن كنتم صادقين» بأنّ محمداً تقوّل هذا القرآن من تلقاء نفسه لم ينزله الله عليه ، وأنّ ما ذكره من فضل عليّ عليّ جميع أمته وقلّده سياستهم ليس بأمر أحكم الحاكمين .

ثم قال عزّ وجلّ : «فإن لم تفعلوا» أي لم تأتوا يا أيّها المقرّعون بحجّة ربّ العالمين «ولن تفعلوا» أي ولا يكون هذا منكم أبداً «فأتقوا النار التي وقودها الناس» أي حطبها «والحجارة» توقد تكون عذاباً على أهلها «أعدّت للكافرين» المكذّبين بكلامه وبنبيّه ﷺ الناصيين العداوة لوليّه وصيّيه ، قال : فاعلموا بعجزكم عن ذلك أنّه من قبل الله ولو كان من قبل المخلوقين لقد رتم على معارضته ، فلمّا عجزوا بعد التقرّيع والتحدّي قال الله : «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله

(١) في المصدر : لتبين أنه كاذب كما تزعمون .

(٢) في المصدر : دسّته اليهودية في طعامهم .

(٣) في نسخة : وغلب عليهم البلاء .

(٤) في المصدر : والكتب المائة والأربعة عشر .

ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (١).

٥ - م : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» الآية : قال الباقر عليه السلام : فلمّا قال الله : «يا أيّها الناس ضرب مثل» وذكر الذباب في قوله : «إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا» الآية ، ولمّا قال : «مثل الذين اتّخذوا من دون الله أولياء كما مثل العنكبوت» الآية ، و ضرب مثلاً في هذه السورة بالذي استوقد ناراً وبالصيّب من السماء قالت الكفار والنواصب : وما هذا من الأمثال فيضرب ؟ يريدون به الطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال الله : يا محمد «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» لا يترك حياءً «أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا» للحقّ يوضحه به عند عباده المؤمنين «ما بعوضة» ما هو بعوضة المثل «فما فوقها» فوق البعوضة وهو الذباب ، يضرب به المثل إذا علم أنّ فيه صلاح عباده ونفعهم «فأمّا الذين آمنوا بالله وبولاية محمد وعلي وآلهما الطيّبين ، وسلّم لرسول الله صلى الله عليه وآله وللائمة أحكامهم وأخبارهم وأحوالهم ، ولم يقابلهم في أمورهم» (٢) ولم يتعاط الدخول في أسرارهم ، ولم يغش شيئاً ممّا يقف عليه منها إلّا بإذنهم «فيعلمون» يعلم هؤلاء المؤمنون الذين هذه صفتهم «أنّه» المثل المضروب «الحقّ» من ربّهم «أراد به الحقّ وإبائته والكشف عنه وإيضاحه وأمّا الذين كفروا بمحمد بمعارضتهم له في عليّ بلّم وكيف وتركهم الانقياد له في سائر ما أمر به «فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثير أو يهدي به كثير» يقول (٤) الذين كفروا : إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ بهذا المثل كثيراً ويهدي به كثيراً ، أي فلا معنى للمثل لأنّه وإن نفع به من يهديه فهو يضرّ به من يضلّه ، فردّ الله تعالى عليهم قائلهم فقال : «وما يضلّ به» أي وما يضلّ الله بالمثل «إلّا الفاسقين» الجانين على أنفسهم بترك تأمّله وبوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه» (٥).

(١) تفسير العسكري : ٥٩ . التقرّيع : التعنيف . والتحدّى : المباراة والمغالبة .

(٢) في المصدر : وسلموا لرسول الله صلى الله عليه وآله .

(٣) في المصدر : ولم يقابلهم .

(٤) في المصدر : أي يقول .

(٥) تفسير العسكري : ٨٢ .

بيان: قوله عليه السلام: ما هو بعوضة ظاهره أنه عليه السلام قرأ بالرفع كما قرئ به في الشواذ، فكلمة «ما» إمّا موصولة حذف صدر صلتها، أو موصوفة كذلك و حملها النصب بالبدليّة، أو استفهاميّة هي المبتداء، والأظهر في الخبر الوجهان الأولان.

٦ - ٥: «يا بني إسرائيل اذكروا» الآية، قال الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل «يا بني إسرائيل» ولد يعقوب إسرائيل «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» لما بعثت محمداً، وأقررت به بمدينتكم، ولم أجشمكم الحطّ والترحال إليه، ^(١) وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلا يشبه عليكم حاله «وأوفوا بعهدي» الذي أخذته على أسلافكم أنبياءكم، وأمرهم ^(٢) أن يؤدّوه إلى أخلافهم ليؤمنن بمحمد العربي القرشي الهاشمي المتأتمن بالآيات ^(٣) المؤيّد بالمعجزات التي منها: أن كلمته ذراع مسمومة، وناطقه ذئب، وحنّ إليه ^(٤) عود المنبر، وكثر الله له القليل من الطعام، ولأن له الصليب من الأحجار وصبّت له المياه السيّالة، ^(٥) ولم يؤيّد نبياً من أنبيائه بدلالة إلا جعل له مثلها أو أفضل منها، والذي جعل من آياته ^(٦) عليّ بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، ^(٧) وحلمه من حلمه، مؤيّد دينه بسيفه الباتر ^(٨) بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر وعلمه الفاضل وفضله الكامل «أوف بعهدكم» الذي أوجب به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقرّ الرحمة «وإيّاي فارهبون» في مخالفة محمّد عليه السلام فإنّي القادر على صرف بلاء من يعادىكم على موافقتي، وهم لا يقدرّون على صرف انتقامي عنكم إذا آثرتهم مخالفتي.

(١) جشمه وأجشمه الامر: كلفه إياه.

(٢) في المصدر: على أسلافكم أنبياءهم وأمرؤهم (وأمروهم خ ل) أن يؤدّوه إلى أخلافهم ليؤمنوا.

(٣) في المصدر وفي نسختين مخطوطتين من الكتاب وكذا في هامش النسخة المقروءة على المصنف: البيان بالآيات.

(٤) من إليه: اشتاق.

(٥) في المصدر ونسخة من الكتاب وكذا في هامش النسخة المقروءة على المصنف: وصلب له المياه السيّالة.

(٦) في المصدر: والذي جعل من أكبر آياته.

(٧) > : وحكمه من حكمه وحلمه من حلمه.

(٨) الباتر: القاطع.

ج ٩ ما ورد من المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٧٩ -

« وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به » الآية ، قال الإمام عليه السلام : قال الله عز وجل لليهود : « وآمنوا » أيها اليهود « بما أنزلت » على محمد عليه السلام من ذكر نبوته ، وإنباء إمامة أخيه علي وعترته الطاهرين « مصداقاً لما معكم » فإن مثل هذا في كتابكم ^(١) أن محمداً النبي سيد الأولين والآخرين المؤيد بسيد الوصيتين وخليفة رسول رب العالمين فاروق الأمة ، و باب مدينة الحكمة ، و وصي رسول الرحمة « ولا تشتروا بآياتي » المنزلة بنبوّة محمد عليه السلام وإمامة علي عليه السلام والطيبين من عترته « ثمناً قليلاً » بأن تعبدوا نبوة النبي عليه السلام وإمامة الإمام عليه السلام ^(٢) تعاضوا منها عرض الدنيا ، فإن ذلك وإن كثر فإلى نفاذ أو خسر و بوار .

وقال عز وجل : « وإياي فاتقون » في كتمان أمر محمد عليه السلام وأمر وصيته ، فإن تكتم إن تتقوا لم تقدحوا في نبوة النبي ولا في وصية الوصي ، بل حجج الله عليكم قائمة ، وبراهينه لذلك واضحة ، وقد قطعت معاذيركم ، وأبطلت تمويهكم ، ^(٣) وهؤلاء يهود المدينة جحدوا نبوه محمد وخانوه وقالوا : نعمن نعلم أن محمداً نبي ، وأن علياً وصيه ، ولكن لست أنت ذاك ولا هذا - يشيرون إلى علي - فأنطق الله ثيابهم التي عليهم ، وخفافهم التي في أرجلهم ، يقول كل واحد منها للأبسه : كذبت يا عدو الله ، بل النبي محمد عليه السلام هذا ، والوصي علي هذا ، ولو أذن لناضعطناكم وعقرناكم ^(٤) وقتلناكم ، وقال رسول الله عليه السلام : إن الله يمهلهم لعلمه بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات طيبات مؤمنات ، لو تزيّلوا ^(٥) لعذب هؤلاء عذاباً أليماً ، إنما يعجل من يخاف الفوت . ^(٦)

٧ - فسي : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » الآية ، فإنها نزلت في اليهود قد كانوا

(١) في المصدر : فإن مثل هذا الذكر في كتابكم .

(٢) » : بأن تعبدوا نبوة النبي وإمامة علي وآلهما اه .

(٣) موه عليه الامر أو الخبر : زوره عليه وزخرفه ولبسه ، أو بلغه خلاف ما هو .

(٤) ضغطة : عصره ، وضيق عليه . عقره : جرحه . نحره .

(٥) تزيّلوا : تفرقوا ، أي لوتميّزت ذرياتهم المؤمنات عن أصلابهم لعذب هؤلاء .

(٦) تفسير الامام العسكري : ٩٢ .

أظهروا الإسلام ، وكانوا منافقين ، وكانوا إذا رأوا رسول الله ﷺ قالوا : إنا معكم ، وإذا لقوا اليهود قالوا : نحن معكم ، وكانوا يخبرون المسلمين بما في التوراة من صفة محمد رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال لهم كبراً وهم وعلماءهم : « أنحدّ ثوبهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربكم أفلا تعقلون » فردّ الله عليهم فقال : « أولاً يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » .

« ومنهم » أي من اليهود « أمّيون لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً وإن هم إلا يظنون » وكان قومٌ منهم يحرّفون التوراة وأحكامه ثمّ يدّعون أنّه من عند الله فأنزل الله تعالى فيهم : « فويلٌ للذين يكتبون الكتاب الآية » .

« وقالوا لن تمسّتنا النار إلا آيئاً معدودة » قال بنو إسرائيل لن نعدّ إلا الآيات المعدودات التي عبدنا فيها العجل ، فردّ الله عليهم فقال الله تعالى : « قل يا محمد اتّخذتم عند الله عهداً الآية : « و قولوا للناس حسناً » نزلت في اليهود ثمّ نسخت بقوله : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . (١)

٨ - م : « وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » الآية : قال الإمام عليه السلام : أي واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذ ميثاقكم ، أي أخذ الميثاق على أسلافكم (٢) و على كل من يصل إليه الخبر بذلك من أخلافهم الذين أتتم منهم « لا تسفكون دماءكم » لا يسفك بعضكم دماء بعض « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » أي لا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم « ثمّ أقرّتم » بذلك الميثاق كما أقرّ به أسلافكم ، والتزمتموه كما التزموه « وأنتم تشهدون » بذلك الميثاق على أسلافكم وأنفسكم « ثمّ أنتم » معاشرا اليهود « تقتلون أنفسكم » يقتل بعضكم بعضاً « وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم » غضباً وقهراً « تظاهرون عليهم » يظاهرون بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه من ديارهم ، وقتل من تقتلونهم بغير حقّ (٣) « بالأيّام والعدوان » بالتعدّي تتعاونون وتظاهرون « وإن يأتوكم » يعني

(١) تفسير القمي : ٤٢ و ٤٣ .

(٢) في المصدر : واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا ميثاقكم على أسلافكم .

(٣) في المصدر : وقتل من تقتلونه منهم بغير حق .

هؤلاء الذين تخرجونهم ، أي ترومون إخراجهم وقتلهم ظلماً إن يأتوكم « أسارى » قد أسرهم أعداؤكم وأعداؤهم « تفادوهم » من الأعداء بأموالكم « وهو محرّم عليكم إخراجهم » أعاد قوله : « إخراجهم » ولم يقتصر على أن يقول : « وهو محرّم عليكم » لأنّه لو قال ذلك لرُمي أن المحرّم إنّما هو مفاداتهم ، ثمّ قال الله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب ، وهو الذي أوجب عليهم المفادات » وتكفرون ببعض « وهو الذي حرّم قتلهم وإخراجهم » فقال : فإذا كان قد حرّم الكتاب قتل النفوس والإخراج من الديار كما فرض فداء الأسراء فما بالكم تطيعون في بعض وتعصون في بعض ؟ كأنكم (فإنكم خل) ببعض كافرون ، وببعض مؤمنون ، ثمّ قال : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم » يا معشر اليهود « لا خزي » ذلك في الحياة الدنيا جزية تضرب عليه يذلّ بها « ويوم القيمة يردّون إلى أشدّ العذاب » إلى جنس أشدّ العذاب ، يتفاوت ذلك على قدر تفاوت معاصيهم « وما الله بغافل عما يعملون » يعمل هؤلاء اليهود ^(١) ثمّ وصفهم فقال تعالى : « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة » رضوا بالدنيا وحطّامها بدلاً من نعيم الجنان المستحقّ بطاعات الله « فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » لا ينصرهم أحد يدفع عنهم العذاب . ^(٢)

٩- م : « ولمّا جاءهم كتاب من عند الله » الآية قال الإمام عليه السلام : ذمّ الله تعالى اليهود فقال : « ولمّا جاءهم » يعني هؤلاء اليهود الذين تقدّم ذكرهم وإخوانهم من اليهود جاءهم « كتاب » من عند الله « القرآن مصدّق » ذلك الكتاب « لما معهم » التوراة ^(٣) التي بيّن فيها أن محمداً الأمين (الأمّيّ خل) من ولد إسماعيل المؤيّد بخير خلق الله بعده عليّ وليّ الله « و كانوا » يعني هؤلاء اليهود « من قبل » ظهور محمد عليه السلام بالرسالة « يستفتحون » يسألون (الله خل) الفتحة والظفر « على الذين كفروا » من أعدائهم والمناوين لهم ^(٤) و كان الله يفتح لهم و ينصرهم ، قال الله تعالى : « فلمّا جاءهم » أي هؤلاء اليهود « ما

(١) في المصدر : أى يعمل هؤلاء اليهود .

(٢) تفسير الامام : ١٣٦ و ١٣٧ .

(٣) في المصدر : لما معهم من التوراة .

(٤) المناوين : المعادين .

عرفوا « من نعت محمد ﷺ وصفته » كفروا به « جحدوا نبوته حسداً له و بغياً عليه (١) »

أقول : سيأتي تمامه في كتاب أحوال النبي ﷺ .

١٠ - م : « بئسما اشتروا به أنفسهم » الآية قال الإمام عليه السلام : ذم الله تعالى اليهود وعاب فعلهم في كفرهم بمحمد ﷺ فقال : « بئسما اشتروا به أنفسهم » أي اشتروها بالهدايا والفضول التي كانت تصل إليهم ، و كان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دافعاً في نعيم الآخرة فلم يشتروها ، بل اشتروها بما أنفقوه في عداوة رسول الله ﷺ ليبقى لهم عزهم في الدنيا و رياستهم على الجهنم ، و ينالوا المحرمات و أصابوا الفضولات من السفلة و صرفوهم عن سبيل الرشاد ، و وقفوهم على طرق الضلالات ، ثم قال عز وجل : « أن يكفروا بما أنزل الله بغياً » أي بما أنزل على موسى من تصديق محمد ﷺ بغياً « أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » فقال : و إنما كان كفرهم لبغيهم وحسدكم له لما أنزل الله من فضله عليه وهو القرآن الذي أبان فيه نبوته و أظهر به آيته و معجزته ؛ ثم قال : « فباءوا بغضب على غضب » يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله على غضب في أثر غضب ، والغضب الأول حين كذبوا بعيسى بن مريم ، والغضب الثاني حين كذبوا بمحمد ﷺ ، قال : والغضب الأول أن جعلهم قردة خاسئين و لعنهم على لسان عيسى عليه السلام ، والغضب الثاني حين سلط عليهم سيوف محمد وآله وأصحابه وأمتته حتى ذلّلهم بها ، فإمادخلوا في الإسلام طامعين ، وإمادأدوا الجزية صاغرين داخرين . (٢)

١١ - م : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله » الآية ، قال الإمام عليه السلام : « وإذا قيل لهؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم » آمنوا بما أنزل الله « على محمد من القرآن المشتمل على الحلال والحرام والفرائض والأحكام » قالوا نؤمن بما أنزل « علينا من التوراة » و يكفرون بما وراءه « يعني ماسواه لا يؤمنون به » وهو الحق « والذي يقول

(١) تفسير الامام العسكري : ١٥٨ .

(٢) > > > ١٦٢ .

ج ٩ ما ورد من المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٨٣ -

هؤلاء اليهود أنه وراه هو الحق ، لأنه هو الناسخ للمنسوخ الذي تقدّمه ، ^(١) قال الله تعالى : « قل فلم تقتلون » ولم كان يقتل أسلافكم « أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » بالتوراة ، أي ليس في التوراة الأمر بقتل الأنبياء ، ^(٢) فإذا كنتم تقتلون الأنبياء فما آمنتم بما أنزل عليكم من التوراة لأن فيها تحريم قتل الأنبياء ، وكذلك إذا لم تؤمنوا بمحمد و بما أنزل عليه وهو القرآن وفيه الأمر بالإيمان به فأنتم ما آمنتم بعد بالتوراة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أخبر الله تعالى أن من لا يؤمن بالقرآن فما آمن بالتوراة فإن الله تعالى أخذ عليهم الإيمان بهما ، لا يقبل الإيمان بأحدهما إلا مع الإيمان بالآخر . ^(٣)

١٢ - ٥ : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم » الآية ، قال الإمام عليه السلام : قال علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام : « أم تريدون » بل تريدون ^(٤) ياكفّار قريش و اليهود « أن تسألوا رسولكم » ما تقترحونه من الآيات التي لاتعلمون هل فيها صلاحكم أو فسادكم « كما سئل موسى من قبل » واقترح عليه لما قيل له : « إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة » « ومن يتبدّل الكفر بالإيمان » بعد جواب الرسول له أن ما سأل لا يصلح اقتراحه على الأنبياء ، ^(٥) و بعد ما يظهر الله له ما اقترح إن كان صواباً « ومن يتبدّل الكفر بالإيمان » بأن لا يؤمن عن مشاهدة ما اقترح من الآيات ، ألا يؤمن إذا عرف أن ليس له أن يقترح وأنه يجب أن يكتبني بما قد أقامه الله من الدلالات و أوضح من الميّنات فيتبدّل الكفر بالإيمان بأن يعاند و يلتزم الحجة القائمة عليه « فقد ضلّ سواء السبيل » أخطأ قصد الطرق المؤدّية إلى الجنان ، وأخذ في الطرق المؤدّية إلى النيران . ^(٦)

(١) في المصدر وفي نسخة من الكتاب : الذي قدمه الله تعالى .

(٢) في نسخة : أي ليست التوراة الأمر بقتل الأنبياء .

(٣) تفسير الامام : ١٦٣ .

(٤) في المصدر : أي بل تريدون .

(٥) في المصدر : لا يصلح اقتراحه على الله .

(٦) تفسير الامام العسكري : ٢٠٣ .

١٣ - م : « ود كثير من أهل الكتاب » الآية ، قال الإمام عليه السلام : « ود كثير من أهل الكتاب لو يرد ونكم من بعد إيمانكم كفاراً » بما يوردونه عليكم من الشبهة « حسداً من عند أنفسهم » لكم بأن أكرمكم بمحمد و علي وآلهما الطيبين « من بعد ما تبين لهم الحق » المعجزات ^(١) الدالات على صدق محمد عليه السلام وفضل علي وآلهما « فاعفوا واصفحوا » عن جهلهم وقابلوهم بحجج الله وادفعوا بها أباطيلهم « حتى يأتي الله بأمره » فيهم بالقتل يوم مكة ، فحينئذ تجلوهم من بلد مكة و من جزيرة العرب ولا تقرر بها كافراً « إن الله على كل شيء قدير » ولقدرته على الأشياء قدر على ما هو أصلح لكم في تعبده إيمانكم من مداراتهم و مقابلتهم بالجدال بالتي هي أحسن . ^(٢)
أقول : وسيأتي تمامه في أبواب أحوال أصحاب النبي عليه السلام .

١٤ - م : قوله عز وجل : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون » قال الإمام عليه السلام : قال الله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » من الدين بل دينهم باطل وكفر « وهم يتلون الكتاب » التوراة « وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » من الدين بل دينهم باطل وكفر « وهم يتلون الكتاب » الإنجيل ، ^(٣) فقال : هؤلاء هؤلاء مقلدون بلا حجة وهم يتلون الكتاب فلا يتأملونه ليعملوا بما يوجبهم فيتخلصوا من الضلالة ، ثم قال : « كذلك قال الذين لا يعلمون » الحق ولم ينظروا فيه من حيث أمرهم الله ، فقال بعضهم لبعض وهم مختلفون كقول اليهود والنصارى بعضهم لبعض ، هؤلاء يكفر هؤلاء ، هؤلاء يكفر هؤلاء ، ثم قال الله تعالى : « والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون » في الدنيا يدين ضلالهم وفسقهم ، ويجازي كل واحد منهم بقدر استحقاقه .

وقال الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام : إنما أنزلت الآية لأن قوماً

(١) في المصدر : من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات .

(٢) تفسير الامام : ٢١٢ .

(٣) راجع المصدر فإنه خال من جملة : وهم يتلون الكتاب الإنجيل .

ج٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٨٥ -

من اليهود وقوماً من النصارى جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد اقض بيننا ، فقال : قصّوا عليّ قصّتكم ، فقالت اليهود : نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم و أوليائه و ليست النصارى على شيء من الدين والحق ، وقالت النصارى : بل نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم و ليست اليهود على شيء من الدين و الحق ، فقال رسول الله ﷺ : كلّكم مخطؤون مبطلون فاسقون عن دين الله وأمره ، فقالت اليهود : فكيف نكون كافرين وفيينا كتاب الله التوراة نقرؤه ؟ و قالت النصارى : كيف نكون كافرين و لنا كتاب الله الإنجيل نقرؤه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنكم خالفتُم أيّها اليهود و النصارى كتاب الله فلم تعملوا به ، فلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفر بعضكم بعضاً بغير حجة ، لأنّ كتب الله أنزلها شفاءً من العمى (الغيّ خ) و بياناً من الضلالة ، يهدي العاملين بها إلى صراط مستقيم ، و كتاب الله إذا لم تعملوا بما كان فيه كان وبالاً عليكم ، ^(١) و حجة الله إذا لم تنقادوا لها كنتم لله عاصين و لستخطه متعرّضين ؛ ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على اليهود و قال : احذروا أن ينالكم بخلاف أمر الله و خلاف كتاب الله ما أصاب أواملكم الذين قال الله فيهم : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم » وأمروا بأن يقولوه ، قال الله تعالى : « فأنزّلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء » عذاباً من السماء طاعوناً نزل بهم فمات منهم مائة و عشرون ألفاً ، ثمّ أخذهم بعد ذلك فمات ^(٢) منهم مائة و عشرون ألفاً أيضاً ، و كان خلافهم أنّهم لمّا أن بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً فقالوا : ما بالنا نحتاج أن نركع عند الدخول ههنا ، ظلّنا أنّّه باب متطامن ^(٣) لا بدّ من الركوع فيه ، و هذا بابٌ مرتفع ، إلى متى يستخربنا هؤلاء ؟ - يعنون موسى و يوشع بن نون - و يسجدونا في الأباطيل ، وجعلوا إستانهم نحو الباب ، و قالوا بدل قولهم : حطّة الذي أمرنا به : همطاً سمقانا ، ^(٤) يعنون حنطة حراء ، فذلك تبديلهم . ^(٥)

- (١) في المصدر : و كتاب الله إذا لم تعملوا به كان وبالاً عليكم .
 (٢) في المصدر : ثمّ أخذهم بعد قباع فمات إهم و حكى عنه كذلك أيضاً في البرهان .
 (٣) في النسخة المقرّوة على المصنف : إنّ باب منحط إهم و المتطامن : المنخفض .
 (٤) في النسخة المقرّوة على المصنف : همطاً سمقانا ، و في المصدر في طبعه : همطاً سمقانا . و حكاه في البرهان هكذا : همطاً سمقانا .
 (٥) تفسير الإمام : ٢٢٦ و ٢٢٧ .

١٥ - فس : « وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » أي أحبوا العجل حتى عبده ، ثم قالوا : نحن أولياء الله ، فقال الله عز وجل : إن كنتم أولياء الله كما تقولون « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » لأن في التوراة مكتوب : إن أولياء الله يتمنون الموت .

قوله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل » الآية ، فإنها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ : إن لنا من الملائكة أصدقاء وأعداء ، فقال رسول الله ﷺ : من صديقكم ؟ ومن عدوكم ؟ قالوا : جبرئيل عدونا لأنه يأتي بالعذاب ، ولو كان الذي نزل عليك ميكائيل لآمنّا بك ، فإن ميكائيل صديقنا ، وجبرئيل ملك الفظاظلة والعذاب ، وميكائيل ملك الرحمة ، فأنزل الله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل » إلى قوله : « فإن الله عدو للكافرين » .^(١)

١٦ - ٥ : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً » الآية ، قال الإمام عليه السلام : قال الله تعالى لمّا آمن المؤمنون وقبل ولاية محمد وعليّ عليهما السلام العاقلون . وصدّ عنهما المعاندون : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً » أعداء يجعلونهم لله أمثالاً « يحبونهم كحب الله » يحبون تلك الأنداد من الأصنام كحبهم لله « والذين آمنوا أشد حُباً لله » من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله ، لأن المؤمنون يرون الربوبية لله لا يشركون ؛^(٢) ثم قال : يا محمد « ولوبرى الذين ظلموا » باتخاذ الأصنام أنداداً واتخاذ الكفار والفجار أمثالاً لمحمد وعليّ صلوات الله عليهما « إذ يرون العذاب الواقع بهم لكفرهم وعنادهم » أن القوة لله^(٣) لعلموا أن القوة لله يعذب من يشاء ، ويكرم من يشاء ، لا قوة للكفار يمتنعون بها عن عذابه « وأن الله شديد العقاب » ولعلموا أن الله شديد العقاب لمن اتخذ الأنداد مع الله ، ثم قال : « إذ تبرأ الذين اتبعوا الرؤساء من الذين اتبعوا » الرعايا والأتباع^(٤) « وتقطعت بهم الأسباب » فنيت حيلهم ولا

(١) تفسير القمى : ٤٦ .

(٢) في المصدر : يرون الربوبية لله وحده لا يشركون به .

(٣) في المصدر : أن القوة لله جميعاً .

(٤) في المصدر : ثم قال : « إذ تبرأ الذين اتبعوا » لودأى هؤلاء الكفار الذين اتخذوا الانداد حين يتبرأ الذين اتبعوا الرؤساء « من الذين اتبعوا » الرعايا والأتباع « وتقطعت بهم الأسباب » .

ج ٩ ما ورد من المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٨٧ -

يقدرّون على النجاة من عذاب الله بشيء. وقال الذين اتّبعوا « الأتباع » لو أن لنا كرة « يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى الدنيا « فتتبرء منهم » هناك كما تبرؤوا منّا » هنا ، قال الله عزّ وجلّ : « كذلك » كما تبرأ بعضهم من بعض « يريدهم الله أعمالهم حسرات عليهم » وذلك أنّهم عملوا في الدنيا لغير الله فيرون أعمال غيرهم التي كانت لله قد عظم الله نواب أهلها ، ورأوا أعمال أنفسهم لاثواب لها إذ كانت لغير الله ، وكانت على غير الوجه الذي أمر الله ، قال الله عزّ وجلّ : « وما هم بخارجين من النار » عذابهم سرمد دائم ، إذ كانت ذنوبهم كفراً لا يلحقهم شفاعة نبي ولا وصي ولا خير من خيار شيعتهم .^(١)

١٧ - فس : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق » الآية ، فإنّ البهائم إذا زجرها صاحبها فإنّها تسمع الصوت ولا تدري ما يريد ، وكذلك الكفار إذا قرأت عليهم القرآن وعرضت عليهم الإيمان لا يعلمون مثل البهائم .^(٢)

١٨ - م : « ومثل الذين كفروا » الآية ، قال الإمام عليه السلام : قال الله عزّ وجلّ : « ومثل الذين كفروا » في عبادتهم الأصنام واتّخاذهم الأنداد من دون مجدّ وعليّ صلوات الله عليهما « كمثل الذي ينعق بما لا يسمع » يصوت بما لا يسمع « إلّا دعاء ونداء » لا يفهم ما يراد منه فيتعب المستغيث به ويعين من استغاثه « صمّ بكم عمي » من الهدى في اتّباعهم الأنداد من دون الله والأضداد لأولياء الله الذين سمّوهم بأسماء خيار خلفاء الله ولقبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نصبهم الله لإقامة دين الله « فهم لا يعقلون » أمر الله عزّ وجلّ : قال عليّ بن الحسين عليه السلام : هذا في عباد الأصنام وفي النصّاب لأهل بيت محمد صلوات الله عليه وآله نبي الله ، هم أتباع إبليس وعتاة مردته ، سوف يصيرونهم إلى الهاوية .^(٣)

١٩ - م : « ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم » الآية قال الإمام : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : إنّ رسول الله صلوات الله عليه وآله لما أن فضّل عليّاً وأخبر عن جلالته عند ربّه عزّ وجلّ وأبان عن فضائل شيعته وأنصار دعوته ووبّخ اليهود والنصارى على كفرهم و

(١) تفسير الامام : ٢٤١ .

(٢) تفسير القمي : ٥٥ .

(٣) > > ٢٤٣ .

كتمانهم محمداً وعليّاً عليهما الصلاة والسلام في كتبهم^(١) بفضائلهم ومحاسنهم فخرت اليهود والنصارى عليهم فقال اليهود : قد صلينا إلى قبلتنا هذه الصلوات الكثيرة ، وفيينا من يحيي الليل صلاة إليها ، وهي قبلة موسى التي أمرنا بها ؛ وقالت النصارى : قد صلينا إلى قبلتنا هذه الصلوات الكثيرة ، وفيينا من يحيي الليل صلاة إليها ، وهي قبلة عيسى التي أمرنا بها ، وقال كل واحد من الفريقين : أترى ربنا يبطل أعمالنا هذه الكثيرة وصلاتنا إلى قبلتنا لأننا لا نتبع محمداً على هواه في نفسه وأخيه ؛ ! فأنزل الله تعالى يا محمد - ﷺ - قل : « ليس البر » الطاعة التي تنالون بها الجنان وتستحقون بها الغفران والرضوان « أن تولوا وجوهكم قبل المشرق » بصلاتكم أيها النصارى ، وقبل المغرب أيها اليهود ، وأنتم لأمر الله مخالفون ، وعلى ولي الله مغتاظون « ولكن البر » من آمن بالله « بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، يعظم من يشاء ، ويكرم من يشاء ، ويهين من يشاء ويذله ، لأراد لأمر الله ، ولا معقب لحكمه « و » آمن « باليوم الآخر » يوم القيامة التي أفضل من يوافيها محمد سيد النبيين ، وبعده عليّ أخوه وصفيته سيد الوصيين ، والتي لا يحضرها من شيعة محمد أحد إلا أضاءت فيها أنواره فصارت فيها إلى جنّات النعيم هو وإخوانه^(٢) وأزواجه وذريّاته والمحسنون إليه والدافعون في الدنيا عنه ، ولا يحضرها من أعداء محمد أحد إلا غشيتهم ظلماتها فيسير^(٣) فيها إلى العذاب الأليم هو وشركاؤه في عقده ودينه ومذهبه ، والمتقرّبون كانوا في الدنيا إليه من غير تقيّة لحقتهم منه ؛ الخبر .^(٤)

٢٠ - م : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحموة الدنيا » الآية ، قال الإمام عليه السلام : لما أمر الله عزّ وجلّ في الآية المتمدّمة بالتقوى سرّاً وعلانية أخبر محمد ﷺ أن في الناس من يظهرها ويسرّ خلافها وينطوي على معاصي الله ، فقال :

(١) في المصدر : وكتمانهم لذكر محمد وعلي وآلها في كتبهم .

(٢) في نسخة من الكتاب والمصدر : وأخوانه .

(٣) في المصدر : فيصير .

(٤) تفسير الامام : ٢٤٨ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٨٩ -

ياخذ «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا» وبإظهاره تلك الدين والإسلام^(١) وتزيينه في حضرتك بالورع والإحسان «و يشهد الله على ما في قلبه» بأن يحلف لك بأنه مؤمن مخلص مصدق لقوله بعمله «و إذا تولّى» عنك أدبر «سعى في الأرض ليفسد فيها» ويعصي بالكفر المخالف لما أظهر لك و الظلم المبائن لما وعد من نفسه بحضرتك «ويهلك الحرث والنسل» بأن يحرقه أو يفسده «والنسل» بأن يقتل الحيوانات فيقطع نسلها «والله لا يحب الفساد» لا يرضى به ولا يترك أن يعاقب عليه «وإذا قيل له» لهذا الذي يعجبك قوله : «أتق الله» ودع سوء صنيعك «أخذته العزة بالإثم» الذي هو محتقه^(٢) فيزداد إلى شره شراً ويضيف إلى ظلمه ظملاً «فحسبه جهنم» جزاء له على سوء فعله وعذاباً «ولبئس المهاد» تمهيداً ويكون دائماً فيها^(٣).

٢١ - فسى : «ويهلك الحرث والنسل» قال : الحرث في هذا الموضع الدين ، والنسل الناس ، ونزلت في الثاني ، ويقال : في معاوية^(٤).

٢٢ - شى : عن الحسين بن بشّار قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله : «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا» قال : فلان و فلان «ويهلك الحرث والنسل» هم الذريّة ، والحرث : الزرع^(٥).

٢٣ - شى : عن زرارة ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال : سألتهما عن قوله : «و إذا تولّى سعى في الأرض» إلى آخر الآية ، فقال : النسل : الولد ، والحرث : الأرض ، وقال أبو عبد الله عليه السلام : الحرث : الذريّة^(٦).

٢٤ شى : عن أبي إسحاق السبيعي^(٧) ، عن علي عليه السلام في قوله : «وإذا تولّى

(١) في المصدر : وبإظهاره لك الدين والإسلام وتزيينه بحضرتك .

(٢) احتقب الائم : جمعه . وفي المصدر : هو محتقه .

(٣) تفسير الامام : ٢٦٠ ، وفيه : «ولبئس المهاد» مهدها .

(٤) تفسير القمي : ٦١ .

(٥) مخطوط .

(٦) السبيعي بفتح السين منسوب إلى سبيع و هو بطن من همدان ، والرجل هو أبو اسحاق عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي الهمداني الكوفي من أعيان التابعين رأى علياً عليه السلام و كان كثير الرواية ، ولد سنة ٢٩ في خلافة عثمان ، ومات سنة ١٢٧ ، وقيل في ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٢ ترجمه الشيخ في رجاله في باب أصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام .

سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل « بظلمه وسوء سيرته « والله لا يحب الفساد » . (١)

٢٥ - شى : عن سعد الإسكاف ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « وهو اللدّ الخصام » قال : اللدّ : الخصومة . (٢)

٢٦ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بيّنة » فمنهم من آمن ، ومنهم من جحد ، ومنهم من أقرّ ومنهم من أنكر . (٣)

٢٧ - فس : « ها أنتم هؤلاء » أي أنتم ياهؤلاء « حاججتكم فيما لكم به علم » يعني بما في التوراة والإنجيل « فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم » يعني بما في صحف إبراهيم عليه السلام . قوله تعالى : « وتكتمون الحق » وأنتم تعلمون « أي تعلمون ما في التوراة من صفة رسول الله عليه السلام وتكتمونه . قوله تعالى : « وقالت طائفة من أهل الكتاب » الآية قال نزلت في قوم من اليهود قالوا : آمنا بالذي جاء به محمد عليه السلام بالغداة وكفروا به بالعشي .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » فإن رسول الله عليه السلام ملّا قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس أعجب ذلك اليهود ، فلمّا صرفه الله عن بيت المقدس إلى البيت الحرام وجدت اليهود من ذلك ، وكان صرف القبلة في صلاة الظهر ، فقالوا : صلّى محمد الغداة واستقبل قبلتنا فأمنوا بالذي أنزل على محمد وجه النهار واكفروا آخره ، يعنون القبلة حين استقبل رسول الله عليه السلام المسجد الحرام ، لعلهم يرجعون إلى قبلتنا . (٤)

٢٨ - فس : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » فإن اليهود قالوا : يحلّ لنا أن نأخذ مال الأميين ، والأميون : الذين ليس معهم كتاب ، فردّ الله عليهم

ج ٩ ماورد من المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ١٩١ -

فقال : «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» . قوله : «إن الذين يشتمون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» قال : يتقربون إلى الناس بأنهم مسلمون فيأخذون منهم ويخونونهم وماهم بمسلمين على الحقيقة .

قوله تعالى : «وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب» الآية ، قال كان اليهود يقرؤون شيئاً ليس في التوراة ، ويقولون : هو في التوراة ، فكذبهم الله . قوله : «ما كان لبشر» الآية ، أي أن عيسى لم يقل للناس : إنني خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن قال لهم : كونوا ربانيين أي علماء . قوله : «ولا يأمركم» الآية ، قال : كان قوم يعبدون الملائكة ، وقوم من النصارى زعموا أن عيسى رب ، واليهود قالوا : عزيز ابن الله ، فقال الله : «لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً» . (١)

٢٩ - فسي : «أفغير دين الله يبغون» قال : أغير هذا الذي قلت لكم أن تقرؤوا بمحمد ووصيه «وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» أي فرقاً من السيف . (٢)

٣٠ - فسي : «كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل» الآية ، قال : إن يعقوب كان يصيبه عرق النساء ، فحرّم على نفسه لحم الجمل ، فقالت اليهود : إن لحم الجمل محرّم في التوراة (٣) فقال عز وجلّ لهم : «فأتوا بالتوراة فاتلوها» إن كنتم صادقين «إنما حرّم هذا إسرائيل على نفسه ، ولم يحرمه على الناس» . (٤)

٣١ - شى : ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : «كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه» قال : إن إسرائيل كان إذا أكل لحوم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة ، فحرّم على نفسه لحم الإبل ، وذلك من قبل أن تنزل التوراة ، فلما أنزلت التوراة لم يحرمه (٥) ولم يأكله . (٦)

(١) تفسير القمي : ٩٥ و ٩٦ .

(٢) تفسير القمي : ٩٧ . قوله : فرقاً من السيف أي خوفاً وفرعاً منه .

(٣) في المصدر : محرّم على بني إسرائيل في التوراة .

(٤) تفسير القمي : ٩٧ .

(٥) قوله : فلما أنزلت التوراة لم يحرمه إلا لا يخلو بظاهره عن غرابة ، لأن الظاهر أن الضمير يرجع إلى إسرائيل أي يعقوب ، وهو كان قبل موسى ونزول التوراة بكثير ، فلذا أوجع المصنف الضمير إلى موسى ، راجع الحديث تحت رقم ٤٦ .

(٦) مخطوط .

٣٢ - شى : عن سماعة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » : وقد علم أن هؤلاء لم يقتلوا ، ولكن لقد كان هواهم مع الذين قتلوا ، فسمّاهم الله قاتلين لمطابقة هواهم ورضاهم بذلك الفعل . (١)

٣٣ - شى : عن محمد بن هاشم ، عن حدّثه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية : « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » وقد علم أن قالوا : والله ما قتلنا ولا شهدنا ، قال : وإنّما قيل لهم : ابرؤا ممن قتلهم ، فأبوا . (٢)

٣٤ - فسى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء » قال : و الله ما رأوا الله فيعلمون أنّه فقير ، ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء فقالوا : لو كان الله غنياً لأغنى أولياءه ، فافتخروا على الله بالغنى .

وأما قوله : « الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار » فكان عند بني إسرائيل طست كانوا يقرّبون فيه القربان ^(٣) فيضعونه في الطست فتجىء نار فتقع فيه فتحرقه ، فقالوا لرسول الله عليه السلام : « لن نؤمن لك حتّى تأتينا بقربان تأكله النار » كما كان لبني إسرائيل ، فقال الله تعالى : قل لهم يا محمد : « قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » .

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات » الآيات « والزير » هو كتب الأنبياء ^(٤) « والكتاب المنير » الحلال والحرام . (٥)

٣٥ - فسى : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا تكتُمونه » ذلك أن الله أخذ

(٢٠٩) مخطوط .

(٣) في المصدر : وكانوا يقرّبون القربان .

(٤) في المصدر : هو كتب الانبياء بالنبوة .

(٥) تفسير القمى : ١١٦ .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٩٣ -

ميثاق الذين أوتوا الكتاب في عهد عليه السلام لتبيينه للناس إذا خرج ولا تكتمونه « فنبذوه وراء ظهورهم » يقول : نبذوا عهد الله وراء ظهورهم « و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون » .

٣٦ - شى : عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام : نزلت هذه الآية على محمد عليه السلام هكذا : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلت في علي مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أعقابها » الآية فأما قوله : « مصداقاً لما معكم » يعني مصداقاً برسول الله عليه السلام . (١)

٣٧ - فسى : ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ، قال : هم الذين سمّوا أنفسهم بالصدّيق والفاروق وذو النورين . قوله : « ولا يظلمون فتيلاً » قال : القشرة التي تكون على النواة ، ثم كسّى عنهم فقال : « انظر كيف يفترون على الله الكذب » وهم هؤلاء الثلاثة . وقوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » قال : نزلت في اليهود حين سألهم مشركو العرب فقالوا : أديننا أفضل أم دين محمد ؟ قالوا : بلى دينكم أفضل . و قدروي فيه أيضاً أنها نزلت في الذين غصبوا آل محمد حقهم وحسدوا منزلتهم ، فقال الله : « أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً » يعني النقطة التي في ظهر النواة ، ثم قال : « أم يحسدون الناس » يعني بالناس هنا أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام « على ما

(١) الحديث من الاحاد التي وردت في تعريف القرآن ، وهو لا يوجب علماً ولا عملاً ، على ان الرجالين ضعفوا عمرو بن شمر قال النجاشي : عمرو بن شمر أبو عبد الله الجعفي عيسى ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ضعيف جداً ، زيد أحاديث في كتب جابر الجعفي ينسب بعضها إليه ، و الامر ملتبس انتهى . وقال العلامة في الخلاصة بعد ما سرد كلام النجاشي : فلا أعتد على شىء مما يرويه . وقال النجاشي في ترجمة جابر : جابر بن يزيد أبو عبد الله وقيل أبو محمد الجعفي عيسى قديم ، لقى أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام ، ومات في أيامه سنة ثمان وعشرين ومائة ، روى عنه جماعة غمز فيهم وضعفوا ، منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب ، وكان في نفسه مختلطاً . ويمكن أن يعمل الحديث على أنها وردت في علي عليه السلام كما أن له نظائره في غيره من الاحاديث .

آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتينهم ملكاً عظيماً « وهي الخلافة بعد النبوة وهم الأئمة عليهم السلام ، حدثني علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله عليه السلام ، عن أبيه ، عن يونس ، عن أبي جعفر الأحمول ، عن حنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : قوله : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب » قال : النبوة قلت : « والحكمة » قال : الفهم والقضاء « وآتيناهم ملكاً عظيماً » قال : الطاعة المفروضة .^(١)

٣٨ - فس : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » نزلت في الزبير بن العوام فإنه نازع رجلاً من اليهود في حديقة فقال الزبير : ترضى^(٢) بآبن شعبة اليهودي ؟ وقال اليهودي : ترضى بمحمد عليه السلام ، فأمر الله تعالى : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » إلى قوله : « رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » هم أعداء آل محمد - صلوات الله عليهم - كلهم جرت فيهم هذه الآية .^(٣)

٣٩ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن منصور ، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قال : المصيبة هي الخسف والله بالفاسقين عند الحوض قول الله : « فكيف إذا أصابتهم مصيبة » الآية .^(٤)

٤٠ - فس : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته » قال : الفضل رسول الله صلى الله عليه وآله ، و الرحمة أمير المؤمنين صلوات الله عليه .^(٥)

٤١ - فس : « ليس بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب » يعني ليس ما تتمنون أنتم ولا أهل الكتاب ، أي أن لاتعدّوا بأفعالكم . قوله : « ولا يظلمون نقيراً » هي النقطة التي في النواة .^(٦)

٤٢ - شى : عن الحارث بن المغيرة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإن من

(١) تفسير القمي : ١٢٨ و ١٢٩ .
(٢) في نسخة : ترضى .
(٣) > > ١٢٩ و ١٣٠ .
(٤) تفسير القمي : ١٣٠ .
(٥) > > ١٣٣ .
(٦) > > ١٤١ ، وكلمة (أي) غير موجودة فيه .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ١٩٥ -

أهل الكتاب **إِلَّا لِيُؤْمِنُوا** به قبل موته و يوم القيمة يكون عليهم شهيداً ، قال : هو رسول الله صلى الله عليه وآله .

٤٣ - شى : عن المفصل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإن من أهل الكتاب الآية ، فقال : هذه فينا نزلت خاصة ، إنه ليس رجل من ولد فاطمة عليها السلام يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقر للإمام بإمامته ، كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالوا : « تالله لقد آثر الله علينا » .

٤٤ - شى : عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله في عيسى : « وإن من أهل الكتاب الآية ، فقال : إنما إيمان أهل الكتاب لمحمد صلى الله عليه وآله .

٤٥ - فس : أبي ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن أبي حمزة ، عن شهر بن حوشب قال : قال لي الحجاج : يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني ، فقلت : أيها الأمير آية آية هي ؟ فقال : قوله : « وإن من أهل الكتاب **إِلَّا لِيُؤْمِنُوا** به قبل موته » والله إنني لآمر باليهودي والنصراني فتضرب عنقه ^(١) ثم أرمقه ^(٢) بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتى يخذم ، فقلت : أصلح الله الأمير ليس على ماتنا وُلّت ، ^(٣) قال : كيف هو ؟ قلت : إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره **إِلَّا آمَنَ** به قبل موته ، ويصلي خلف المهدي قال : ويحك أننى لك هذا ؟ ومن أين جئت به ؟ فقلت : حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : جئت والله بها من عين صافية . ^(٤)

٤٦ - فس : قوله تعالى : « فبظلم من الذين هادوا » الآية ، فأنته حدثني أبي ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من زرع حنطة في أرض فلم ترك في أرضه و زرعه و خرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك

(١) في المصدر : فأضرب عنقه .

(٢) رمله : لحظه لحظاً خفيفاً . أطال النظر إليه .

(٣) في المصدر : فليس على ما قلت .

(٤) تفسير القمي : ١٤٦ .

رقبة الأرض ، أو بظلم لمزادعه وأكرته ، لأن الله يقول : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وصدّهم عن سبيل الله كثيراً » يعني لحوم الإبل والبقر والغنم ، هكذا أنزلها الله فاقروها هكذا ، وما كان الله ليحل شيئاً في كتابه ثم يحرمه بعد ما أحله ، ولا يحرم شيئاً ثم يحله بعد ما حرمه ، قلت : وكذلك أيضاً : « ومن الإبل والبقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما » ؟ قال : نعم ، قلت : فقله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » ؟ قال : إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل يهيج عليه وجع الخاصرة فحرم على نفسه لحم الإبل ، وذلك من قبل أن تنزل التوراة ، فلمّا نزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله .^(١)

بيان : أقول : رواه العياشي ، عن ابن أبي يعفور ، وساقه إلى قوله : يعني لحوم الإبل والبقر والغنم ، وقال : إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم البقر ، إلى آخر الخبر . وعلّمه إنّما أسقط الزوائد لإعضالها وعدم استقامة معناها بلاتكلف ، والذي سنع لي في حله أنّه ﷺ قرأ : « حرمنا عليهم » بالتخفيف ، أي جعلناهم محرومين من تلك الطيبات ، وإنّما عدّي بعلى بتضمين معنى السخط ونحوه ، والحاصل أنّهم أمّا ظلموا أنفسهم بارتكاب المحرمات سلبنا عنهم اللطف والتوفيق حتّى ابتعدوا وحرّموا الطيبات على أنفسهم .

ثمّ استدللّ ﷺ على أنّ هذه القراءة أولى وهذا المعنى أخرى بأنّ ظلم اليهود كان بعد موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام ، ولم ينسخ التوراة كتاب بعده سوى الإنجيل ، واليهود لم يعملوا بحكم الإنجيل ، فتعيّن أن يكون التحريم من قبل أنفسهم فقله ثمّ يحرمه بعد ما أحله أي في غير هذا الكتاب وبعد ذهاب النبيّ الذي نزل عليه الكتاب ، فلا ينافي نسخ الكتاب بالكتاب والسنة ، ثمّ سأل السائل عن قوله : « حرمنا عليهم شحومهما » فقال ﷺ : هنا أيضاً كذلك بالتخفيف بهذا المعنى ، وأمّا قوله تعالى : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » فهو بالتشديد لأنّه مصرّح بأنّه إنّما حرم على نفسه بفعله ولم يحرمه الله عليه ؛ ويحتمل على بعد أن يكون المعنى أنّه ﷺ

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ١٩٧-

لما استشهد بالآية على أن الله تعالى قد يذهب ببعض النعم لمعاصي العباد عرف السائل بأن المراد بالتحريم ههنا ما يناسب هذا المعنى وهو ابتلاؤهم ببلاء لم يمكنهم الانتفاع بها ، إما بآفة ، أو بأن يستولي الشيطان عليهم فيحرّموها على أنفسهم ، ثم أكد ذلك بقوله : هكذا أنزلها الله ، أي بهذا المعنى وإن لم يختلف اللفظ فاقرؤها هكذا ، أي قاصدين هذا المعنى لما فهمه الناس ، والأول أصوب ، وإما قوله : « ولم يأكله » فالظاهر أن المراد به موسى على نبينا وآله و عليه السلام ، أي لم يحرّمه موسى على نبينا وآله و عليه السلام ، أو الكتاب ، ولم يأكله موسى تنزّهاً ، أو لاشتراك العلة بينه وبين إسرائيل ، و يحتمل أن يكون المعنى أنه نزل في التوراة أن إسرائيل لم يحرّمه ولم يأكله .

٤٧ - شي : عن عبد الله بن سليمان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله : « قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً » قال : البرهان محمد عليه السلام ، والنور علي عليه السلام ، قال : قلت : قوله : « صراطاً مستقيماً » قال : الصراط المستقيم علي عليه السلام . (١)

٤٨ - فس : « و من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم » قال : عنى (٢) أن عيسى بن مريم عبد مخلوق فجعلوه رباً « و نسوا حظاً مما ذكروا به » . قوله : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير » قال : يبين النبي عليه السلام (٣) ما أخفيتموه مما في التوراة من أخباره و يدع كثيراً لا يبينه « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين » يعني بالنور أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

قوله : « قد جاءكم رسولنا يبين لكم » مخاطبة لأهل الكتاب « يبين لكم على فترة من الرسل » قال : على انقطاع من الرسل ، ثم احتج عليهم فقال : « أن تقولوا » أي لئلا تقولوا . (٤)

(١) مخطوط .

(٢) هكذا في نسخ الكتاب ، و في المصدر : قال : على أن عيسى . وهو واضح .

(٣) في المصدر : يبين لكم النبي صلى الله عليه وآله .

(٤) تفسير القمي : ١٥٢ .

قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً » يعني في بني إسرائيل لم يجمع الله لهم النبوة والملوك في بيت واحد ، ثم جمع الله لنبيّه ﷺ .
 ٤٩ - شى : عن يعقوب بن شعيب قال : سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله : « قالت اليهود يد الله مغلولة » قال : فقال لي : كذا - وقال : وأوماً بيده إلى عنقه - ولكنه قال : قد فرغ من الأشياء . وفي رواية أخرى يعني قولهم : فرغ من الأمر .
 وعن حماد عنه ﷺ قال : يعنون أنه قد فرغ مما هو كائن « لعنوا بما قالوا » قال الله عز وجل : « بل يدها مبسوطتان » .^(١)

٥٠ - شى : عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ في قوله : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله » كلما أراد جبار من الجبابرة هلكة آل محمد قصمه الله .^(٢)

٥١ - شى : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر ﷺ في قوله تعالى : « ولوأن أهل الكتاب أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم » قال : الولاية .^(٣)

٥٢ - شى : عن أبي الصهباء البكري قال : سمعت علي بن أبي طالب ﷺ ودعا رأس الجالوت وأسقف النصارى فقال : إني سأملكما عن أمر وأنا أعلم به منكما فلا تكتما علي ، ثم دعا أسقف النصارى فقال : أشدك بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى ، وجعل على رجله البركة ، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ، وأبرأ أكمه العين وأحصى الميت ، وصنع لكم من الطين طيوراً ، وأنباكم بما تأكلون وما تدخرون ، فقال : دون هذا صدق ، فقال علي ﷺ : بكم افترقت بنو إسرائيل بعد عيسى ، فقال : لا والله إلا فرقة واحدة ، فقال علي : كذبت والذي لإله إلا هو ، لقد افترقت على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ، إن الله يقول : « منهم أمة مقتتصة و كثير منهم سوء ما كانوا يعملون » فهذه التي تنجو .^(٤)

٥٣ - شى : عن حمران بن أعين ، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله تعالى : « يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم و ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » قال هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .^(٥)

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ١٩٩ -

٥٤ - فسر : « وقالت اليهود بدالله مغلوله » الآية ، قال : قالوا : قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول ، فرد الله عليهم فقال : « بل يدها ميسوطتان ينفق كيف يشاء » أي يقدم و يؤخر و يزيد و ينقص وله البداء والمشيئة . قوله : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم » يعني اليهود والنصارى « لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » قال : من فوقهم المطر ، ومن تحت أرجلهم النبات . قوله : « ومنهم أمة مقتصدة » قال : قوم من اليهود دخلوا في الإسلام فسمّاهم الله مقتصدة .^(١)

٥٥ - شى : عن مروان ،^(٢) عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذكر النصارى وعداوتهم ، فقلت : قول الله تعالى : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » قال : أولئك كانوا قوماً بين عيسى و محمد عليه السلام ينتظرون مجيئ محمد عليه السلام .^(٣)

٥٦ - شى : عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » قال : إن أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن قالوا : وصلت فلا يستحلون ذبحها ولا أكلها ، وإذا ولدت عشرة جعلوها سائبة فلا يستحلون ظهرها ولا أكلها ، والحام : فحل الإبل لم يكونوا يستحلون ، فأنزل الله : إن الله لم يحرم شيئاً من هذا . وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : البحيرة إذا ولدت ولد ولدها بهرت .^(٤)

٥٧ - فسر : قوله : « ما جعل الله من بحيرة » الآية ، فإن البحيرة كانت إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ففي السادسة قالت العرب : قد بهرت ، فجعلوها للصنم ولا تمنع ماء ولا مرعى ، والوصيلة إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ثم وضعت في السادسة جدياً وعناقاً في بطن واحد جعلوا الأثنى للصنم وقالوا : وصلت أخاها ، وحرّموا لحمها على النساء ، والحام كان إذا كان الفحل من الإبل جد الجدّ قالوا : حمى ظهره

(١) تفسير القمى : ص ١٥٩ .

(٢) فى النسخة المقررة على المصنف : عن عمران .

(٣) (٤٣) مخطوط .

فسمّوه حاماً ، فلايركب ولايمنع ماء ولامرعى ولايحمل عليه شيء ، فردّ الله عليهم فقال :
« ما جعل الله من بحيرة » إلى قوله : « وأكثرهم لا يعقلون » .^(١)

٥٨ - فس : « و إذ قال الله يا عيسى بن مريم ، أنت قلت للناس اتّخذوني وأُمّتي
إلهين من دون الله » فلفظ الآية ماض ومعناه مستقبل ، ولم يقله بعد وسيقوله ، وذلك
أنّ النصارى زعموا أنّ عيسى قال لهم : إني وأُمّتي إلهان من دون الله ، فإذا كان
يوم القيامة يجمع الله بين النصارى وبين عيسى فيقول له : « أنت قلت للناس اتّخذوني
وأُمّتي إلهين »^(٢) فيقول عيسى : « سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن
كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علام الغيوب » إلى
قوله : « وأنت على كلّ شيء شهيد » والدليل على أنّ عيسى لم يقل لهم ذلك قوله :
« هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » .^(٣)

٥٩ - شيء : عن ثعلبة ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك
وتعالى لعيسى : « أنت قلت للناس اتّخذوني وأُمّتي إلهين من دون الله » قال : لم يقله
وسيقوله ، إنّ الله إذا علم أنّ شيئاً كائن أخبر عنه خبر ما كان .
وعن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال :
إنّ الله إذا أراد أمراً أن يكون قصّته قبل أن يكون كأن قد كان .^(٤)

٦٠ - شيء : عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علام الغيوب » قال : إنّ الاسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً
فاحتجب الربّ تبارك وتعالى منها بحرف ، فمن ثمّ لا يعلم أحدٌ ما في نفسه عز وجلّ
أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً من الاسم توارثتها الأنبياء حتّى صارت إلى عيسى ، فذلك
قول عيسى : « تعلم ما في نفسي » يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر ، يقول : أنت
علمتنيها فأنت تعلمها « ولا أعلم ما في نفسك » يقول : لأنك احتجبت من خلقك بذلك
الحرف فلا يعلم أحدٌ ما في نفسك .^(٥)

(١) تفسير القمي : ١٢٥ .

(٢) في المصدر : أنت قلت لهم ما يدعون عليك ؛ فيقول عيسى .

(٣) تفسير القمي : ١٢٢ .

(٤) تفسير العياشي : مخطوط .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢٠١ -

٦١ - فس : قال تعالى حكاية عن قريش : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك » يعني على رسول الله عليه السلام « ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون » فأخبر عز وجل أن الآية إذا جاءت والملك إذا نزل ولم يؤمنوا هلكوا . فاستغنى النبي عليه السلام من الآيات رافة منه ورحمة على أمته وأعطاه الله الشفاعة ، ثم قال الله : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » أي نزل بهم العذاب ، ثم قال : « قل لهم يا محمد «سيروا في الأرض» أي انظروا في القرآن وأخبار الأنبياء «فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»^(١) ثم قال : « قل لهم «من ما في السموات والأرض» ثم رد عليهم فقال : « قل لهم «لهم كتب على نفسه الرحمة» يعني أوجب الرحمة على نفسه .^(٢)

٦٢ - شي : عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لبسوا عليهم لبس الله عليهم ، فإن الله يقول : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

٦٣ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » وذلك أن مشركي أهل مكة قالوا : يا محمد ما وجدنا رسولاً يرسله غيرك ؟ ما نرى أحداً يصدقك بالذي تقول ، وذلك في أول ما دعاهم وهو يومئذ بمكة ، قالوا : ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك ذكر عندهم ، فأتنا بمن يشهد أنك رسول الله عليه السلام ، قال رسول الله : « الله شهيد بيني وبينكم » الآية ، قال : « أعنيكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى » يقول الله لمحمد عليه السلام : « فإن شهدوا فلا تشهد معهم » قال : « قل لأشهد قل إنهم إله واحد وإنني بريء مما تشركون » .^(٣)

٦٤ - شي : عن زرارة وحران ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله :

(١) في المصدر : « سيروا في الأرض ثم انظروا » أي انظروا في القرآن وأخبار الأنبياء كيف كان عاقبة المكذبين .

(٢) تفسير القمي : ١٨١ .

(٣) تفسير القمي : ١٨٢ .

«وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» يَعْنِي الْأُمَمَةَ مِنْ بَعْدِهِمْ يَنْذَرُونَ بِهِ النَّاسَ .

وَعَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَاكَلِيِّ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مَنْ بَلَغَ أَنْ يَكُونَ إِمَاماً مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْأَوْصِيَاءَ فَهُوَ يَنْذَرُ بِالْقُرْآنِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) .

٦٥ - شَيْ : عَنْ عَمَّارِ بْنِ مِثْمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : «فَاِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ كَذَّبُوهُ أَشَدَّ الْمَكْذُوبِينَ ^(٢) وَلَكِنَّهَا مُخَفَّفَةٌ ، لَا يَكْذِبُونَكَ : لَا يَأْتُونَ بِبَاطِلٍ يَكْذِبُونَ بِهِ حَقِّكَ .

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَاِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ » قَالَ : لَا يَسْتَطِيعُونَ إِبْطَالَ قَوْلِكَ ^(٣) .

٦٦ - فَس : قَوْلُهُ : « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ » الْآيَةُ ، فَاِنَّهَا قَرُمَتْ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ كَذَّبُوهُ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ : لَا يَكْذِبُونَكَ ، أَيَّ لَا يَأْتُونَ بِحَقٍّ يَبْطُلُونَ حَقِّكَ .

حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمَنْقَرِيِّ ، عَنْ حَفْصِ ابْنِ غِيَاثٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَاحْفَظُ إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبْرًا قَلِيلاً ، وَإِنْ جَزَعَ جَزَعَ قَلِيلاً ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ فَقَالَ : « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَلِيلًا » وَقَالَ : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَابَلُوهُ بِالْعِظَامِ وَرَمَوْهُ بِهَا ، فَضَاقَ صَدْرُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ » ثُمَّ كَذَّبُوهُ وَرَمَوْهُ فَحَزَنَ لِذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوْذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ

(١ و ٣) تفسير العياشي : مخطوط .

(٢) في نسخة : أشد التكذيب ، وهو الظاهر ، ويؤيده ما يأتي عن القمي .

ج٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٠٣ -

نصرنا» فالزم نفسه الصبر ففعدوا^(١) وذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه ، فقال رسول الله ﷺ : لقد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولاصبر لي على ذكرهم إلهي ، فأَنْزَلَ الله تعالى : «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب» فاصبر على ما يقولون» فصبر ﷺ في جميع أحواله ، ثمَّ بشر في الأئمة من عترته ووصفوا بالصبر فقال : «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» فعند ذلك قال ﷺ : «الصبر من الإيمان كالرأس من البدن» فشكر الله له ذلك فَأَنْزَلَ الله عليه : «وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون» فقال : آية بشرى وانتقام ، فأباح الله قتل المشركين حيث وجدوا ، فقتلهم على يدي رسول الله ﷺ وأحبائه ، وعجل له نواب صبره مع ما ادَّخله في الآخرة .

و في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « وإن كان كبير عليك إعراضهم » قال : كان رسول الله ﷺ يحبَّ إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف دعاه رسول الله ﷺ وجهد به أن يسلم ، فغلب عليه الشقاء فشقَّ ذلك على رسول الله فَأَنْزَلَ الله تعالى : « وإن كان كبير عليك إعراضهم » إلى قوله : « نفقاً في الأرض » يقول : سرّاً .

وقال علي بن إبراهيم في قوله : « نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء » : قال : إن قدرت أن تحفر الأرض أو تصعد السماء ، أي لا تقدر على ذلك ، ثمَّ قال : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » أي جعلهم كلهم مؤمنين .

وقوله : « فلا تكوننَّ من الجاهلين » مخاطبة للنبي ﷺ والمعنى للناس ، ثمَّ قال « إثمًا يستجيب التذنب يسمعون » يعني يعقلون و يصدقون « و الموتى يبعثهم الله » أي يصدقون بأنَّ الموتى يبعثهم الله « وقالوا لولا نزل عليه آية » أي هلاً نزل عليه آية « قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون » قال : لا يعلمون أن الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا (يهلكوا خل) .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « إن الله قادرٌ على أن ينزل آية » وسيرىكم في آخر الزمان آيات ، منها : دابة الأرض ، والدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وطلوع الشمس من مغربها . (١)

٦٧ - فس : قل لهم يا محمد « أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين » ثم رد عليهم فقال : « بل إيتاء تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون » قال : تدعون الله إذا أصابكم ضرر ، ثم إذا كشف عنكم ذلك تنسون ما تشركون ، أي تتركون الأصنام . (٢)

٦٨ - فس : قوله : « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون » قال الله تعالى : قل لقريش : « إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله » يردّها عليكم إلّا الله « ثم هم يصدفون » أي يكذبون .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : قل : « أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم » يقول : أخذ الله منكم الهدى « ثم هم يصدفون » يقول : يعرضون . (٣)

قوله تعالى : « قل أرأيتم إن أتكم عذاب الله بغتةً أوجهرة هل يهلك إلّا القوم الظالمون » فإنّها نزلت لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله : « قل لهم يا محمد « أرأيتم إن أتكم عذاب الله بغتةً أوجهرة هل يهلك إلّا القوم الظالمون » أي إنّه لا يصيبكم إلّا الجهد والضرر في الدنيا ، فأما العذاب الأليم الذي فيه الهلاك لا يصيب إلّا القوم الظالمين . (٤)

(١) تفسير القمى : ١٨٤ - ١٨٦ .

(٢) تفسير القمى : ١٨٧ .

(٣) في المصدر : يقول : أخذ الله منكم الهدى ومن إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف

الآيات ثم هم يصدفون » يقول : يعرضون .

(٤) تفسير القمى : ١٨٨ و ١٨٩ .

٦٩- فس : قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » قال : السلطان الجائر « أو من تحت أرجلكم » قال : السفلة ومن لا خير فيه « أو يلبسكم شيعاً » قال : العصبية « ويذيق بعضكم بأس بعض » قال : سوء الجوار .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » قال : هو الدجال والصيحة ^(١) « أو من تحت أرجلكم » وهو الخسف « أو يلبسكم شيعاً » وهو اختلاف في الدين ، وطعن بعضكم على بعض « ويذيق بعضكم بأس بعض » وهو أن يقتل بعضكم بعضاً ، وكل هذا في أهل القبلة يقول الله : « انظر كيف نصرّ الآيات لعلمهم يفقهون » وكذب به قومك « وهم قریش . قوله : « لكل نبا مستقر » يقول : لكل نبا حقيقة « وسوف تعلمون » .

وقوله : « لعلمهم يفقهون » أي كي يفقهون . قوله : « وكذب به قومك وهو الحق » يعني القرآن كذب به قریش . قوله : « لكل نبا مستقر » أي لكل خبر وقت . قوله « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » يعني الذين يكذبون بالقرآن ويستهزؤون به . قوله : « كالذي استهوته الشياطين » أي خدعته . قوله : « له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا » يعني ارجع إلينا ، وهو كناية عن إبليس . ^(٢)

٧٠- شي : عن ربعي بن عبدالله ، عن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » قال : الكلام في الله والجدال في القرآن « فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » قال : منه القصص . ^(٣)

بيان : قوله : منه القصص أي ناقلوا القصص والأكاذيب ، والمراد علماء المخالفين ورواتهم .

٧١- فس : قوله سبحانه : « وما قدروا الله حق قدره » قال : لم يبلغوا من عظمة الله أن يصفوه بصفته « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » وهم قریش واليهود ، فرد

(١) هكذا في المطبوع ، وفي نسخة : هو الدجال ، والظاهر على ما في المصدر ونسخ من الكتاب هو مصحف الدخان ، وهو هكذا : قال : هو الدخان والصيحة .

(٢) تفسير القمي : ١٩٢ و ١٩٣ . (٣) تفسير العياشي : مخطوط .

الله عليهم واحتج وقال : « قل لهم يا محمد من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً و هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها » يعني تقرّون ببعضها « وتخفون كثيراً » يعني من أخبار رسول الله ﷺ « و علمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » يعني فيما خاضوا فيه من التكذيب ، ثم قال : « وهذا كتاب » يعني القرآن « أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه » يعني التوراة و الإنجيل و الزبور « ولتنذر أم القرى ومن حولها » يعني مكة ، وإنما سميت أم القرى لأنها خلقت أول بقعة ^(١) « والذين لا يؤمنون بالآخرة يؤمنون به » أي بالنبي والقرآن ^(٢).

٧٢ - شى : عن عبدالله بن سنان قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى : « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً و هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها » قال : كانوا يكتبون ماشاؤوا و يبدون ماشاؤوا .

في رواية أخرى عنه عليه السلام قال : كانوا يكتبونه في القراطيس ثم يبدون ماشاؤوا و يخفون ماشاؤوا ، وقال : كل كتاب أنزل فهو عند أهل العلم ^(٣).

٧٣ - فس : قوله تعالى : « ومن عمي فعليها » يعني عمى النفس ، وذلك لاكتسابها المعاصي قوله : « وليقواوا درست » قال : كانت قريش تقول لرسول الله ﷺ : إن الذي نخبرنا به من الأخبار تتعلمه من علماء اليهود و تدرسه . قوله : « وأعرض عن المشركين » منسوخة بقوله : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » قوله : « و أقسموا بالله جهد أيمانهم » يعني قريشاً . قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » يقول : وننكس قلوبهم .

في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » يقول : وننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها ، ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى كما لم يؤمنوا به أول مرة « يعني في الذر والميثاق » و نذرهم في طغيانهم يعمهون « أي يضلون ، ثم عرف الله نبيّه ﷺ ما في ضمائرهم و أنهم منافقون فقال : « ولو أنسنا نزلنا إليهم الملائكة » إلى قوله : « قبلاً » أي عياناً ، الآية . قوله : « وهو الذي

(١) في المصدر : لأنها أول بقعة خلقت في وجه الأرض .

(٢) تفسير القمى : ١٩٧ و ١٩٨ .

(٣) تفسير المياشى : مخطوط ، و أراد بأهل العلم العلماء من آل محمد عليهم السلام .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢٠٧ -

أنزل إليكم الكتاب مفصلاً « يعني يفصل بين الحق والباطل . قوله : « قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله » قال : قال الأكبر : لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي الرسل من الوحي والتنزيل . قوله : « بما كانوا يمكرون أي يعصون الله في السر » (١)

٧٤ - فس : قوله : « وجعلوا لله ممّا ذرأ من العرث والأنعام نصيباً » إلى قوله تعالى : « ساء ما يحكمون » فإنّ العرب كانت إذا زرعوا زرعاً قالوا : هذا لله وهذا لألهتنا ، وكانوا إذا سقوها فخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه وقالوا : الله أغنى ، وإذا خرق من الذي للأصنام في الذي لله سدّوه وقالوا : الله أغنى ، وإذا وقع شيء من الذي لله في الذي للأصنام لم يردّوه وقالوا : الله أغنى ، وإذا وقع شيء من الذي للأصنام في الذي لله ردّوه وقالوا : الله أغنى ، فأنزل الله في ذلك على نبيّه عليه السلام وحكى فعلهم وقولهم فقال : « وجعلوا لله الآية » .

قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شرّ كانوا » قال : يعني أسلافهم زينوا لهم قتل أولادهم « ليردّوهم و ليلبسوا عليهم دينهم » يعني يغرّوهم و يلبسوا عليهم دينهم . قوله : « وقالوا هذه أنعام وحرث حبر » قال : الحبر : المحرّم لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم » قال : كانوا يحرمونها على قوم « وأنعام حرمت ظهورها » يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

« وقالوا ما في بطون هذه الأنعام » قال : كانوا يحرمون الجنين الذي يخرجونه من بطون الأنعام على النساء ، فإذا كان ميتاً تأكله الرجال والنساء ، ثمّ قال : « قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » أي بغير فهم « وحرّموا ما رزقهم الله » وهم قوم يقتلون أولادهم من البنات للغيرة ، وقوم كانوا يقتلون أولادهم من الجوع . (٢)

٧٥ - فس : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر » يعني اليهود حرم الله عليهم لحوم الطيور وحرّم عليهم الشحوم - وكانوا يحبونها - إلا ما كان على ظهور الغنم

(١) تفسير القمي : ٢٠٠-٢٠٣ .

(٢) > > : ٢٠٦ و ٢٠٥ .

أو في جانبه خارجاً من البطن ، وهو قوله : « حرّ منّا عليهم شحونهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا » يعني في الجنين « أو ما اختلط بعظم ذلك جزيئاهم ببغيهم » أي كان ملوك بني إسرائيل يمنعون فقراءهم من أكل لحوم الطير والشحوم فحرّم الله ذلك عليهم ببغيهم على فقراءهم .^(١)

٧٦ - فس : قوله : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » يعني اليهود والنصارى ، وإن كنّا لم ندرس كتبهم « أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم » يعني قريشاً ، قالوا : لو أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى وأطوع منهم « فقد جاءكم ببينة من ربكم وهدى ورحمة » يعني القرآن « سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا » أي يدفعون ويمنعون عنها .^(٢)

٧٧ - فس : قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » قال : فارقوا أمير المؤمنين عليه السلام وصاروا أحزاباً ، حدّثني أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن المعلّى بن خنيس ،^(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » قال : فارق القوم والله دينهم .^(٥)

٧٨ - شى : عن كليب الصيداوى^(٦) قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » قال : كان عليّ عليه السلام يقرؤها « فارقوا دينهم » قال : فارق والله القوم دينهم .

(١) تفسير القمى : ٢٠٧ . فى المصدر : ومعنى قوله : « جزيئاهم ببغيهم » انه كان ملوك بنى اسرائيل ا . هـ .

(٢) تفسير القمى : ٢٠٩ .

(٣) بالتصغير كزبير .

(٤) هكذا فيما عندنا من نسخ الكتاب ، وفى المصدر المطبوع فى طبعه : إن الذين فرقوا .

(٥) تفسير القمى : ٢١١ .

(٦) كليب كزبير ، والصيداوى ، منسوب الى صيدا ، واسمه عربون قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن إسد بن خزيمه ، والرجل هو كليب بن معاوية بن جبلة الصيداوى الاسدى أبو محمد ، وقيل أبو الحسين ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، وله ابن يسمى محمد بن كليب روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، ترجمه الشيخ والنجاشى فى فهرستهما ، وقد ذكر الكشى فى رجاله روايات فى مدحه .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢٠٩ -

٧٩- فس : «المص كتابٌ أنزل إليك» مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله «فلا يمكن في صدرك حرجٌ منه» أي ضيق «لتنذر به و ذكرى للمؤمنين» حدّثني أبي ، عن ابن محبوب ، عن ابن رباب ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال : إن حبي بن أخطب و أبياسر بن أخطب و نفرأ من اليهود من أهل نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له : أليس فيما تذكر فيما أنزل إليك «الم» ؟ قال : بلى ، قالوا : أتاك بها جبرئيل عليه السلام من عند الله ؟ قال : نعم ، قالوا : لقد بعث أنبياء قبلك ما نعلم نبياً منهم أخبرنا مدة ملكه و ما أكل أمته غيرك ! قال : فأقبل حبي بن أخطب على أصحابه فقال لهم : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى و سبعون سنة ، فعجبتم من يدخل في دين مدة ملكه و أكل أمته إحدى و سبعون سنة ! قال : ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : يا محمد هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : هاته ، قال : «المص» قال : هذا أثقل و أطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مائة و إحدى و ستون سنة ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : هات ، قال : «الر» قال : هذا أثقل و أطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، و الراء مائتان ، ثم قال : فهل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : هات ، قال : «المز» قال : هذا أثقل و أطول ، الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، و الراء مائتان ، ثم قال : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قالوا : لقد التبس علينا أمرك فما ندري ما أعطيت ، ثم قاموا عنه ، ثم قال أبو ياسر لحبي أخيه : وما يدريك لعل محمد قد جمع له فيهم هذا كله و أكثر منه ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إن هذه الآيات أنزلت فيهم : «منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهات» وهي تجري في وجوه آخر على غير ما تأول حبي بن أخطب و أخوه و أصحابه ، ثم خاطب الله الخلق فقال : «اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء» غير محمد «قليلاً ما تذكرون» . (١)

٨٠- فس : «وإذا فعلوا فاحشة قالوا» أي عبدة الأصنام . وفي رواية أبي الجارود :

قوله : « كما بدأكم تعودون » قال : خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقيماً وسعيداً ، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضال^(١) .

٨١ - فسي : قوله تعالى : « لما يحييكم » قال : الحياة : الجنة « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » أي يحول بين ما يريد الله وبين ما يريد .

حدثنا أحمد بن محمد ، عن جعفر بن عبد الله ، عن كثير بن عبيد ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » يقول : ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإن اتباعتكم إياه و ولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم .

و أمّا قوله : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » يقول : يحول بين المرء المؤمن ومعصيته أن تقوده إلى النار ،^(٢) ويحول بين الكافر وبين طاعته أن يستكمل بها الإيمان .^(٣)

٨٢ - فسي : قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية ، فإنها نزلت لمّا قال رسول الله لقريش : إن الله بعثني أن أقتل جميع ملوك الدنيا وأجرّ الملك إليكم فأجيئوني إلى ما أدعوكم إليه تملّكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، وتكونوا ملوكاً في الجنة ، فقال أبو جهل : « اللهم إن كان هذا » الذي يقول محمد « هو الحق من عندك فأمر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » حسداً لرسول الله ﷺ ، ثم قال : كنّا و بني هاشم كفرسي رهان ، نحمل إذا حملوا ، و نطعن إذا طعنوا ،^(٤) ونوقد إذا أوقدوا ، فلمّا استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم : منّا نبيّ ، لا نرضى بذلك أن يكون في (من خل) بني هاشم ، ولا يكون في (من خل) بني مخزوم ، ثم

(١) تفسير القمي : ٢١٤ .

(٢) أي يحول بين المؤمن ومعصيته بالتوفيق والتسديد على الترك ، ويحول بين الكافر والطاعة بالخذلان والتغلية بينه وبين نفسه الامارة ، لأنه يجبرهما ويلجئهما إلى ذلك . وفي النسخة المقررة على المصنف بعد ذلك : واعلموا أن الاعمال بخواتيمها .

(٣) تفسير القمي : ٢٤٨ .

(٤) في المصدر : ونطعن إذا طعنوا .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢١١ -

قال : غفرانك اللهم ، فأنزل الله في ذلك : « وما كان الله يعذب بهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » حين قال : غفرانك اللهم ، فلمّا همّوا بقتل رسول الله عليه السلام وأخرجوه من مكة قال الله : « وما لهم ألا يعذب بهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه » يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكة « إن أوليائهم إلا المتّقون » أنت وأصحابك يا محمد ، فعذب بهم الله بالسيف يوم بدر فقتلوا .^(١)

٨٣ - فس : لمّا اجتمعت قريش أن يدخلوا على النبي ليلاً فيقتلوه ، وخرجوا إلى المسجد يصفرون و يصفقون و يطوفون بالبيت فأنزل الله : « وما كان صلواتهم عند البيت إلا مكاءً و تصديّةً » فالكاء : التصفير ، والتصدية : صفق اليدين .^(٢)

٨٤ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم » أمّا المسيح فعصوه و عظّموه في أنفسهم حين زعموا أنّه إله و أنّه ابن الله ، وطائفة منهم قالوا : ثالث ثلاثة ، وطائفة منهم قالوا : هو الله ، وأمّا أحبارهم و رهبانهم فأتّهم أطاعوا وأخذوا بقولهم و اتّبعوا ما أمروهم به و دانوا بما دعوهم إليه ، فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم وتركهم أمر الله و كتبه و رسله فنبذوه وراء ظهورهم ، و ما أمرهم به إلا حبار و الرهبان اتّبعوهم و أطاعوهم وعصوا الله ، وإنّما ذكر هذا في كتابنا لكي نتّعظ بهم ،^(٣) فعيّر الله بني إسرائيل بما صنعوا يقول الله : « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » .^(٤)

٨٥ - فس : « إنّما النسيء زيادة في الكفر » الآية ، فإنّه كان سبب نزولها أن رجلاً من كنانة^(٥) كان يقف في الموسم فيقول : قد أحللت دماء المحلّين : طي وخثعم في

(١) تفسير القمي : ٢٥٣ .

(٢) تفسير القمي : ٢٥٢ . قلت : والترتيب يقتضي إيراد قبل الآية المتقدمة .

(٣) في المصدر : لكي يتعظ بهم .

(٤) تفسير القمي : ٢٦٤ .

(٥) تقدم ذكر الخلاف فيه ، نقل الطبرسي عن الفراء أنّه كان يسمى نعيم بن تغلبة ، وعن ابن مسلم أنّه رجل من كنانة يقال له القلمس ، و أن الذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكناني ، وأول من سن ذلك عمرو بن لحي .

شهر المحرم وأنسأته ، وحرمت بدله صفر ، فإذا كان العام المقبل يقول : قد أحللت صفر وأنسأته ، وحرمت بدله شهر المحرم ، فأنزل الله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » إلى قوله : « زين لهم سوء أعمالهم » . (١)

٨٦ - شى : عن يزيد بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله لن يغضب الله لشيء كغضب الطلح والسدر ، إن الطلح كانت كالأترج ، والسدر كالبطيخ ، فلما قالت اليهود : « يد الله مغلولة » نقصتا حملهما فصغر فصار له عجم واشتد العجم ، فلما أن قالت النصارى : « المسيح ابن الله » زعرتا فخرج لهما هذا الشوك ونقصتا حملهما وصار السدر إلى هذا الحمل ، وذهب حمل الطلح فلا يحمل حتى يقوم قائمنا ؛ وقال : من سقى طلحة أو سدرة فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ . (٢)

بيان : قيل : الطلح : شجر الموز ؛ وقيل : أم غيلان ؛ وقيل : كل شجر عظيم كثير الشوك ، والخبر ينفي الأول ، ويمكن أن يكون غضبهما مجازاً عن ظهور الغضب فيهما وكفى ذلك في شرفهما .

٨٧ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « اتخذوا أحابرهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » قال : مادعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكنهم أحلوا لهم حلالاً وحرّموا عليهم حراماً فأخذوا به فكانوا أربابهم من دون الله .

وفي رواية أخرى : فكانوا يعبدونهم من حيث لا يشعرون . (٣)

٨٨ - فس : « أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام » أي يمرضون . قوله : « نظر بعضهم إلى بعض » يعني المتناقضين « ثم أنصروا » أي تفرقوا « صرف الله قلوبهم » عن الحق إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحق . (٤)

٨٩ - فس : أبي ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « قدم صدق عند ربهم » قال : هو رسول الله ﷺ . (٥)

(١) تفسير القمى : ٢٦٥ .

(٢) تفسير العياشى : مخطوط .

(٣) تفسير القمى : ٢٨٣ .

(٤) تفسير القمى : ٢٨٤ .

ج ٩٠ - فسر عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢١٣ -

٩٠ - فسر : « قال السّدين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا » فإن قریشاً قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : ائتنا بقرآن غير هذا فإن هذا شيء تعلمته من اليهود والنصارى . قوله : « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله » أي قد لبثت فيكم أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ لم آتكم بشيء منه حتّى أوحى إليّ ، وأمّا قوله : « أو بدّله » فإنه أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي السّفاتج ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « ائت بقرآن غير هذا أو بدّله » يعني أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام « قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ » يعني في عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام .

قوله : « ويعبدونه من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال : كانت قریش يعبدون الأصنام ويقولون : إنّما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، فإنّا لا نقدر على عبادة الله ، فردّ الله عليهم وقال : « قل لهم يا محمد « اتّمسكوا بالله بما لا يعلم » أي ليس له شريك يعبد . (١)

٩١ - فسر : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتبع » الآية ، فأما من يهدي إلى الحق فهو محمد وآل محمد من بعده ، وأمّا من لا يهدي إلّا أن يهدي فهو من خالف من قریش ، وغيرهم أهل بيته من بعده .

وفي رواية أبي الجارود عنه عليه السلام قوله : « قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيّناً » يعني ليلاً أو نهاراً « ماذا يستعجل منه المجرمون » فهذا عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة وهم يجحدون نزول العذاب عليهم . قوله : « وما أنا عليكم بوكيل » أي لست بوكيل عليكم أحفظ أفعالكم ، إنّما عليّ أن أدعوكم . (٢)

٩٢ - فسر في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام « الرّكّاب أحكمت آياته » قال : هو القرآن « من لدنّ حكيم خبير » قال : من عند حكيم خبير « وأن استغفروا ربّكم » يعني المؤمنين ، قوله : « ويؤت كلّ ذي فضل فضله » فهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

(١) تفسير القمى : ٢٨٥ .

(٢) » » : ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٩٦ .

قوله : « وإن تولّوا فإنّني أخاف عليكم عذاب يوم كبير » يعني الدخان والصيحة ، قوله : « ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه » يقول : يكتُمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إنّ آية المنافق بغض عليّ عليه السلام ، فكان قومٌ يظهرون المودة لعليّ عليه السلام عند النبيّ صلّى الله عليه وآله ويسرّون بغضه ، فقال : « ألا حين يستخشون ثيابهم فإنّه كان إذا حدّث بشيء من فضل عليّ أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه نفصوا ثيابهم ثم قاموا ، يقول الله : « يعلم ما يسرّون وما يعلنون » حين قاموا « إنّ الله عليهم بذات الصدور » قوله : « ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة » قال : إنّ متّعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم - عجل الله فرجه - فردّهم ونعذّبهم « ليقولنّ ما يحبسهم » أي يقولون : أما لا يقوم القائم ولا يخرج ؟ على حدّ الاستهزاء ، فقال الله : « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحقّ بهم ما كانوا به يستهزءون » . قوله : « أفمن كان على بينة من ربه » حدّثني أبي ، عن يحيى بن أبي عمران ، عن يونس ، عن أبي بصير والفضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّما أنزلت : « أفمن كان على بينة من ربه » يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله « ويتلو شاهد منه » يعني أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) « إماماً ورحة ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به » فقدّموا وأخبروا في التأييف . ^(٢)

بيان : تفسير الاستغشاء بالنفض غريب لم أظفر به في اللغة .

٩٣ - فسي : قوله : « وكأين من آية في السموات والأرض » قال : الكسوف والزلزلة والصواعق . قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون » فهذا شرك الطاعة ، أخبرنا أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن عليّ بن الحكم ، عن موسى بن بكر ، عن الفضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون » قال : شرك طاعة ليس بشرك عبادة ، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره ، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله .

(١) المصدر خال عن قوله : يعني أمير المؤمنين ، ولعله سقط عن الطبع .

(٢) تفسير القمي ، ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٣٠٠ .

ج ٩٤ - ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها ٢١٥ -

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » يعني نفسه ، ومن اتبعه علي بن أبي طالب عليه السلام وآل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين . (١)

٩٤ - فس : قوله : « هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً » يعني يخافه قوم و يطمع فيه قوم أن يمطروا « ويندشئ السحاب الثقال » يعني يرفعها من الأرض « و يسبح الرعد » أي الملك الذي يسوق السحاب « وهو شديد المحال » أي شديد الغضب .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » فهذا (٢) مثل ضربه الله للذين يعبدون الأصنام ، و الذين يعبدون الآلهة من دون الله لا يستجيبون (٣) لهم بشيء ولا ينفعهم إلا كباسط كفيه إلى الماء ليتناولوه من بعيد ولا يناله . (٤)

وحدثني أبي ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً ، فقال : وما رأيت ؟ قال : كان لي مريض ونعت له ماء من بشر الأحقاف يستشفى به في برهوت ، قال : فتهيتأت (٥) ومعى قربة وقدح لاأخذ من هائها وأصب في القربة ، إذا شيء (بشيء نخل) قد هبط من جو السماء كهيئة السلسلة و هو يقول : يا هذا اسقني الساعة الساعة أموت ، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة ، فلما ذهبت أناول القدح اجتذب مني حتى علّق بالشمس ، ثم أقبلت على الماء أغترف إذا أقبل الثانية وهو يقول : العطش العطش يا هذا اسقني الساعة أموت ، فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب مني حتى علّق بالشمس ، حتى فعل ذلك الثالثة ، وشدت قربتي ولم أسقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك قاييل بن آدم الذي قتل أخاه ، وهو قوله عز وجل :

(١) تفسير القمي : ٣٣٤ .

(٢) في المصدر : « لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه » فهذا اه .

(٣) في المصدر : والذين يعبدون آلهة من دون الله فلا يستجيبون اه .

(٤) تفسير القمي : ٣٣٧ . وفيه : من بعد ولا يناله .

(٥) في المصدر : فاتتهيت .

«والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء» الآية .
قوله : «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو
والآصال» قال : بالعشي ، قال : ظل المؤمن يسجد طوعاً ، وظل الكافر يسجد كرهاً ،
وهو نموّهم وحركتهم وزيادتهم ونقصانهم .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «ولله يسجد من في السموات
والأرض» الآية ، قال : أمّا من يسجد من أهل السموات طوعاً فالملأمة يسجدون
طوعاً ، ومن يسجد من أهل الأرض فمن ولد في الإسلام فهو يسجد له طوعاً ، وأمّا من
يسجد له كرهاً فمن جبر على الإسلام ، وأمّا من لم يسجد فظلمه يسجد له بالغداة
والعشي .

وقوله : «هل يستوي الأعمى والبصير» يعني المؤمن والكافر «أم هل تستوي الظلمات
والنور» أمّا الظلمات فالكفر ، وأمّا النور فهو الإيمان . وقوله : «أنزل من السماء ماءً فسالت
أودية بقدرها» يقول : الكبير على قدر كبره ، والصغير على قدر صغره . قوله : «الله أنزل من
السماء ماءً» يقول : أنزل الحق من السماء فاحتملته القلوب بأهوائها : ذواليقين على قدر
يقينه ، وذوالشك على قدر شكّه ، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءً ، فالماء هو الحق ،
والأودية هي القلوب ، والسيل هو الهوى ، والزبد هو الباطل ، والحلية والمتاع هو الحق ؛
قال الله : «كذلك يضرب الله الحقّ والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض» فالزبد وخبث الحلية هو الباطل ، والمتاع والحلية هو الحق ، من
أصاب الزبد وخبث الحلية في الدنيا لم ينتفع به ، وكذلك صاحب الباطل يوم القيامة
لا ينتفع به ، وأمّا الحلية والمتاع فهو الحق من أصاب الحلية والمتاع في الدنيا انتفع به ،
وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينفعه «كذلك يضرب الله الأمثال» .

قوله : «زبداً رايماً» أي مرتفعاً «ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية» يعني ما
يخرج من الماء من الجواهر وهو مثل ، أي يثبت الحق في قلوب المؤمنين ، وفي قلوب
الكفار لا يثبت «فأما الزبد فيذهب جفاءً» يعني يبطل «وأما ما ينفع الناس فيمكث
في الأرض» وهذا مثل المؤمنين والمشرّكين فقال الله عز وجل : «كذلك يضرب الله الأمثال

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢١٧ -

للذين استجابوا لرّبهم الحسنی، إلى قوله: «وبئس المهّاد» فالْمُؤْمِنُ إذا سمع الحديث ثبت في قلبه رجاء ربّه وآمن به، ^(١) وهو مثل الماء الذي يبقى في الأرض فينبت النبات، والذي لا ينتفع به يكون مثل الزبد الذي تضربه الرياح فيبطل. قوله: «وبئس المهّاد» قال: يتمّ سدّون في النار. قوله: «أولوا لألباب» أي أولو العقول. ^(٢)

٩٥ - فس: قوله: «ولو أن قرآنا» الآية، قال: لو كان شيء من القرآن كذلك لكان هذا. قوله: «قارعة» أي عذاب.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» وهي النّمة «أو تحلّ قريباً من دارهم» فتحلّ بقوم غيرهم، فيرون ذلك ويسمعون به، والذين حلّت بهم عصاة كفّار مثلهم ولا يتعظ بعضهم ببعض ولن يزالوا كذلك «حتّى يأتي وعد الله» الذي وعد المؤمنين من النصر و يخزي الكافرين.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: «فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم»: أي طوّلت لهم الأمل ثم أهلكتهم. ^(٣)

٩٦ - فس: «الكتاب أنزلناه إليك» يا محمد «لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم» يعني من الكفر إلى الإيمان «إلى صراط العزيز الحميد» والصراط الطريق الواضح، وإمامة الأئمة عليهم السلام. قوله: «مثل الذين كفروا» الآية قال: من لم يقرّ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذي تجيئه الرياح فتحمله. ^(٤)

٩٧ - فس: أبي، عن ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن مستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: «مثل كلمة طيبة» الآية، قال:

(١) في المصدر المطبوع في سنة ١٣١٥: فالمؤمن إذا سمع الحديث ثبت في قلبه وأجابه وآمن به. وفي طبعه الآخر «حاربه» بدل «أجابه» فهو لا يخلو عن تصحيح.

(٢) تفسير القمي: ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٣) تفسير القمي: ٣٤٢.

(٤) تفسير القمي: ٣٤٤ و ٣٤٥.

الشجرة رسول الله ﷺ ، ونسبه ثابت في بني هاشم ، وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام ، ونمراتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ، وشيعتهم ورقها ، وإن المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة ، وإن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة ، قلت : أدريت قوله : «تؤني أكلها كل حين بإذن ربها» ؟ قال : يعني بذلك ما يفتي الأئمة شيعتهم في كل حج وعمره من الحلال والحرام ، ثم ضرب الله لآعداء آل محمد مثلاً فقال : «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» .

في رواية أبي الجارود قال : كذلك الكافرون لاتصعد أعمالهم إلى السماء و بنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلا قليل منهم .^(١)

٩٨ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن عثمان بن عيسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن قول الله تعالى : «ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً» قال : نزلت في الأفجرين من قريش : بني أمية ، وبني المغيرة ، فأما بنو المغيرة ففطخ الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ، ثم قال : نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده ، وبنا يفوز من فاز .^(٢)

٩٩ - شى : عن عمرو بن سعيد^(٣) قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : «الذين بدلوا نعمة الله كفراً» قال : فقال : ماتقولون في ذلك ؟ فقال : نقول هما الأفجران من قريش : بنو أمية ، وبني المغيرة ، فقال : بلى هي قريش قاطبة ، إن الله خاطب نبيته فقال : إني فضلت قريشاً على العرب ، وأنعمت عليهم نعمتي ، وبعثت إليهم رسولاً ، فبدلوا نعمتي وكذبوا رسولي .

١٠٠ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن رفاعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من عند الله : لا يدخل الجنة إلا

(١) تفسير القمي : ٣٤٧ .

(٢) > > ٣٤٧ .

(٣) الظاهر أنه عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢١٩ -

مسلم ، فيومئذ يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين . قوله : « ويلهمهم الأمل » أي يشغلهم قوله : « كتاب معلوم » أي أجل مكتوب . قوله : « لوما تأتينا » أي هلا تأتينا . قوله : « وما كانوا إذا منظرين » قالوا لو أنزلنا الملائكة لم ينظروا و هلكوا . قوله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » يعني فاتحة الكتاب . قوله : « الذين جعلوا القرآن عضين » قال : قسموا القرآن ولم يؤلفوه على ما أنزله الله . (١)

١٠١ - شى : عن حماد ، عن بعض أصحابه ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله : « لا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم » قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل به ضيفه فاستسلف من يهودي ، فقال اليهودي : والله يا محمد لا نأغية ولا راغية فعلى ما أسلفه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنني لأمين الله في سماءه وأرضه ولو اعتمنتني على شيء ، لا ديتّه إليك ، قال : فبعث بدرقة له فرهنها عنده فنزلت عليه : « ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » . (٢)

بيان : الشاغية : الغنم . والراغية : الناقة . والدركة بالتحريك : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب .

١٠٢ - شى : عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله : « الذين جعلوا القرآن عضين » قال : هم قريش . (٣)

١٠٣ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ولا تبهر بصلاتك ولا تخافت بها » قال : نسختها : « فاصدع بما تؤمر » . (٤)

١٠٤ - شى : عن أبان بن عثمان رفعه قال : كان المستهزؤون خمسة من قريش : الوليد بن المغيرة المخزومي ، و العاص بن وائل السهمي ، والحارث بن حنظلة ، و الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري ، و الأسود بن المطالب بن أسد ؛ فلما قال الله تعالى : « إننا كفيناك المستهزئين » علم رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد أخزاهم ، فأماهم الله بشراً ميتات . (٥)

(١) تفسير القمى : ٣٥٣ و ٣٤٩ و ٣٤٨ .

(٢) (٥٥٤ و ٣٥٢) تفسير المياشي مخطوط .

١٠٥ - فس : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » قال : نزلت لما سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم العذاب .

قوله : « ينزل الملائكة بالروح من أمره » يعني بالقوة التي جعلها الله فيهم ؛ و في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : « على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » يقول : بالكتاب والنبوة . (١)

بيان : تأويل الروح بالقوة غريب ، (٢) وسيأتي في الأخبار أنه خلق أعظم من الملائكة ، ولعله من بطون الآية ، وقوله : يقول بالكتاب إما تفسير للروح أيضاً كما ذكره المفسرون ، أو متعلق بالإلذار .

١٠٦ - فس : قال علي بن إبراهيم في قوله : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة » الآية ، قال : يعني يحملون أثامهم - يعني الذين غضبوا أمير المؤمنين (عليه السلام) - وآثام كل من اقتدى بهم . (٣) قوله : « في تقلبهم » قال : إذا جاؤوا وذهبوا في التجارات وفي أعمالهم فيأخذهم في تلك الحالة « أو يأخذهم على تخوف » قال : على تيقظ .

قوله : « سجداً لله وهم داخرون » قال : تحويل كل ظل (٤) خلقه الله هو سجوده لله لأنه ليس شيء إلا له ظل يتحرك بتحريكه ، وتحركه سجوده . قوله : « وله الدين واصباً » أي واجباً . قوله : « تتجارون » أي تفرعون وترجعون « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم » هو الذي وصفناه مما كانت العرب يجعلون للأصنام نصيباً في زرعهم

(١) تفسير القمي : ٣٥٦ .

(٢) قد فسر الروح هنا بالوحى ، وبالقرآن ، وبالنبوة ، وأما ما فسر به علي بن إبراهيم فهو معنى حسن أقرب من معنى الروح ، ولكن غريب ، لأن الظاهر من نظائرها قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » خلاف ذلك ، وعليه فيحتمل أن يكون « من » في قوله : « من أمره » بمعنى الباء ، أي ينزل الملائكة بالقوة التي جعلها الله فيهم بأمره ووحيه على من يشاء ، وأما قوله : بالكتاب والنبوة فهو تفسير آخر من الإمام عليه السلام للروح ، ويحتمل أن يكون تفسيراً لقوله : من أمره بمعنى الذي قلناه .

(٣) أضاف في المصدر بعد ذلك : وهو قول الصادق عليه السلام : والله ما هريقت محبة من دم ولا قرع عصا بعصا ولا غضب فرج حرام ولا أخذ مال من غير حل الا وزر ذلك في أعناقهم ، من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء . راجع تفسير القمي ص ٣٥٨ .

(٤) في طبعة من المصدر : تحريك كل ظل .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٢١ -

وإبليهم وغنمهم «وتجعلون لله البنات» قال : قالت قريش : إن الملائكة هم بنات الله ، فنسبوا ما لا يشتهون إلى الله ، فقال الله تعالى سبحانه : «ولهم ما يشتهون» ^(١) يعني من البنين ؛ قوله : «أي مسكه على هون» أي يستهين به . قوله : «وإنهم مفرطون» أي معذبون . قوله : «فما الذين فضلوا برادي رزقهم» قال : لا يجوز للرجل أن يخص نفسه بشيء من المأكول دون عياله .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : التي نقضت غزلها امرأة من بني تميم بن مرة ويقال لها رابطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لوي بن غالب ، ^(٢) كانت حقة تغزل الشعر فإذا غزلته نقضته ثم عادت فغزلته ، فقال الله : «كأنتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكأاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم» قال : إن الله تعالى أمر بالوفاء ونهى عن نقض العهد فضرب لهم مثلاً .

قوله : «وإذا بدلنا آية مكان آية» قال : كان إذا نسخت آية قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : «أنت مفتر» فرد الله عليهم فقال : «قل لهم يا محمد » نزله روح القدس من ربك بالحق « يعني جبرئيل . وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «روح القدس» قال هو جبرئيل عليه السلام ، والقدس : الطاهر «ليثبت الله الذين آمنوا» هم آل محمد صلى الله عليه وآله .

قوله : «لسان الذي يلحدون إليه أعجمي» قال : هو لسان أبي فكيهة مولى ابن الخضرمي ^(٣) كان أعجمي اللسان وكان قد اتبع نبي الله وآمن به و كان من أهل الكتاب ، فقالت قريش : إنه يعلم محمداً علمه بلسانه . ^(٤)

(١) في المصدر : فقال الله عز وجل : «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون .

(٢) هكذا في النسخ ، وفي المصدر : ربطة وكذا في مجمع البيان إلا أنه قال : ربطة بنت عمرو

بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .

(٣) هكذا في بعض النسخ والمصدر ، ولكن في نسخ أخرى من الكتاب وكذا في مجمع البيان :

ابن الخضرمي .

(٤) تفسير القمي : ٣٦٠ - ٣٦٢ و ٣٦٤ - ٣٦٦ .

١٠٧ - شى : عن سماعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله : « وله الدين واصباً » قال : واجباً .^(١)

١٠٨ - فس : « ولا تجعل مع الله إلهاً آخر » مخاطبةً للنبي عليه السلام والمعنى للناس ، وهو قول الصادق عليه السلام : إن الله بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جارة قوله : « إذا لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلاً » قال : لو كانت الأصنام آلهة كما يزعمون لصعدوا إلى العرش .

قوله : « وإذهم نجوى » أي إذهم في سرّ يقولون : هو ساحر . قوله : « ظهيراً أي معيناً . » قوله : « وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » فإنّها نزلت في عبد الله بن أبي أميّة أخي أمّ سلمة رحمة الله عليها ، وذلك أنّه قال هذا لرسول الله عليه السلام بمكة قبل الهجرة ، فلمّا خرج رسول الله إلى فتح مكة استقبله عبد الله بن أبي أميّة فسلم على رسول الله عليه السلام ، فلم يردّ السلام عليه فأعرض عنه ولم يجبه بشيء ، وكانت أخته أمّ سلمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل إليها وقال : يا أختي إن رسول الله قد قبل إسلام الناس كلّهم وردّ إسلامي ، فليس يقبلني كما قبل غيري ، فلمّا دخل رسول الله عليه السلام على أمّ سلمة قالت : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله سعد بك جميع الناس إلّا أخي من بين قريتر والعرب ، رددت إسلامه وقبلت إسلام الناس كلّهم إلّا أخي ، فقال رسول الله عليه السلام : يا أمّ سلمة إن أخاك كذبني تكذيباً لم يكذبني أحداً من الناس ، هو الذي قال لي : « لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » إلى قوله : « كتاباً نقرؤه » قالت أمّ سلمة : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ألم تقل : إنّ الإسلام يجب ما كان قبله ؟^(٢) قال : نعم ، فقبل رسول الله عليه السلام إسلامه .

و في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « حتّى تفجر لنا من الأرض

(١) مخطوط .

(٢) أي يدعو ما كان قبله من الكفر والمعاصي والذنوب ، من الجب و هو القطع .

ج٦ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٢٣ -

ينبوعاً ، أي عيناً « أو تكون لك جنّة » أي بستان * من نخيل وعنب فتفجر الأ نهار
خلالها تفجيراً * من تلك العيون « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً » وذلك أن
رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنه سيسقط من السماء كسفاً لقوله : « وإن يروا كسفاً من السماء
ساقطاً يقولوا سحابٌ مركومٌ » وقوله : « أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً » و القليل :
الكثير « أو يكون لك بيتٌ من زخرف » المزخرف بالذهب « أو ترقى في السماء ولن
نؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » يقول : من الله إلى عبد الله بن أبي أمية
أنّ تجدأ صادق ، وإنّي أنا بعثته ، و يجي معه أربعة من الملائكة يشهدون أنّ الله هو
كتبه ، فأنزل الله : « قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولا » .

قوله : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى » قال : قال الكفار : لم لم
يبعث الله إلينا الملائكة ؟ فقال الله : لو بعثنا إليهم ملكاً لما آمنوا ولهلكوا ، ولو كانت
الملائكة في الأرض يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا .
قوله : « قل لو أنتم تملكون » الآية ، قال : لو كانت الأموال بيد الناس لما أعطوا
الناس شيئاً مخافة الفناء « وكان الإنسان قتوراً » أي بخيلاً . قوله : « على مكث » أي
على مهل . (١)

١٠٩ - فسي : « ولم يجعل له عوجاً قيماً » قال : هذا مقدّم ومؤخّر ، لأنّ
معناه : السّذي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً ، فقد قدّم حرفاً على
حرف « لينذر بأساً شديداً من لدنه » يعني يخوف ويحدّزهم من عذاب الله عزّ وجلّ .
وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فلعنك باخع نفسك »
يقول : قاتل نفسك « على آثارهم » . قوله : « أسفاً » أي حزناً . (٢)

١١٠ - فسي : قوله : « لقد جئتم شيئاً إدّاً » أي عظيماً . قوله : « قوماً لدّاً » قال
أصحاب الكلام والخصومة . (٣)

١١١ - فسي : « أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون » أي تأتون تجدأ صلى الله عليه وآله وهو ساحر

(١) تفسير القمي : ٣٨٠ و ٣٨٢ و ٣٨٧ و ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٢) > > : ٣٩١ و ٣٩٢ .

(٣) > > : ٤١٥ .

ثم قال : « قل لهم يا محمد : « ربّي يعلم القول في السماء والأرض » يعني ما يقال في السماء والأرض ؛ ثم حكى الله قول قريش فقال : « بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء » أي هذا الذي يخبرنا محمد براه في النوم ، وقال بعضهم : « بل افتراء » أي يكذب ، وقال بعضهم : « بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » فردّ الله عليهم فقال : « ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون » قال : كيف يؤمنون ولم يؤمن من كان قبلهم بالآيات حتّى هلكوا ؟ .

قوله : « فاسألوا أهل الذكر » قال : آل محمد . ^(١) قوله : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » فإني لمّا أخبر الله نبيّه بما يصيب أهل بيته بعده وادّعاء من ادّعى الخلافة دونهم اغتمّ رسول الله ﷺ ، فأمر الله عزّ وجلّ : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان متّ فهم الخالدون » كلّ نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة » أي نختبرهم . ^(٢)

قوله : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر » قال : الكتب كلّها ذكر « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » قال : القائم عجل الله فرجه وأصحابه ، قال : والزبور فيه ملاحم و تحميد و تمجيد و دعاء .

قوله : « وقل ربّ احكم بالحق » قال : معناه : لاتدع الكفّار ، والحق : الانتقام من الظالمين . ^(٣)

١١٢ - فس : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » قال : نزلت في أبي جهل « ثاني عطفه » قال : تولّى عن الحقّ « ليضلّ عن سبيل الله » قال : عن طريق الله والإيمان . قوله : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » قال : على شكّ « فإن أصابه خير اطمأنّ به » الآية ، فإني حدّثني أبي ، عن يحيى بن أبي عمران ، عن يونس ، عن حماد ، عن ابن طيار ، ^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نزلت هذه الآية

(١) في المصدر : قال : آل محمد هم أهل الذكر . راجع التفسير : ٤٢٦ .

(٢) تفسير القمي : ٤٢٨ .

(٣) > > : ٤٣٤ .

(٤) الظاهر أنه حمزة بن محمد الطيار .

ج ٩ - ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٢٥-

في قوم وحدوا الله وخلصوا عبادة من دون الله ، وخرجوا من الشرك ، ولم يعرفوا أن محمداً رسول الله عليه السلام ، فهم يعبدون الله على شك في محمد وما جاء به ، فأتوا رسول الله عليه السلام فقالوا : ننظر فإن كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا أنه صادق وأنه رسول الله عليه السلام ، وإن كان غير ذلك نظرنا ، فأنزل الله : «فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه» انقلب مشركاً يدعو غير الله و يعبد غيره ، فمنهم من يعرف ويدخل الإيمان قلبه فهو مؤمن ، و يصدق و يزول عن منزلته من الشك إلى الإيمان ، ومنهم من يلبث على شكه ، ومنهم من ينقلب إلى الشرك ، وأمّا قوله : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة» فإن الظن في كتاب الله على وجهين : ظن يقين ، و ظن شك ، فهذا ظن شك ، قال : من شك أن الله لا يثيبه في الدنيا والآخرة « فليمدد بسبب إلى السماء » أي يجعل بينه وبين الله دليلاً ، والدليل على أن السبب هو الدليل قول الله في سورة الكهف : « وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً » أي دليلاً ، وقال : « ثم ليقطع » أي يميز ، والدليل على أن القطع هو التمييز قوله : « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » أي ميزناهم ، فقوله : « ثم ليقطع » أي يميز « فليتنظر هل يذهب كيد ما يغيظ » أي حيلته ، والدليل على أن الكيد هو الحيلة قوله تعالى : « كذلك كدنا ليوסף » أي احتلنا له حتى حبس أخاه ، وقوله يحكي قول فرعون : « فأجمعوا كيدكم » أي حيلتكم ، قال : فإذا وضع لنفسه سبباً وميز ذلك على الحق ، و أمّا العامة فإنهم رَوَوْا في ذلك أنه من لم يصدق بما قال الله فليلق حبلاً إلى سقف البيت ثم ليختنق .^(١)

١١٣ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » يقول : هو علي بن أبي طالب لم يسبقه أحد ، وقوله : « بل قلوبهم في غمرة من هذا » يعني من القرآن « ولهم أعمال من دون ذلك » يقول : ما كتب عليهم في اللوح ما هم لها عاملون قبل أن يخلقوا هم لذلك الأعمال المكتوبة عاملون .

وقال علي بن إبراهيم في قوله : « ولدينا كتاب ينطق بالحق » أي عليكم ، ثم قال : « بل قلوبهم في غمرة من هذا » أي في شك مما يقولون « حتى إذا أخذنا مترفيهم » أي كبارهم بالعذاب « إذا هم يجأرون » أي يضجّون ، فردّ الله عليهم « لا تجأروا اليوم » إلى قوله : « سامراً تهجرون » أي جعلتموه سمرّاً وهجرتموه .

قوله : « أم يقولون به جنّة » يعني برسول الله ﷺ . قوله : « ولو اتّبع الحق أهواءهم » قال : الحقّ رسول الله وأمر المؤمنين ﷺ ، والدليل على ذلك قوله : « قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم » يعني ولاية أمير المؤمنين ﷺ (١) ومثله كثير ، والدليل على أن الحقّ رسول الله ﷺ وأمر المؤمنين ﷺ قول الله عزّ وجلّ : « ولو اتّبع رسول الله ﷺ وأمر المؤمنين ﷺ قريشاً (٢) لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ ففساد السماء إذا لم تمطر ، وفساد الأرض إذا لم تنبت ، وفساد الناس في ذلك .

قوله : « وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم » قال : إلى ولاية أمير المؤمنين ﷺ قال : « وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون » قال : عن الإمام الحادون (٣) . ثم ردّ على الثنوية الذين قالوا بالهين فقال : « ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله » (٤) قال : لو كان إلهين من دون الله كما زعمتم لكانا يختلفان : فيخلق هذا ولا يخلق هذا ، ويريد هذا ولا يريد هذا ، ولطلب كلّ واحد منهم الغلبة ، (٥) وإذا أراد أحدهما خلق إنسان وأراد الآخر خلق بهيمة فيكون إنساناً وبهيمة في حالة

(١) في المصدر هنا زيادة وهي : وقوله : « و يستنبؤنك » أي يا محمد أهل مكة في على « أحق هو » إمام هو ؟ « قل إني وربي أنه لحق » أي لإمام .

(٢) الظاهر أن قوله : رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر المؤمنين عليه السلام تفسير للحق ، وإلا فيستلزم التحريف الذي يخالفه معظم الإمامية بل جلهم ، وعلى أي فكلامه لا يخلو عن اشكال .

(٣) هكذا في النسخ ، والصحيح كما في المصدر : لعادون أي مائلون وعادلون عنه . وهنا في المصدر زيادة وهي هكذا : ثم حكى الله قول الدهرية : « قالوا ، إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ، إنا لمبعوثون » إلى قوله : « أساطير الأولين » يعني أحاديث الأولين ، فردّ الله عليهم فقال : « بل آتيناهم بالحق وأنهم لكاذبون » .

(٤) ذكر الالية في المصدر إلى قوله : « على بعض » .

(٥) في المصدر : ويطلب كل واحد منهما الغلبة .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٢٧-

واحدة وهو محال^(١)، فلمّا بطل هذا ثبت التدبير والصنع لواحد، و دلّ أيضاً التدبير ونباته وقوام بعضه ببعض على أنّ الصانع واحد جلّ جلاله^(٢)، ثمّ قال آنفاً: «سبحان الله عمّا يصفون».

قوله: «وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين» قال: مايقع في القلب من وسوسة الشيطان^(٣).

١١٤ - فبس: قوله: «ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا» إلى قوله: «وما أولئك بالمؤمنين» فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعثمان، وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقة، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ترضى برسول الله عليه السلام؟ فقال عبد الرحمن بن عوف لعثمان: لا تحاكمه إلى رسول الله عليه السلام فإنّه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن شعبة اليهودي، فقال عثمان لأمر المؤمنين عليهم السلام: لا أرضى إلاّ بابن شعبة اليهودي، فقال ابن شعبة لعثمان: تأتمنون غداً على وحي السماء وتتهمونه في الأحكام؟ فأنزل الله على رسوله: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» إلى قوله: «بل أولئك هم الظالمون» ثمّ ذكر أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: «إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا» إلى قوله: «فأولئك هم الفائزون»^(٤).

١١٥ - فبس: قوله: «وأعانه عليه قومٌ آخرون» قللوا: إنّ هذا الذي يقرؤه تجل ويخبرنا به^(٥) إنّما يتعلّمه من اليهود ويستكتبه من علماء النصارى، ويكتب عن

(١) في المصدر: «وهذا غير موجود، بدل «وهو محال».

(٢) في المصدر هنا زيادة وهي هكذا: «وذلك قوله: «ما اتخذ الله من ولد» إلى قوله: «بعضهم إلى بعض».

(٣) تفسير القمي: ٤٤٧.

(٤) تفسير القمي: ٤٦٠.

(٥) في المصدر هنا زيادة وهي هكذا: ويخبرنا بأنه من الله.

رجل يقال له : ابن قبطه (قبيطة خول) ينقله عنه بالغداة والعشي^(١).
وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « إفاك افتراء » قال :
الإفاك : الكذب « وأعانه عليه قوم آخرون » يعني أبافهيكمة^(٢) وحبراً وعداساً وعابساً
مولى حويطب .

قوله : « أساطير الأولين اكتبها » فهو قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة
قال : « أساطير الأولين اكتبها » محمد « فهي تملأ عليه بكرة وأصيلاً »^(٣).
١١٦ - فس : قوله : « لعلك باخع نفسك » أي خادع .^(٤) قوله : « إن نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » فإنه حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ،
عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : تخضع رقابهم - يعني بني أمية - وهي الصيحة من
السماء باسم صاحب الأمر عجل الله فرجه .

قوله : « وإنه لتنزيل رب العالمين » أي القرآن ، وحدثني أبي ، عن
حسن ،^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « وإنه لتنزيل رب العالمين » إلى قوله :
« من المنذرين » قال : الولاية التي نزلت لأمر المؤمنين عليهم السلام يوم الغدير .

قوله : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » قال الصادق عليه السلام : لو نزل
القرآن على العجم ما آمنت به العرب ، وقد نزل على العرب فأمنت به العجم ، فهذه
فضيلة العجم .

(١) في المصدر هنا زيادة وهي : فحكى قولهم ورد عليهم فقال : « وقال الذين كفروا إن
هذا إلا إفك افتراء » إلى قوله : « بكرة وأصيلاً » فرد الله عليهم فقال : « قل » لهم يا محمد
« انزل الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا » .

(٢) هكذا في النسخ ، وفي المصدر : أبافهيكمة ، وهكذا تقدم قبل ذلك أيضا .

(٣) تفسير القمي : ٤٦٣ .

(٤) يخع نفسه : انهكها و كاد يهلكها من غضب أو غم ، و أما المعنى الذي ذكره على بن
إبراهيم فغريب لم نجده في اللغة ، وقد فسر قبل ذلك بقوله : قاتل نفسك ، وهو الصحيح راجع
وقم ١٢٤ .

(٥) في نسخة : (حيان) وفي المصدر المطبوع في ١٣١٣ : حنان .

ج ٩ - ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٢٩ -

وحدّثني محمد بن الوليد ، عن محمد بن الفرات ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :
« الذي يراك حين تقوم » في النبوة « وتقلبك في الساجدين » قال : في أصلاب
النبيين . (١)

١١٧ - فسى : قوله « وقالوا إن نتبّع الهدى معك » قال : نزلت في قريش حين
دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الإسلام والهجرة قالوا : « إن نتبّع الهدى معك نتخطّف من
أرضنا » . (٢)

١١٨ - فسى : قوله : « جعل فتنة الناس كعذاب الله » قال : إذا أذاه إنسان أو
أصابه ضرر أو فاقة أو خوف من الظالمين دخل معهم في دينهم ، فرأى أن ما يفعلونه
هو مثل عذاب الله الذي لا ينقطع .

قوله : « وإذا جاءهم نصر من ربك » (٣) يعني القائم عجل الله فرجه . قوله :
« ولنحمل خطاياكم » قال : كان الكفار يقولون للمؤمنين : كونوا معنا فإن الذي
تخافون أنتم ليس بشيء ، فإن كان حقاً فنحمل (نتحمل خـل) نحن ذنوبكم ، فيعدّ بهم
الله مرتين : مرّة بذنوبهم ، ومرّة بذنوب غيرهم .

ثم ضرب الله مثلاً فيمن اتّخذ من دون الله وليّاً (أولياء خـل) فقال : « مثل الذين
اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً » وهو الذي نسجه العنكبوت
على باب الغار الذي دخله رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهو أوهر البيوت ، فكذلك من اتّخذ
من دون الله وليّاً .

« وما يعقلها إلا العالمون » يعني آل محمد عليهم السلام قوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب »
قال : اليهود والنصارى « إلا بالتي هي أحسن » قال : بالقرآن . قوله : « فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به » يعني آل محمد عليهم السلام « ومن هؤلاء من يؤمن به » يعني أهل الإيمان
من أهل القبلة . قوله : « في صدور الذين أوتوا العلم » قال : هم الأئمة عليهم السلام . (٤)

١١٩ - فسى : قوله : « ضرب لكم مثلاً من أنفسكم » فإنه كان سبب نزولها

(١) تفسير القمى : ٤٦٩ و ٤٧٤ . (٢) تفسير القمى : ٤٩٠ .

(٣) هكذا في النسخ والمصحح كما في المصدر والمصحف الشريف : ولئن جاء نصر من ربك .

(٤) تفسير القمى : ٤٩٥-٤٩٧ .

أن قريشاً والعرب كانوا إذا حجّوا يلبّون وكانت تلبيتهم : لبّيك اللهم لبّيك لبّيك
لاشريك لك لبّيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وهي تلبية إبراهيم
عليه السلام والأنبياء عليهم السلام ، فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال : ليست هذه تلبية
أسلافكم ، قالوا : وما كانت تلبيتهم ؟ قال : كانوا يقولون : لبّيك اللهم لبّيك ، لاشريك
لك إلا شريك هولاك ؛ فنفرت قريش من هذا القول فقال لهم إبليس : على رسلكم ^(١)
حتى آتي على آخر كلامي ، فقالوا : ما هو ؟ فقال : إلا شريك هولاك تملكه وما ملك ^(٢)
الأترون أنه يملك الشريك وما ملك ؟ ^(٣) فرضوا بذلك وكانوا يلبّون بهذا قريش خاصة
فلما بعث الله رسوله أنكر ذلك عليهم وقال : هذا شرك ، فأنزل الله : « ضرب لكم مثلاً
من أنفسكم » الآية ، أي ترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك ؟ وإذا
لم ترضوا أنتم أن يكون لكم فيما تملكونه شريك فكيف ترضون أن تجعلوا لشي شريكاً
فيما أملك ؟ . قوله : « ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون » أي لا يغضبّك ^(٤)

١٢٠ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله » فهو النضر بن الحارث
ابن علقمة بن كلداء من بني عبد الدار بن قصي ، وكان النضر راوية لأحاديث الناس و
أشعارهم .

قوله : « هذا خلق الله » أي مخلوقه ، ^(٥) لأنّ الخلق هو الفعل والفعل لا يرى ^(٦)
قوله : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله » فهو النضر بن الحارث ، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله :
« اتبع ما أنزل إليك من ربك » قال : بل أتبع ما وجدت عليه آباءني قوله : « فمنهم
مقتصد » أي صالح . و« المختار » : الخداع ^(٧)

(١) الرسل - بكسر الراء - : الرفق والتمهل ، أي استقروا على رفقكم .

(٢) في المصدر : وما يملك . (٣) في المصدر : وما ملكه .

(٤) تفسير القمي : ٥٠٠ و ٥٠٤ . (٥) > > : أي مخلوق الله .

(٦) في المصدر : هنا زيادة وهي : وإنما أشار إلى المخلوق وإلى السماء والأرض والجبال
و جميع الحيوان ، فأقام الفعل مقام المفعول .

(٧) تفسير القمي : ٥٠٥ و ٥٠٩ و ٥١٠ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٣١ -

١٢١ - فس : في رواية أبي العارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم » وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله سأل قومه أن يودّوا أقاربه ولا يؤذونهم وأما قوله : « فهو لكم » يقول : نوابه لكم . (١)

١٢٢ - فس : احتجّ الله على عبدة الأصنام فقال : « إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم » يعني يجحدون بشرككم لهم يوم القيامة . قوله : « وما يستوي الأعمى والبصير » مثل ضربه الله للمؤمن والكافر « وما أنت بمسمع من في القبور » قال : هؤلاء الكفار لا يسمعون منك كما لا يسمع أهل القبور . قوله : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » قال : لكل زمان إمام ؛ ثم حكى عز وجل قول قریش فقال : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم » يعني المذنبين هلكوا « فلمّا جاءهم نذير » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله . (٢)

١٢٣ - فس : قال الصادق عليه السلام : « يس » اسم رسول الله صلى الله عليه وآله (٣) « على صراط مستقيم » قال : على الطريق الواضح « تنزيل العزيز الرحيم » قال : القرآن « لقد حق القول على أكثرهم » يعني لمن نزل به العذاب . قوله : « ومن نعمّره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون » فاتّه ردّ على الزنادقة الذين يبطلون التوحيد ، ويقولون : إن الرجل إذا نكح المرأة وصارت النطفة في الرحم تلقّته أشكال من الغذاء ، ودار عليه الفلك ، و مرّ عليه الليل والنهار فيولد الإنسان بالطبائع من الغذاء و مرور الليل و النهار ، فنقض الله عليهم قولهم في حرف واحد فقال : « ومن نعمّره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون » قال : لو كان هذا كما يقولون ينبغي أن يزيد الإنسان أبداً ما دامت الأشكال قائمة ، والليل والنهار قائمان ، والفلك يدور ، فكيف صار يرجع إلى النقصان كلّما اذداد في الكبير إلى حدّ الطفولة ونقصان السمع والبصر والقوّة والفقه والعلم والمناطق حتّى ينقص وينتسكس في الخلق ؛ ولكن ذلك من خلق العزيز العليم وتقديره .

(١) تفسير القمي : ٥٤١ .

(٢) تفسير القمي ٥٤٥ و ٥٤٦ .

(٣) في المصدر زيادة وهي : والليل على ذلك قوله : « إنك لمن المرسلين » ..

قوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » قال : كانت قريش تقول : إن هذا الذي يقوله محمد - ﷺ - شعر ، فرد الله عليهم فقال : « وما علمناه الشعر » ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله شعرًا قط . قوله : « لينذر من كان حياً » يعني مؤمناً حي القلب « ويحق القول على الكافرين » يعني العذاب .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى : « واتخذوا من دون الله آلهة » إلى قوله : « لا يستطيعون نصرهم » أي لا يستطيع الآلهة لهم نصراً وهم لهم « للآلهة جندٌ محضون » . (١)

١٢٤ - فس : قوله : « من طين لازب » يعني يلزق باليد . (٢) قوله : « فاستفتهم أربك البنات » قال : قالت قريش إن الملائكة هم بنات الله فرد الله عليهم « فاستفتهم الآية إلى قوله : « سلطان مبین » أي حجة قوية على ما يزعمون . قوله : « وجعلوا بينه وبين الجنة سباً » يعني أنهم قالوا : إن الجن بنات الله ، فقال : « ولقد علمت الجنة إنهم لمحضون » يعني أنهم في النار .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله : « وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكننا عباد الله المخلصين » فهم كفار قريش كانوا يقولون : « لو أن عندنا ذكراً من الأولين » قاتل الله اليهود والنصارى كيف كذبوا أنبياءهم ؛ أما والله لو كان عندنا ذكر من الأولين لكننا عباد الله المخلصين ، يقول الله : « فكفروا به » حين جاءهم محمد ﷺ .

قوله : « فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » يعني العذاب إذا نزل ببني أمية وأشياهم في آخر الزمان . قوله : « فتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبعثون » فذلك إذا أتاهم العذاب أبصروا حين لا ينفعهم البصر ، فهذه في أهل الشبهات والضلالات من أهل القبلة . (٣)

١٢٥ - فس : قوله تعالى : « في عزة وشقاق » يعني في كفر . قوله : « فنادوا ولات

(١) تفسير القمي : ٥٥٣ و ٥٤٨ .

(٢) في طبعة من المصدر : يلصق باليد .

(٣) تفسير القمي : ٥٦٠ و ٥٥٥ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٣٣ -

حين مناص « أي ليس هو وقت مفر ». قوله : « إلا اختلاق » أي تخليط . قوله : « من الأحزاب » يعني الذين تحزّبوا عليك يوم الخندق .^(١)

حدثنا سعيد بن محمد ، عن بكر بن سهل ، عن عبد الغني ، عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى : « قل » يا محمد « ما أسألكم عليه » أي على ما أدعوكم إليه من مال تعطونيّه « وما أنا من المتكلمين » يريد ما أتكلّف هذا من عندي « إن هو إلا ذكر » يريد موعظة « للعالمين » يريد الخلق أجمعين « ولتعلمن » يا معشر المشركين « نبأ بعد حين » يريد عند الموت وبعد الموت يوم القيامة .^(٢)

١٢٦ - فسي : قوله : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وذلك أن قريشاً قالت : إنما نعبد الأصنام ليقربونا إلى الله زلفى ، فإننا لا نقدر أن نعبد الله حقّ عبادته فحكى الله قولهم على لفظ الخبر ومعناه حكاية عنهم .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم » يعني غبنوا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة .^(٣)

١٢٧ - فسي : قوله : « ما يجادل في آيات الله » هم الأئمة عليهم السلام . قوله : « و الأحزاب من بعدهم » هم أصحاب الأنبياء الذين تحزّبوا « وهممت كل أمة برسولهم ليأخذوه » يعني يقتلوه « وجادلوا بالباطل » أي خاصموا « ليدحضوا به الحق » أي يبطلوه ويدفعوه .^(٤)

١٢٨ - فسي : قوله : « فصلت آياته » أي بيّن حلالها وحرامها وأحكامها وسننها « بشيراً ونذيراً » أي يبشّر المؤمنين وينذر الظالمين « فأعرض أكثرهم » يعني عن القرآن . قوله : « في أكنة »^(٥) ممّا تدعونا إليه « أي تدعونا إلى ما لا نفهمه ولا نعقله » . قوله : « فاستقيموا إليه » أي أجيبوه . قوله : « وويل للمشركين » هم الذين أقرّوا بالإسلام و أشركوا بالأعمال ، أخبرنا أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي

(١) تفسير القمي : ٥٦١ و ٥٦٢ .

(٢) > > : ٥٧٤ .

(٣) > > : ٥٧٤ و ٥٧٧ .

(٤) > > : ٥٨٢ .

(٥) في المصدر : « في أكنة » قال : في غشاوة .

جيلة ، عن أبان بن تغلب قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبان أترى أن الله طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به حيث يقول : « ويلٌ للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » ؟ قلت له : كيف ذاك جعلت فداك فسره لي ؟ فقال : ويلٌ للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول وهم بالأئمة الآخرين كافرون ، يا أبان إنما دعا الله العباد إلى الإيمان به فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض . قوله : « إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم » يعني نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين « ومن خلفهم » أنت . قوله : « والغوا فيه » أي صيروه سخرية ولغواً .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم » يعني القرآن « لا يأتيه الباطل من بين يديه » قال : لا يأتيه من قبل التوراة ولا من قبل الإنجيل والزبور ، وأما « من خلفه » لا يأتيه من بعده كتاب يبطله .

قوله : « لولا فصلت آياته أعجميٌّ وعربيٌّ » قال : لو كان هذا القرآن أعجمياً ألقاوا : كيف تعلمه ولساننا عربيٌّ وأتيتنا بقرآن أعجميٍّ ؟ فأحبُّ الله أن ينزل بلسانهم .^(١)

١١٩ - فس : قوله تعالى : « أن أقيموا الدين » أي تعلموا الدين يعني التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والسنن والأحكام التي في الكتب والإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام « ولا تتفرقوا فيه » أي لا تختلفوا فيه « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » من ذكر هذه الشرائع ؛ ثم قال : « الله يجتبي إليه من يشاء » أي يختار « ويهدي إليه من ينيب » وهم الأئمة الذين اجتباهم الله واختارهم .

قال : « وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » قال : لم يتفرقوا بجهل ولكنهم تفرقوا لما جاءهم العلم وعرفوه فحسد بعضهم بعضاً وبغى بعضهم على بعض لما رأوا من تفاضل أمير المؤمنين بأمر الله ، فتفرقوا في المذاهب وأخذوا بالآراء والأهواء ، ثم قال عز وجل : « ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم » قال : لولا أن الله قد قدر ذلك أن يكون في التقدير الأول لقضي بينهم إذا اختلفوا ، وأهلكهم ولم ينظرهم ،

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها . ٢٣٥ -

ولكن أخرهم إلى أجل مسمى المقدور «وإن الذين أوردوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» كناية عن الذين نقضوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : «فلذلك قادم واستقم» يعني لهذه الأمور والدين الذي تقدم ذكره وموالات أمير المؤمنين عليه السلام قادم واستقم كما أمرت ، ثم قال عز وجل : «والذين يحتاجون في الله» أي يحتاجون على الله بعد ما شاء الله أن يبعث عليهم الرسل ، فبعث الله إليهم الرسل والكتب فغفروا وبدلوا ، ثم يحتاجون يوم القيامة «فيحجبتهم» على الله «داخضة» أي باطلة «عند ربهم» ثم قال : «قل» لهم يا محمد «لا أسألكم عليه أجراً» يعني على النبوة «إلا المودة في القربى» قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله تعالى : «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» يعني في أهل بيته .

قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : إننا قد آوينا و نصرنا فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نأبى ، فأنزل الله تعالى : «قل لا أسألكم عليه أجراً» يعني على النبوة «إلا المودة في القربى» يعني في أهل بيته ، ثم قال : ألا ترى أن الرجل يكون له صديق وفي نفس ذلك الرجل شيء على أهل بيته فلا يسلم صدره ؟ فأراد الله أن لا يكون في نفس رسول الله شيء على أمته ، فعرض (فعرض نحل) عليهم المودة في القربى ، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً ، وإن تركوا تركوا مفروضاً ، قال : فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول : عرضنا عليه أموالنا فقال : قاتلوا عن أهل بيتي من بعدي ، وقالت طائفة : ما قال هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وجحدوه ، وقالوا كما حكى الله : «أم يقولون افتري على الله كذباً» فقال الله تعالى : «فإن يشأ الله يختم على قلبك» قال : لو افتريت «ويمح الله الباطل» يعني يبطله «ويحق الحق بكلماته» يعني بالأئمة والقائم من آل محمد - صلى الله عليه وآله - . (١)

١٣٠ - فسي : قوله : «أفنزرب عنكم الذكر صفحاً» أي ندعكم مهملين لا نحتاج عليكم برسول أو بأمام أو بحجج . قوله : «أشد منهم بطشاً» يعني من قريش . قوله :

«وجعلوا له من عباده جزءاً» قال : قالت قريش : إن الملائكة هم بنات الله . قوله : «أو من ينشؤ في الحلية» أي في الذهب .

قوله : «على أمة» أي على مذهب ، ثم حكى الله عز وجل قول قريش «و قالوا لولا نزل» أي هلا نزل هذا القرآن «على رجل من القريتين عظيم» وهو عروة بن مسعود والقريتين : مكة والطائف ، وكان يحتمل الديات ، وكان عم المغيرة بن شعبه ، فرد الله عليهم فقال : «أهم يقسمون رحمة ربك» يعني النبوة والقرآن حين قالوا : لم لم ينزل على عروة بن مسعود ؟ (١)

أقول : سيأتي تفسير قوله : «و اسئل من أرسلنا من قبلك» في باب احتجاج الباقر عليه السلام .

١٣١ - فس : قوله : «ولما ضرب ابن مريم مثلاً» الآية ، حدثني أبي ، عن وكيع عن الأعمش ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي صادق ، عن أبي الأعز ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس في أصحابه إذ قال : إنه يدخل عليكم الساعة شبيه عيسى بن مريم ، فخرج بعض من كان جالساً مع رسول الله ليكون هو الداخل ، فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال الرجل لبعض أصحابه : أما رضي محمد أن فضل علينا حتى يشبهه بعيسى بن مريم ؟ والله لا آلهتنا التي كنا نعبد في الجاهلية أفضل منه ، فأنزل الله في ذلك المجلس : «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون» فحرفوها «بصدون» وقالوا ، آلهتنا خير أم هو ما ضربه لك إلا جديلاً بل هم قوم خصمون» (٢) «إن علياً إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل» فمحا اسمه عن هذا الموضع ، ثم ذكر الله خطراً أمير المؤمنين وعظم شأنه عنده تعالى فقال : «وإنه لعلم الساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم» يعني أمير المؤمنين عليه السلام . قوله : «فأنا أول العابدين» يعني أول الآنفين له أن يكون له ولد . (٣)

(١) تفسير القمي : ٦٠٦-٦٠٩ .

(٢) في نسخة هنا زيادة وهي : خصمون علياً .

(٣) تفسير القمي : ٦١١ و ٦١٤ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٣٧ -

١٣٢ - فُس : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » يعني القرآن « فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ » وهي ليلة القدر ، أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة ، ثم نَزَلَ من البيت المعمور على رسول الله عليه السلام في طول عشرين سنة . قوله : « فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ » أي انتظر إنهم ينتظرون .^(١)

١٣٣ - فُس : قوله : « وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ » أي كذاب . قوله : « وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا » يعني إذا رأى ، فوضع العلم مكان الرؤية . قوله : « عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ » قال : الشدة والسوء .

حدثنا أبو القاسم ، عن محمد بن عباس ، عن عبيد الله بن موسى ، عن عبد العظيم الحسيني ، عن عمر بن رشيد ، عن داود بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » قال : قل للذين منتساعليهم بمعرفتنا أن يعلموا الذين لا يعلمون ،^(٢) فإذا عرفوهم فقد غفروا لهم .

قوله : « أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » قال : نزلت في قريش كلما هودوا شيئاً عبده « وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ » أي عذبه على علم منه فيما ارتكبوا من أمر أمير المؤمنين عليه السلام ، وجرى ذلك بعد رسول الله عليه السلام فيما فعلوه بعده بأهوائهم وآراءهم ، و أزالوا الخلافة والإمامة عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أخذه الميثاق عليهم مرتين لأمر المؤمنين .

وقوله تعالى : « اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ » نزلت في قريش و جرت بعد رسول الله عليه السلام في أصحابه الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام ، واتخذوا إماماً بأهوائهم ، ثم عطف على الدهرية الذين قالوا : لانحيا بعد الموت فقال : « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا » وهذا مقدم ومؤخر ، لأن الدهرية لم يقرّوا بالبعث و النشور بعد الموت ، وإنما قالوا : « نَحْيَا وَنَمُوتُ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ » إلى قوله : « يظنون » فهذا ظن شك .^(٣)

(١) تفسير القمي : ٦١٥ و ٦١٧ . فيه : تهديد من الله وعيد ، وانتظر إنهم ينتظرون .

(٢) في المصدر : أن يعرفوا الذين لا يعلمون .

(٣) تفسير القمي : ٦١٨ و ٦١٩ .

١٣٤ - فسي : قوله : « والذين كفروا عما أُنذروا معرضون » يعني قريشاً عما دعاهم إليه رسول الله ﷺ ثم احتج (الله جل) عليهم فقال : قل لهم يا محمد : « أدأيتم ما تدعون من دون الله ، يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها ؛ ثم قال : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له »^(١) قال : من عبد الشمس والقمر والكواكب والبهائم والشجر والحجر إذا حشر الناس كانت هذه الأشياء لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ثم قال : « أم يقولون ، يا محمد « افتراء » يعني القرآن أي وضعه من عنده ، فقل لهم : « إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً » إن أثابني أو عاقبني على ذلك « هو أعلم بما تفيضون فيه » أي تكذبون ، ثم قال : « قل لهم « ما كنت بدعاً من الرسل » أي لم أكن واحداً من الرسل فقد كان قبلي أنبياء .^(٢)

١٣٥ - فسي : قوله : « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك » فانها نزلت في المنافقين من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن كان إذا سمع شيئاً منه لم يؤمن به ولم يعه ، فإذا خرج قال للمؤمنين : ماذا قال محمد آنفاً ؟^(٣)

١٣٦ - فسي : قوله : « ولكن قولوا أسلمنا » أي استسلمتم بالسيف « ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » . قوله : « لا يلتكم » أي لا ينقصكم .

قوله : « يمتنون عليك أن أسلموا » نزلت في عثمان يوم الخندق وذلك أنه مرّ بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر فوضع عثمان كفه على أنفه و مرّ ، فقال عمار :

لا يستوي من يمني المساجدا * يظلّ فيها راكعاً وساجداً

كمن يمرّ بالغبار جاعداً * يعرض عنه جاحداً معانداً

فالتفت إليه عثمان فقال : يا بن السوداء إياي تعني ؟ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال له : لم ندخل معك في الإسلام لتسبب أعراضنا ، فقال له رسول الله ﷺ : قد أقلتك إسلامك فاذهب ، فأمر الله عز وجل : « يمتنون عليك أن أسلموا » إلى قوله : « إن كنتم صادقين » أي ليس هم صادقين .^(٤)

(١) في المصدر : « لا يستجيب لهم يوم القيمة » - إلى قوله - : « كانوا بعبادتهم كافرين » قال : اهـ

(٢) تفسير القمي : ٦٢٠ . (٣) تفسير القمي : ٦٢٧ .

(٤) > > ٦٤٢ . وفيه : أي لستم بصادقين .

ج ٩ - ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٣٩-

١٣٧ - فسر : قوله : «فتول عنهم فمأنت بملوم» قال : هم الله جل ذكره بهلاك أهل الأرض فأنزل على رسوله : «فتول عنهم» يا محمد «فما أنت بملوم» ثم بدا له في ذلك فأنزل عليه : «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» (١).

١٣٨ - فسر : «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» قال : لم يكن في الدنيا أحلم من قریش ثم عطف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «أم يقولون» يا محمد «تقول» يعني أمير المؤمنين عليه السلام «بل لا يؤمنون» أنه لم يتقوله ولم يقره برأيه ، ثم قال : «فليأتوا بحديث مثله» أي رجل مثله من عند الله «إن كانوا صادقين» ثم قال : «أم تسألهم» يا محمد «أجرأ» فيما آتيتهم به «فهم من مغرم مثقلون» أي أم يقع عليهم الغرم الثقيل .

قوله : «وإن للذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله حقهم» عذاباً دون ذلك» قال : عذاب الرجعة بالسيف . قوله : «فأنتك بأعيننا» أي بحفظنا وحرزنا ونعمتنا «وسبح بحمد ربك حين تقوم» قال : لصلاة الليل «فسبحه» قال : صلاة الليل .

أخبرنا أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن البرنطي ، عن الرضا عليه السلام قال : «إدبار السجود» أربع ركعات بعد المغرب « وإدبار النجوم » ركعتين قبل صلاة الصبح . (٢)

١٣٩ - فسر : «والنجم إذا هوى» قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله (٣) «إذا هوى» لما سري به إلى السماء وهو في الهواء ، (٤) وهو قسم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو فضل له على الأنبياء وجواب القسم «ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» أي لا يتكلم بالهوى «إن هو» يعني القرآن «إلا وحي» يوحى علمه شديد القوى (٥) يعني الله عز وجل «ذو مرة فاستوى» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) تفسير القمى : ٦٤٨ .

(٢) » » ٦٥٠ .

(٣) ذكر الطبرسى معان آخر للنجم راجع مجمع البيان : ج ٩ : ١٧٢ .

(٤) في المصدر هنا زيادة وهى : وهذا رد على من انكر المعراج .

(٥) قال الطبرسى : يعنى به جبرئيل ، أى القوى فى نفسه وخلقه «ذو مرة» قال : أى ذو قوة وشدة فى خلقه ؛ وقيل : ذو صفة وخلق حسن ، وقيل : ذو مورد فى الهواء ، ذاهبا وجامعا ونازلا .

قوله : « وهو بالأفق الأعلى » يعني رسول الله ﷺ « ثم دنى » يعني الرسول ﷺ من ربه عز وجل « فتدلى » قال : إنما نزلت : ثم دنا فتدانا « فكان قاب قوسين » قال : كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية^(١) « وأدنى » قال : بل أدنى من ذلك « فأوحى إلى عبده ما أوحى » قال : وحي مشافهة .

قوله : « إذ يغشى السدرة ما يغشى » قال : لما رفع الحجاب بينه وبين رسول الله غشى نوره السدرة . قوله : « ما زاغ البصر وما طغى » أي لم ينكر « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » قال : رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض .

وأما قوله : « أفرأيتم اللات والعزى » قال : اللات : رجل ، والعزى : امرأة . قوله : « وهنات الثالثة الأخرى » قال : كان صنم بالمسك خارج من الحرم على ستة أميال يسمي المنات .^(٢) قوله : « تلك إذا قسمة ضيزى » أي ناقصة ، ثم قال : « إن هي » يعني اللات والعزى والمناة . « إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان »

وصاعداً « فاستوى » جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد الخدادة إلى محمد ص « وهو » كناية عن جبرائيل « بالأفق الأعلى » يعني أفق المشرق ، والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء ، قالوا : إن جبرائيل كان يأتي النبي ص في صورة الإدميين فسأله النبي ص أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها ، فأراه نفسه مرتين : مرة في الأرض ومرة في السماء أما في الأرض ففي الأفق الأعلى ، وذلك أن محمداً ص كان بحراء فطلع له جبرائيل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبي ص من مغشياً عليه فنزل جبرائيل في صورة الإدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله : « ثم دنا فتدلى » وتقديره : ثم تدلى أي قرب بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد ص (إلى أن قال :) وقيل : معناه : استوى جبرائيل ومحمد ص بالأفق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج « فكان قاب قوسين » أي كان ما بين جبرائيل ورسول الله ص قاب قوسين ، والقوس : ما يرمى به ، وقيل : قدر ذراعين ، « فأوحى إلى عبده ما أوحى » أي فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى عبد الله محمد ص ما أوحى الله تعالى إليه . « إذ يغشى السدرة ما يغشى » قيل : يشاه الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر .

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها .

(٢) تقدم في تفسير الآيات معان أخر لها .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢٤١ -

أي من حجة . قوله : «بأي آلاء ربك تتماهى» أي بأي سلطان تخصم «هذانذير» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «من النذر الأولى أفمن هذا الحديث تعجبون» يعني ما قد تقدم ذكره من الأخبار «وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» أي لاهون. (١)

بيان : هوى يكون بمعنى هبط وبمعنى صعد .

١٤٠ - فس : قوله : «واتبعوا أهواءهم» أي كانوا يعملون برأيهم ويكذبون أنبياءهم . قوله : «ما فيه مزدجر» أي متعظ . قوله : «ولقد أهلكنا أشياعكم» أي أتباعكم في عبادة الأصنام . قوله «وكل شيء فعلوه في الزبر» أي مكتوب في الكتب «وكل صغير وكبير» يعني من ذنب «مستطر» أي مكتوب. (٢)

١٤١ - فس : قوله : «أفرايتم ما تمنون» يعني النطفة . قوله : «من المزن» قال : من السحاب . قوله : «أفرايتم النار التي تورون» أي توقدونها وتنتفعون بها . قوله : «للمقوين» أي للمحتاجين . قوله : «فلا أقسم بمواقع النجوم» أي فأقسم .

حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، وأحمد بن الحسن القزّاز جميعاً ، عن صالح بن خالد ، عن ثابت بن شريح ، عن أبان بن تغلب ، عن عبد الأعلى الثعلبي - ولا أراني إلا وقد سمعته من عبد الأعلى - قال : حدثني أبو عبد الرحمن السلمي (٣) أن علياً عليه السلام قرأ بهم الواقعة : «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» فلمّا انصرف قال : إنني عرفت أنّه سيقول قائل : لم قرءها هكذا ؟ قرأتها إنني سمعت (٤) رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها كذلك .

وكانوا إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فأنزل الله : «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» .

وحدثنا علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون» قال :

(١) تفسير القمى : ٦٥٠-٦٥٦ .

(٢) > > ٦٥٧ - ٦٥٨ .

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن ديمة السلمي الكوفي المقرئ ولا يبه صحبة مات بعد السبعين .

(٤) كذا فيما عندنا من النسخ ؛ وفي المصدر : سيقول قائل من قرءها هكذا ؛ قرأتها إنني سمعت . هـ .

بل هي : « وتجعلون شكركم أنكم تكذبون » .^(١)
 بيان : قال الطبرسي رحمه الله : قرأ علي عليه السلام وابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله « وتجعلون شكركم » .^(٢)

١٤٢ - فس : قوله : « ألم يأن » يعني ألم يجب « أن تخشع قلوبهم » يعني الرهب . قوله : « يؤتكم كفلين من رحمته » قال : نصيبين من رحمته : أحدهما أن لا يدخله النار ، و الثانية أن يدخله الجنة . قوله : « ويجعل لكم نوراً تمشون به » يعني الأيمان .

أخبرنا الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن الحسن بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن القاسم بن سليمان ، عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « يؤتكم كفلين من رحمته » قال : الحسن والحسين صلوات الله عليهما « ويجعل لكم نوراً تمشون به » قال : إماماً تأتمون به .^(٣)

١٤٣ - فس : قوله : « ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم » قال : نزلت في الثاني ، لأنه مرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس عند رجل من اليهود يكتب خبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنزل الله جل ثناؤه : « ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم » فجاء الثاني إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيتك تكتب عن اليهود وقد نهى الله عن ذلك ، فقال : يا رسول الله كتبت عنه ما في التوراة من صفتك ، وأقبل يقرء ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو غضبان ، فقال له رجل من الأنصار : ويلك أما ترى غضب النبي صلى الله عليه وآله عليك ؟ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، إنني إنما كتبت ذلك لما وجدت فيه من خبرك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا فلان لو أن موسى ابن عمران فيهم قائماً ثم أتيت به رغبة عما جئت به لكنت كافراً بما جئت به .^(٤)

١٤٤ - فس : قوله : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » قال : الأميون الذين ليس معهم كتاب .

(٢) مجمع البيان ٩ : ٢٢٤ .

(٤) تفسير القمى : ٦٧٠ .

(١) تفسير القمى : ٦٦٣ .

(٣) > > : ٦٦٥ و ٦٦٧ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٤٣ -

قال : فحدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم » قال : كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله ولا بعث إليهم رسولا فنسبهم إلى الأميين . قوله : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » قال : إن في التوراة مكتوبا : أولياء الله يتمنون الموت . (١)

١٤٥ - فسي : علي بن الحسين ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا » قال : يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد عليهم السلام إلى يوم القيامة ، هم والله نور الله الذي أنزل ، الخبر . قوله : « قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا » قال : الذكر اسم رسول الله صلوات الله عليه ، وقالوا : نحن أهل الذكر . قوله : « ذلولا » أي فراشا فامشوا في مناكبها ، أي في أطرافها . (٢)

١٤٦ - فسي : قوله : « ن والقلم وما يسطرون » أي ما يكتبون ، هو قسم وجوابه : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » قوله : « وإن لك لأجرا غير ممنون » أي لا يمن عليك فيما يعطيك من عظيم الثواب . (٣) قوله : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل » يعني رسول الله صلوات الله عليه « لأخذنا منه باليمين » قال : انتقمنا منه بقوة « ثم لقطعنا منه الوتين » قال : عرق في الظهر يكون منه الولد ، قال : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » يعني لا يحجز الله أحد ولا يمنعه عن رسول الله صلوات الله عليه . (٤)

قوله : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا » قال : كان قوم مؤمنون قبل نوح - على نبينا وآله وعليه السلام - فماتوا فحزن عليهم الناس ، فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأنسوا بها ، فأنسوا بها ، فلما جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن

(١) تفسير القمي : ٦٧٧ و ٦٧٨ .

(٢) > > : ٦٨٣ و ٦٨٦ و ٦٨٩ .

(٣) > > : ٦٩٠ ، وفيه : لأن من عليك فيما تعطيك .

(٤) > > : ٦٩٥ .

وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم : « إن هؤلاء آلهة كانوا آباءكم يعبدونها فعبدوهم وضلّ منهم بشر كثير ، فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله . قوله : « ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً » قال : كانت ودّ صنماً للكلب ، وكانت سواع لهذيل ، ويغوث ملراد ، ويعوق لهمدان ، ونسر لحصين .

قوله : « قل إنّي لن يجيرني من الله أحد » إن كنت ما أمرت به « ولن أجد من دونه ملتحداً » يعني مأوى « إلا بلاغاً من الله » أبلغكم ما أمرني الله به من ولاية عليّ عليه السلام « ومن يعص الله ورسوله » في ولاية عليّ عليه السلام « فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً » .^(١)

١٤٧- فُس : « يا أيّها المدّثر » قال : تدثر الرسول ﷺ ، فالمدّثر يعني المتدثر بشوبه^(٢) « قم فأنذر » قال : هو قيامه في الرجعة ينذر فيها . قوله : « و ثيابك فطهر » قال : تطهيرها : تشميرها ، ويقال : شيعتنا يطهرون^(٣) « والرجز فاهجر » الرجز : الخبيث . وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « ولا تمنن تستكثر » لاتعطي العطية تلمس أكثر منها^(٤) .

بيان : قوله : ويقال : شيعتنا يطهرون لعلّ المعنى أن الثياب كناية عن الشيعة ، فأمر ﷺ بتطهيرهم عن الذنوب والأخلاق الذميمة ، كما قالوا ﷺ لشيعتهم في مواطن : أنتم الشعار دون الدثار .

١٤٨ - فُس : قوله : « ذرني و من خلقت وحيداً » فإنّها نزلت في الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ

(١) تفسير القمي : ٦٩٩ و ٦٩٧ .

(٢) في طبعة من المصدر : يعني المتزود بشوبه .

(٣) لعله كلام مستأنف أوردته للتمثيل على استعمال التطهير بمعنى التشمير أي و منه : شيعتنا يطهرون ، أي يقصرون الثياب ولا يسبلونها خيلاء . وقد وردت روايات كثيرة في الامر بتطهير الثياب وفسر بالتقصير و التشمير والنهي عن اسبالها خيلاء .

(٤) تفسير القمي : ٧٠٢ .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٤٥ -

وكان رسول الله ﷺ يقعد في الحجر و يقرأ القرآن ، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة فقالوا : يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمد ؟ شعر أم كهانة أم خطب ؟ قال : دعوني أسمع كلامه ، فدنا من رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أنشدني من شعرك ، قال : ما هو شعر ولكنّه كلام الله الذي ارتضاه الملائكة و أنبياءه و رسله ، فقال : اتل عليّ منه شيئاً ، فقرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة ، فلما بلغ قوله : « فإن أعرضوا » يا محمد قريش « قتل » لهم « أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود » قال : فاقشعرّ الوليد وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته ، ومرت إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك فمشوا إلى أبي جهل فقالوا : يا أبا الحكم إن أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد ^(١) أما تراه لم يرجع إلينا ؟ فعدا أبوجهل إلى الوليد فقال له : ياعم نكست رؤوسنا وفضحتنا ، و أشمت بنا عدونا ، وصبوت إلى دين محمد ، قال : ما صبوت إلى دينه ، ولكنني سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود ! فقال له أبوجهل : أخطبُ هي (هو خل) ؟ قال : لا ، إن الخطب كلام متصل ، وهذا كلام منشور ولا يشبه بعضه بعضاً ، قال : فشعر هو ؟ قال : لا ، أما إنني قد سمعت أشعار العرب بسيطها و مديدها و رملها و رجزها وما هو بشعر ، قالوا : فما هو ؟ قال : دعني أفكر فيه ، فلما كان من الغد قالوا له : يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه ؟ قال : قولوا : هو سحر فأنته أخذ بقلوب الناس ، فأنزل الله على رسوله في ذلك : « ذرني و من خلقت وحيداً » وإنما سميتي وحيداً لأنّ الله قال لقريش : أنا أتوحد بكسوة البيت سنة و عليكم في جماعتكم سنة ، و كان له مال كثير و حدائق ، و كان له عشر بنين بمكة ، و كان له عشر عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها ، و تلك القنطار في ذلك الزمان ، و يقال : إن القنطار جلد نور مملوء ذهباً ، فأنزل الله : « ذرني و من خلقت وحيداً » إلى قوله : « صعوداً » قال : جبل يسمي صعوداً (الصعود خل) « إنّه فگرو قد رفقتل كيف قد رثم قتل كيف قدّر » يعني قدره ، كيف سوّاه وعدله « ثم نظر ثم عبس و بسر » قال : عبس وجهه و بسر ، قال لوى شذقه ^(٢) « ثم أدبر و استكبر فقال إن

(١) أى خرج من ديننا إلى دين محمد صلى الله عليه وآله .

(٢) الشدق بالكسر و الفتح : زاوية الفم من باطن الغدين ، يقال : لوى شذقه لمن توسع في الكلام من غير احتياط و احتراز و لمن استهزأ بالناس .

هذا إلا سحر يؤثر، إلى قوله : «سقر» واد في النار . قوله : « فرت من قسورة » يعني من الأسد .

و في رواية أبي الجارود « عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة » و ذلك أنهم قالوا : يا محمد قد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يذنب الذنب فيصبح و ذنبه مكتوب عند رأسه و كفتارته ، فنزل جبرئيل على نبي الله عليه السلام وقال : يسألك قومك سنة بني إسرائيل في الذنوب ، فإن شاوروا (شعناخل) فعلنا ذلك بهم و أخذناهم بما كنتم أخذ به بني إسرائيل ، فزعموا أن رسول الله عليه السلام كره ذلك لقومه .^(١)

١٤٩ - فس : « إن علينا جمعه وقرآنه » قال : على آل محمد عليه السلام جمع القرآن « وقرآته (وقرآنه نخل) » فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، قال : يعني اتبعوا ماذا قرؤوه « ثم إن علينا بيانه » أي تفسيره .^(٢) قوله : « وشدنا أسرهم » يعني خلقهم . قال الشاعر :
و ضامرة شد المليك أسرها أسفلها وظهرها و بطنها^(٣)

قال : الضامرة يعني فرسه ، شد المليك أسرها أي خلقها (تكاد مادتها) قال :
عنقها (تكون شطرها) أي نصفها .

بيان : قوله : (تكاد مادتها تكون شطرها) مصراع آخر لم يورده أولاً ، فذكره عند التفسير ، و في بعض النسخ هذا المصراع مذكور بين المصراعين ، والمادة بمعنى العنق لم نجد في اللغة ، والظاهر أنه كان (هاديها) و الهادي : العنق ، فيستقيم الوزن والمعنى .

١٥٠ - فس : « ألم نخلقكم من ماء مهين » قال : هتتن « فجعلناه في قرار مكين » قال : في الرحم . قوله : « ألم نجعل للأرض كفاتاً أحياء و أمواتاً » قال : الكفات :

(١) تفسير القمي : ٧٠٢ - ٧٠٥ .

(٢) تفسير القمي : ٧٠٥ .

(٣) في المصدر المطبوع : وضامرة شد المليك أسرها • تكاد مادتها • أسفلها وظهرها و بطنها و في طبعة : تكاد مادتها .

ج ٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٤٧ -

المساكن ؛ وقال : نظر أمير المؤمنين عليه السلام في رجوعه من صفين إلى المقابر فقال : هذه كفات الأموات ؛ أي مساكنهم ، ثم نظر إلى بيوت الكوفة فقال : هذه كفات الأحياء ، ثم تلا قوله : « ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً » . قوله : « وجعلنا فيها رواسي شامخات » قال : جبلاً مرتفعة « وأسقينكم ماءً فراتاً » أي عذباً ، و كل عذب من الماء هو الفرات . (١)

١٥١ - فس : قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهاداً » قال : يمهّد فيها الإنسان ويهدّ (٢) « والجبّال أتاداً » أي أتاد الأرض « وجعلنا الليل لباساً » قال : يلبس على النهار « وجعلنا سراجاً وهاجاً » قال : الشمس المضيئة « وأنزلنا من المعصرات » قال : من السحاب « ماءً نجاجاً » قال : صباً على صب . قوله : « وجنّات ألفافاً » قال : بساطين ملتفة الشجر . (٣)

١٥٢ - فس : قوله : « وأغطش ليلها » أي أظلم « وأخرج ضحىها » أي الشمس والأرض بعد ذلك دحىها « أي بسطها » والجبّال أرسها « أي أنبتّها . (٤) قوله : « قضياً » قال : القضب : القت (٥) « وحدائق غلباً » أي بساطين ملتفة مجتمعّة « وفاكهة وأباً » قال : الأب : الحشيش للبهائم .

حدّثنا سعيد بن محمد ، عن بكر بن سهل : عن عبد الغني بن سعيد ، عن موسى ابن عبد الرحمن ، عن مقاتل بن سليمان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « متاعاً لكم ولا نعامكم » يريد منافع لكم ولا نعامكم . (٦)

١٥٣ - فس : « فلا أقسم » أي أقسم « بالخنس » وهو اسم النجوم « الجوار الكنس »

(١) تفسير القمي : ٧٠٨ .

(٢) أي يسكن ، ويهد بالمكان : يقيم بها .

(٣) تفسير القمي : ٧٠٩ .

(٤) تفسير القمي : ٧١٠ .

(٥) القتب : الفصحة « نبات تملّقه الدواب » أو اليابسة منها . حب يرى يأكله أهل البادية

بعد دقه وطبخه . و لعله المراد هنا

(٦) تفسير القمي : ٧١٢ .

قال : النجوم تكنس ^(١) بالنهار فلاتين « والليل إذا عسعس » قال : إذا أظلم « والصبح إذا تنفس » قال : إذا ارتفع ، وهذا كله قسم وجوابه « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين » يعني ذا منزلة عظيمة عند الله مكين « مطاع ثم أمين » فهذا ما فضل الله به نبيه ﷺ ولم يعط أحداً من الأنبياء مثله .

حدثنا جعفر بن أحمد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن ابن البطائني ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله : « ذي قوة عند ذي العرش مكين » قال : يعني جبرئيل ، قلت : قوله : « مطاع ثم أمين » ؟ قال : يعني رسول الله ﷺ هو المطاع عند ربه الأمين يوم القيامة ، قلت : قوله : « وما صاحبكم بمجنون » ؟ قال : يعني النبي ﷺ ما هو بمجنون في نصبه أمير المؤمنين ﷺ علماً للناس ، قلت : قوله : « وما هو على الغيب بضين » ؟ قال : وما هو تبارك وتعالى على نبيه بغيبه بضين عليه ، قلت : « وما هو بقول شيطان رجيم » ؟ قال : يعني الكهنة الذين كانوا في قريش ، فنسب كلامهم إلى كلام الشياطين الذين كانوا معهم يتكلمون على أسنتهم ، فقال : « وما هو بقول شيطان رجيم » مثلاً ولئلا ، قلت : قوله : « فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين » ؟ قال : أين تذهبون في علي ﷺ يعني ولايته ، أين تفرّون منها ؟ إن هو إلا ذكر للعالمين لمن أخذ الله ميثاقه على ولايته ، قلت : قوله : « لمن شاء منكم أن يستقيم » ؟ قال : أن يستقيم في طاعة علي ﷺ والأئمة من بعده ، قلت : قوله : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » ؟ قال : لأن المشيئة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس . ^(٢)

١٥٤ - فسي : قوله : « فسوّاك فعدلك » أي ليس فيك اعوجاج « في أي صورة ما شاء ركبك » قال : لو شاء ركبك على غير هذه الصورة « كلاب تكذبون بالدين » قال : رسول الله ﷺ ^(٣) وأمير المؤمنين ﷺ « وإن عليكم لحافظين » قال : الملكان الموكلان بالإنسان « كراماً كاتين » يكتبون الحسنات والسيئات .

(١) كنس الظبي : تنيب واستتر في كناسه ، أي النجوم يستتر بضوء الشمس فلا يشاهد .

(٢) تفسير القمي : ٧١٤ .

(٣) في المصدر : قال : برسول الله صلى الله عليه وآله .

ج٩ ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب و تأويلها - ٢٤٩-

قوله : « فلا أقسم بالشفق » أي الحمرة بعد غروب الشمس « والليل وما وسق » يقول : إذا ساق كل شيء من الخلق إلى حيث يهلكون بها « والقمر إذا اتسق » إذا اجتمع « لتركبن طبقاً عن طبق » يقول : حالاً بعد حال ، يقول : لتركبن سنة من كان قبلكم حذوا النعل بالنعل ، والقدوة بالقدوة ، لا تخطؤن طريقهم ولا يخطئ ، شربشبر ، و ذراع بذراع ، و باع بباع ، حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : اليهود والنصارى تعني يا رسول الله ؟ قال : فمن أعني ؟ لتتقنن عرى الإسلام عروة عروة ، فيكون أول ما تتقنن من دينكم الأمانة ^(١) وآخره الصلاة .

قال علي بن إبراهيم في قوله : « إنه ظن أن لن يحور » : بلى يرجع بعد الموت « فلا أقسم بالشفق » قسم ^(٢) وجوابه : « لتركبن طبقاً عن طبق » أي مذهباً بعد مذهب « والله أعلم بما يوعون » أي بما يعي صدورهم « لهم أجر غير ممنون » أي لا يمن عليهم ^(٣) .

بيان : قوله : يقول : إذا ساق كل شيء ، بيان لحاصل المعنى مع رعاية الاشتقاق الكبير في اللفظ أيضاً ، والهالك مجاز عن النوم .

١٥٥ - فس : « والسما ذات الرجع » قال : ذات المطر « والأرض ذات الصدع » أي ذات النبات ، وهو قسم وجوابه : « إنه لقول فصل » يعني ما مضى ^(٤) أي قاطع « وما هو بالهزل » أي ليس بالسخرية « إنهم يكيدون كيداً » أي يحتالون الحيل « وأكد كيداً » فهو من الله العذاب « فمهل الكافرين أمهلهم رويداً » قال : دعهم قليلاً ^(٥) .

بيان : قوله : يعني ما مضى أي الضمير راجع إلى ما مضى من الآيات .

١٥٦ فس : « سبّح اسم ربك الأعلى » قال : قل : سبحان ربّي الأعلى « الذي

(١) في نسخة : الإمامة . قلت : القلة بالضم والتشديد : ريش السهم . الباع : قدر مبالغين .

(٢) في المصدر زيادة وهي : وهو الذي يظهر بعدمغيب الشمس ، وهو قسم هـ .

(٣) تفسير القمي : ٧١٥ و ٧١٨ .

(٤) هكذا في المطبوع ونسخ مخطوطة ، وفي المصدر : ما مضى أي قاطع . وهو الصحيح فلا يحتاج

إلى تكلف وبيان .

(٥) تفسير القمي : ٧٢٠ .

خلق فسوّى و الذي قدّر فهدى، قال : قدّر الأشياء في التقدير الأوّل ،^(١) ثمّ هدى إليها من يشاء . قوله : « و الذي أخرج المرعى » قال : أي النبات « فجعله » بعد إخراجِه « غشاءً أحوى » قال : يصير هشيمًا بعد بلوغه ويسودّ .

قوله : « سنقرؤك فلا تنسى » أي نعلّمك فلا تنسى ، ثمّ استثنى فقال : « إلّا ما شاء الله » لأنّه لا يؤمن النسيان ،^(٢) لأنّ الذي لا ينسى هو الله « ونيسرك لليسرى فذكر » يا محمد « إن نفعت الذكرى سيذكّر من يخشى » بذكرك إياه ،^(٣) ثمّ قال : « ويتجنّبها » يعني ما يذكّر به « الأتقى الذي يصلّى النار الكبرى » قال : نار يوم القيامة « ثمّ لا يموت فيها ولا يحيى » يعني في النار فيكون كما قال الله : « ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميت » .^(٤) قوله : « قد أفلح من تركى » قال : زكاة الفطرة فإذا أخرجها قبلت صلاة العيد « وذكر اسم ربّه فصلّى » قال : صلاة الفطر والأضحى « إنّ هذا » يعني ما قد تلوته من القرآن « لفي الصحف الأولى » صحف إبراهيم وموسى « حدّثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل ، عن عبد الغنيّ بن سعيد ، عن موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى : « إنّّه يعلم الجهر وما يخفى » يريد ما يكون إلى يوم القيامة في قلبك ونفسك « ونيسرك » يا محمد في جميع أمورك « لليسرى » . وبهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » يريد الأنعام إلى قوله : « وإلى الجبال كيف نصبت » يقول عزّ وجلّ : يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل ويرفع مثل السماء وينصب مثل الجبال ويسطح مثل الأرض غيري ؟ ويفعل^(٥) مثل هذا الفعل أحد سواي ؟ قوله : « فذكر إنّما أنت مذكّر » أي

(١) في نسخة من الكتاب والمصدر : بالتقدير الأوّل .

(٢) في هامش النسخة المروية على المصنف وكذا المصدر زيادة وهي : النسيان اللغوي هو الترك . وفي طبعة من المصدر : لا يؤمن النسيان وهو الترك .

(٣) في طبعة من المصدر هكذا : قال : تذكرته إياه ما يذكر به . و الظاهر أنه مصحف : بذكرك إياه أو بتذكرتك إياه .

(٤) إبراهيم : ١٧ .

(٥) في نسخة : أو يفعل .

ج٩ ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٥١ -

فعظ يا محمد إنما أنت واعظ . قال علي بن إبراهيم في قوله : « لست عليهم بمصيطر » : قال : لست بحافظ ولا كاتب عليهم .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « إلا من تولى وكفر » يقول : من لم يتعظ ولم يصدقك وجحد ربوبيتي وكفر نعمتي « فيعذب به الله العذاب الأكبر » يريد العذاب الشديد الدائم « إن إلينا إيابهم » يريد مصيرهم « ثم إن علينا حسابهم » أي جزاءهم . (١)

١٥٧ - فس : « لا أقسم بهذا البلد » أي مكة « وأنت حل بهذا البلد » قال : كانت قريش لا يستحلون أن يظلموا أحداً في هذا البلد و يستحلون ظلمك فيه « ووالد وما ولد » قال : آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء « لقد خلقنا الإنسان في كبد » أي منتصباً ولم يخلق مثله شيء . « يقول أهلك ما لا لبداً » أي مجتمعاً .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « يقول أهلك ما لا لبداً » قال : هو عمرو بن عبدود حين عرض عليه علي بن أبي طالب عليه السلام الإسلام يوم الخندق و قال : فأين ما أنفقت فيكم ما لا لبداً ؟ وكان قد أنفق مالا في الصد عن سبيل الله ، فقتله علي عليه السلام .

وأخبرنا أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن إسماعيل بن عباد ، عن الحسين بن أبي يعقوب ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد » يعني نعتل في قتله ابنة النبي صلى الله عليه وآله « يقول أهلك ما لا لبداً » يعني الذي جهز به النبي صلى الله عليه وآله في جيش العسرة « أيحسب أن لم يره أحد » قال : في فساد كان في نفسه « ألم نجعل له عينين » رسول الله صلى الله عليه وآله « ولساناً » يعني أمير المؤمنين عليه السلام « وشفتين » يعني الحسن والحسين « وهديناها النجدين » إلى ولايتهما « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة » يقول : ما أعلمك ؛ وكل شيء في القرآن ما أدراك فهو ما أعلمك « يتيماً ذامقرباً » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمقربة :

قرباه «أومسكيناً ذامترية» يعني أمير المؤمنين عليه السلام مترب بالعلم .^(١)
بيان : نعثل هو عثمان ، قال الجوهري : نعثل اسم رجل كان طويل اللحية
وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبهه بذلك الرجل لطول لحيته . قوله : ما أعلمك
لعله جعل ما للتعجب ، ويحتمل على بعد أن يكون إشارة إلى ما قيل : إن كل موضع
في القرآن فيه «ما أدراك» فهو ما قديده الله وما كان «ما يدريك» لم يبيته . قوله : مترب
بالعلم على بناء الفاعل أى مستغن ، يقال : أترب الرجل : إذا استغنى كأنه صار له من
المال بقدر التراب ، ذكره الجوهري .

١٥٨ - فسر : أحمد بن محمد الشيباني ، عن محمد بن أحمد ، عن إسحاق بن محمد ، عن
محمد بن علي ، عن عثمان بن يوسف ، عن عبد الله بن كيسان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :
نزل جبرئيل عليه السلام على محمد عليه السلام فقال : يا محمد اقرء فقال : وما أقرء ؟ قال : « اقرء
باسم ربك الذي خلق » يعني خلق نورك الأقدم قبل الأشياء «خلق الإنسان من علق
يعني خلقك من نطفة وشق منك علياً » اقرء وربك الأكرم الذي علم بالقلم » يعني
علم علي بن أبي طالب عليه السلام «علم الإنسان ما لم يعلم » يعني علم علياً من الكتابة لك
ما لم يعلم قبل ذلك .

قال علي بن إبراهيم في قوله : « اقرء باسم ربك » قال : اقرء باسم الله الرحمن
الرحيم « الذي خلق خلق الإنسان من علق » قال : من دم « اقرء وربك الأكرم الذي
علم بالقلم » قال : علم الإنسان الكتابة التي بها يتم أمور الدنيا في مشارق الأرض و
مغاربها ، ثم قال : « كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » قال : إن الإنسان إذا
استغنى يكفر ويطغى وينكر « إن إلى ربك الرجعى » قوله : « أرايت الذي ينهى عبداً
إذا صلى » قال : كان الوليد بن المغيرة ينهى الناس عن الصلاة وأن يطاع الله ورسوله فقال الله
تعالى : « أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى » قوله : « لنسفعا بالناصية » أي لناخذة بالناصية
فلقيه في النار .

قوله : « فليدع ناديه » قال : لما مات أبو طالب عليه السلام فنادى أبو جهل و الوليد
- عليهما لعائن الله - : هلم فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ناصره ،^(٢) فقال الله : « فليدع »

(١) تفسير القمي : ٧٢٥ و ٧٢٦ .

(٢) في المصدر : هلموا فاقتلوا محمداً فقد مات الذي كان ينصره .

ج ٩ ماورد عن المعصومين عليه السلام في تفسير آيات الباب وتأويلها - ٢٥٣ -

ناديه سندع الزبانية» قال : كما دعا إلى قتل رسول الله صلى الله عليه وآله نحن أيضاً ندع الزبانية ثم قال : «كلاً لا تطعه واسجد واقترب» أي لم يطيعوه ^(١) لما دعاهم إليه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أجاره مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، ولم يجسر عليه أحد . ^(٢)
بيان : أي لم يطيعوه على هذا التأويل لعلّه خبر في صورة النهي ، أي قلنا بالخطاب العام : «لا تطعه» ولم نوفقهم لذلك .

١٥٩ - فس : «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب» يعني قريشاً والمشرّكين منفكين ^(٣) قال : هم في كفرهم «حتى تأتيهم البيّنة» .

وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : البيّنة : محمد صلى الله عليه وآله .
وقال علي بن إبراهيم في قوله : «وما تفرّق الذين اتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة» قال : لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن خالفوه وتفرّقوا بعده .
قوله : حنفاء أي طاهرين . قوله : «وذلك دين القيّمة» أي دين قيّم . قوله : «إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرّكين في نار جهنّم» قال : أنزل الله عليهم القرآن فارتدّوا وكفروا وعصوا أمير المؤمنين عليه السلام «أولئك هم شرّ البريّة» . قوله : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة» قال : نزلت في آل محمد عليه السلام . ^(٤)

١٦٠ - فس : «أرأيت الذي يكذب بالدين» قال : نزلت في أبي جهل وكفّار قريش «فذلك الذي يدعّ اليتيم» أي يدفعه ، يعني عن حقّه «ولا يحضّ على طعام المسكين» أي لا يرغب في إطعام المسكين . ^(٥)

١٦١ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير قال : سأل أبو شاذان أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : «قل يا أيّها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد» ولا أنا عابد

(١) في المصدر : لا يطيعون ، وفي طبعة : لا تطيعوه .

(٢) تفسير القمي : ٧٣١ و ٧٣٠ .

(٣) في المصدر المطبوع في سنة ١٣١٥ : «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرّكين» يعني قريشاً «منفكين» قال : هم في كفرهم .

(٤) تفسير القمي : ٧٣٢ .

(٥) تفسير القمي : ٧٤٠ .

ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد « فهل يتكلم الحكيم بمثل هذا القول ويكرّره مرّة بعد مرّة ؟ فلم يكن عند أبي جعفر الأ حول في ذلك جواباً ، فدخل المدينة فسأل أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك ، فقال : كان سبب نزولها وتكرارها أن قريشاً قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : تعبد إلهاً ^(١) سنة ونعبد إلهك سنة ، وتعبد إلهاً سنة ونعبد إلهك سنة ، فأجابهم الله بمثل ما قالوا ، فقال فيما قالوا : تعبد إلهاً سنة : « قل يا أيّها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » وفيما قالوا : ونعبد إلهك سنة : « ولا أنتم عابدون ما أعبد » وفيما قالوا : تعبد إلهاً سنة : « ولا أنا عابد ما عبدتم » وفيما قالوا : ونعبد إلهك سنة « ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » قال : فرجع أبو جعفر الأ حول إلى أبي شاعر فأخبره بذلك ، فقال أبو شاعر : هذا حملته الإبل من الحجاز . ^(٢)

أقول : سيأتي كثير من تفاسير تلك الآيات في الأبواب الآتية .

(١) في المصدر : آلهتنا ، وكذا فيما يأتي .

(٢) تفسير القمي : ٧٤١ .

﴿أبواب احتجاجات الرسول ﷺ﴾

﴿باب ١﴾

﴿ما احتج صلى الله عليه وآله به على المشركين والزنادقة وسائر﴾

﴿أهل الملل الباطلة﴾

١ - ٣ : قوله عز وجل : «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» قال الإمام عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : «وقالوا» يعني اليهود والنصارى . قالت اليهود : «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً» أي يهودياً ، وقوله : «أو نصارى» يعني وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : وقد قال غيرهم قالت الدهريّة : الأشياء لا بد لها وهي دائمة ، من خالفنا ضلّ مخطئ مضل ، وقالت الثنوية : النور والظلمة هما المدبران ، من خالفنا فقد ضلّ ؛ وقالت مشركو العرب : إن أوثاننا آلهة من خالفنا في هذا ضلّ ، فقال الله تعالى : «تلك أمانيتهم» التي يتمنونها «قل» لهم «هاتوا برهانكم» على مقالتم «إن كنتم صادقين» .

وقال الصادق عليه السلام - وقد ذكر عنده الجدل في الدين ، وأن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه - فقال الصادق عليه السلام : لم ينه عنه مطلقاً ، ولكنّه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله يقول : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن» ؟ وقوله تعالى : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» ؟ .

فالجدل بالتي هي أحسن قدقرنه العلماء بالدين ، والجدل بغير التي هي أحسن محرّم حرّمه الله على شيعتنا ، وكيف يحرم الله الجدل بجملة وهو يقول :

«وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» قال الله تعالى : « تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ؛ فجعل علم الصدق الإتيان بالبرهان ، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدل بالتي هي أحسن ؟ قيل : يا ابن رسول الله فما الجدل بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن ؟ .

قال : أمّا الجدل الذي بغير التي هي أحسن فإن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً فلا تردّه بحجة قد نصبها الله ، ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله ، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة ، لأنك لا تدري كيف المخلص منه ، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين ، أمّا المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف ما (من خـل) في يده حجة له على باطله ، وأمّا الضعفاء منكم فتعنى قلوبهم^(١) لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل .

و أمّا الجدل بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له ، فقال الله تعالى حاكياً عنه : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم » فقال الله تعالى في الرد عليه : « قل يا محمد يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم ؟ فقال الله : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » أفيعجز من ابتداء به لامن شيء أن يعيده بعد أن يبلى ؟ بل ابتدأه أصعب عندكم من إعادته ؛ ثم قال : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » أي إذا كان قد كمن النار^(٢) الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فعرّفكم أنّه على إعادة من بلى أقدر ، ثم قال : « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » أي إذا كان خلق السموات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم

(١) في المصدر وكذا في الاحتجاج : إذا تعاطى مجادلته وضعف ما في يده حجة له على باطلهم وأمّا الضعفاء فتعنى قلوبهم .

(٢) كمن الشيء : أخفاه .

ج ٩ باب ما احتج الرسول ﷺ على المشركين و الزنادقة - ٢٥٧ -

وقدركم (وقدرتكم خل) أن يقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جؤزتم من الله خلق الأعجب عندكم و الأصعب لديكم و لم تجؤزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي ؟ .

قال الصادق عليه السلام : فهذا الجدل بالتي هي أحسن ، لأن فيها قطع عذر الكافرين و إزالة شبههم ؛ وأما الجدل بغير التي هي أحسن فإن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرق بينه و بين باطل من تجادله ، و إنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق ، فهذا هو المحرم لأنك مثله ، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر .

وقال أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام : فقام إليه رجل آخر فقال : يا بن رسول الله أفجادل رسول الله ؟ فقال الصادق عليه السلام : مهما ظننت برسول الله ﷺ من شيء فلا تظنن به مخالفة الله ، أليس الله قد قال : « وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » لمن ضرب لله مثلاً ، أفظن أن رسول الله ﷺ خالف ما أمره الله به ، فلم يجادل ما أمر الله به ، ولم يخبر عن الله بما أمره أن يخبر به ؟ ولقد حدثني أبي الباقر ، عن جدي علي بن الحسين زين العابدين ، عن أبيه الحسين سيد الشهداء ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه اجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ أهل خمسة أديان : اليهود ، و النصارى ، و الدهرية ، و الثنوية ، و مشركو العرب ، فقالت اليهود : نحن نقول : عزيز ابن الله ، وقد جئناك يا محمد لننظر ما تقول ، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل ، و إن خالفنا خصمناك .

وقالت النصارى : نحن نقول : المسيح ابن الله اتحد به ، و قد جئناك لننظر ما تقول ، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل ، و إن خالفنا خصمناك .

وقالت الدهرية : نحن نقول : الأشياء لا بدء لها وهي دائمة ، وقد جئناك لننظر ما تقول ، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل ، و إن خالفنا خصمناك .

وقالت الثنوية : نحن نقول : إن النور و الظلمة هما المدبران ، و قد جئناك لننظر ما تقول ، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل ، و إن خالفنا خصمناك .

وقالت مشركو العرب : نحن نقول : إنَّ أوثاننا آلهة وقد جئناك لننظر ما تقول ، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل ، وإن خالفنا خصمناك .

فقال رسول الله ﷺ : آمنت بالله وحده لا شريك له ، وكفرت بالعبث وبكلِّ معبود سواه ؛ ثمَّ قال لهم : إنَّ الله تعالى قد بعثني كافَّةً للنَّاس بشيراً ونذيراً حجَّة على العالمين ، وسيردَّ كيد من يكيد دينه في نحره ؛ ثمَّ قال لليهود : أجستموني لأقبل قولكم بغير حجَّة ؟ قالوا : لا ، قال : فما الَّذي دعاكم إلى القول بأنَّ عزيراً ابن الله ؟ قالوا : لأنَّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ، ولم يفعل بها هذا إلَّا لأنَّه ابنه .

فقال رسول الله ﷺ : فكيف صار عزيرُ ابن الله دون موسى وهو الَّذي جاءهم بالتوراة ورثي منه من المعجزات ما قد علمتم ؟ فإن كان عزيرُ ابن الله لما أظهر من الكرامة بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوَّة أحقَّ وأولى ، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب أنَّه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجلُّ من البنوَّة ، وإن كنتم إنما تريدون ^(١) بالبنوَّة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطي آبائهم لهنَّ فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه ، وأوجبتم فيه صفات المحدثين ، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً ، وأن يكون له خالقٌ صنعه وابتدعه ، قالوا : لسنا نعني هذا ، فإنَّ هذا كفر كما ذكرت ، ولكننا نعني أنَّه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة ، كما يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانتة بالمنزلة ^(٢) عن غيره : يا بنيَّ ، وإنَّه ابني ؛ لأعلى إثبات ولادته منه ، لأنَّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيٌّ لانسب بينه وبينه ، وكذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذ ابناً على الكرامة لأعلى الولادة ؛ فقال رسول الله ﷺ : فهذا ما قلته لكم : إنَّه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير ابنه فإنَّ هذه المنزلة لموسى أولى ، وإنَّ الله يفضح كلَّ مبطل بإقراره ويقلب عليه حجَّته .

(١) في المصدر ، لانكم إن كنتم إنما تريدون اهـ .

(٢) في نسخة : بمنزلته .

وأما ما احتججتم به ^(١) يؤدّ يكم إلى ما هو أكبر مما ذكرته لكم ، لأنكم قلتم : إن عظيمًا من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه : يا بني ، وهذا ابني ، لأعلى طريق الولادة ، فقد تجدون أيضاً هذا العظيم يقول لأجنبي آخر : هذا أخي ، ولا آخر : هذا شيعي وأبي ، ^(٢) ولا آخر : هذا سيدي وباسيدي على سبيل الإكرام ، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول ، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيئاً له أو أباً أو سيّداً لأنه قد زاده في الإكرام ممّا لعزير ، كما أن من زاد رجلاً في الإكرام قال له : ياسيدي وباشيعي وباعمّي وبأرئيسي على طريق الإكرام ، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول ، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله ، أو شيئاً ، أو عمّاً أو رئيساً ، أو سيّداً ، أو أميراً ؟ لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له : باشيعي أو ياسيدي ، أو بعامّي ، أو يا أميري ، أو يا رئيسي ؛ قال : فبهت القوم و تحيروا و قالوا : ياخذ أجملنا ^(٣) نتفكر فيما قلته لنا ، فقال : انظروا فيه بقلوب معتقدة للإصناف يهدكم الله .

ثم أقبل ﷺ على النصاري فقال : وأنتم قلتم : إن القديم عز وجل اتّحد بالمسيح ابنه ، فما الذي أردتموه بهذا القول ؟ أردتم أن القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى ؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديماً لوجود القديم الذي هو الله ؟ أو معنى قولكم : إنه اتّحد به أنه اختصّه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه ؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثاً فقد أبطلتم ، لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً فقد أحلتكم ، لأن المحدث أيضاً محال أن يصير قديماً ، وإن أردتم أنه اتّحد به بأن اختصّه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتّحد به من أجله ، لأنه إذا كان عيسى محدثاً و كان الله اتّحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى و ذلك المعنى محدثين ، وهذا

(١) في نسخة وفي الاحتجاج : وإن ما احتججتم به .

(٢) في المصدر : ولا هذا أبي .

(٣) في النسخة المقررة على المصنف : خلنا .

خلاف ما بدأتم تقولونه ، قال : فقالت النصارى : يا محمد إن الله تعالى لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتّخذها ولداً على جهة الكرامة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : قد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه ، ثم أعاد عليه ذلك كله ، فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم قال له : يا محمد أو لستم تقولون : إن إبراهيم خليل الله ؟ قال : قد قلنا ذلك ، فقال إذا قلتم ذلك فلم منعمتموئامن أن نقول : إن عيسى ابن الله ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : إنهما لم يشتبها ، لأن قولنا : إن إبراهيم خليل الله فإيهما هو مشتق من الخَلَّة أو الخَلَّة ، فأما الخَلَّة فإيهما معناها الفقر والفاقة ، وقد كان خليلاً إلى ربه فقيراً ، وإليه منقطعاً ، وعن غيره متعقفاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لمّا أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام وقال له : أدرك عبدي ، فجاءه فلقاه في الهواء فقال : كلّفني ما بادلَكَ فقد بعثني الله لنصرتك ، فقال : بل حسبي الله ونعم الوكيل ، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه ؛ فسمّاه خليله أي فقيره ومحتاجه والمنقطع إليه عمن سواه . وإذا جعل معنى ذلك من الخَلَّة (الخلل خل) وهو أنّه قد تدخل معانيه ^(١) و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به وبأمره ، ولا يوجب ذلك تشبيهه الله بخلقه ، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله ؟ وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ؟ وأن من يلد الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده ؟ لأن معنى الولادة قائم ؛ ثم إن وجب لأنّه قال : إبراهيم خليلي أن تقيسوا ^(٢) أنتم فتقولوا : إن عيسى ابنه وجب أيضاً أن تقولوا له و موسى : إنّه ابنه ، فإنّ الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى ، فقولوا : إن موسى أيضاً ابنه ، وإنّه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى : إنّه شيخه وسيّده وعمّه ورئيسه وأمره كما ذكرته لليهود . فقال بعضهم لبعض : و في الكتب المنزلة أن عيسى قال : أذهب إلى أبي ، فقال رسول الله ﷺ : فإن كنتم بذلك الكتب تعملون ^(٣) فإن فيه : أذهب إلى أبي وأبيكم ، فقولوا : إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما

(١) في المصدر : وهو انه قد تدخل به معانيه .

(٢) في نسخة : ثم ان من اوجب أن يقول على قول ابراهيم خليله أن تقيسوا هـ .

(٣) في نسخة : تعملون .

كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه ، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان ابنه ، لأنكم قلتم : إنما قلنا : إنه ابنه لأنه اختصه بما لم يختص به غيره ، وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى : أذهب إلى أبي وأبيكم ، فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى ، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى وأنتم إنما حكيتكم لفظة عيسى وتأولتموها على غير وجهها ، لأنه إذا قال : أبي وأبيكم فقد أراد غير ما ذهبتم إليه ونحلتموه ،^(١) وما يدريك لعله عنى : أذهب إلى آدم أو إلى نوح إن الله يرفعني إليهم ويجمعني معهم ، وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح ، بل ما أراد غير هذا ؛ فسكت النصارى و قالوا : ما رأينا كاليوم مجادلاً ولا خصماً وسننظر في أمورنا .

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الدهرية فقال : وأنتم فما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بد لها وهي دائمة لم تنزل ولا تنال ؟ فقالوا : لا نأ لانحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء عدناً^(٢) فحكمنا بأنها لم تنزل ، ولم نجد لها انقضاء وفناء فحكمنا بأنها لا تنال ، فقال رسول الله ﷺ : أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاءً أبداً بد ؟^(٣) فإن قلتم : إنكم وجدتم ذلك أثبتتم^(٤) لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم^(٥) وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك ، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون الذين يشاهدونكم ، قالوا : بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاءً أبداً بد ،^(٦) قال رسول الله ﷺ : فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً ؟ لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى من تارك التمييز لها مثلكم ، فيحكم لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع ، لأنه لم يشاهد لها

(١) في هامش المصدر : تأولتموه (خل) .

(٢) في نسخة : وفي الاحتجاج حدثنا .

(٣) في المصدر : أبداً لا باد .

(٤) في نسخة : وفي الاحتجاج : أنهضتم لأنفسكم .

(٥) في نسخة : لم تزالوا على ذهنكم وعقولكم .

(٦) في المصدر : أبداً لا باد .

قدماً ولا بقاءً أبداً أبداً (١) أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر ؟ فقالوا : نعم ، فقال : أفتر ونهما لم يزالا ولا يزالان ؟ فقالوا : نعم ، قال : أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار ؟ فقالوا : لا ، فقال ﷺ : فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده (٢) فقالوا : كذلك هو ، فقال : قد حكمتهم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار ولم تشاهدوهما فلا تنكروا لله قدرة (قدرته خل) ثم قال ﷺ : أتقولون ما قبلكم (٣) من الليل والنهار متناه أم غير متناه ؟ فإن قلت : غير متناه فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله ، وإن قلت : إنه متناه فقد كان ولا شيء منهما (٤) قالوا : نعم ، قال لهم : أقلت : إن العالم قديم غير محدث وأنتم عارفون بمعنى ما أقرتكم به وبمعنى ما جحدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال رسول الله ﷺ : فهذا الذي نشاهده من الأشياء بعضها إلى بعض مفتقر ، لأنه لا قوام للبعث إلا بما يتصل به ، كما ترى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم ، وكذلك سائر ما ترى (٥) قال : فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه (٦) هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون ؟ وماذا كانت تكون صفته ؟ قال : فصمتوا وعلموا (٧) أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم ، فوجعوا (٨) وقالوا : سننظر في أمرنا .

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الثنوية الذين قالوا : النور والظلمة هما المدبران

(١) في المصدر : أبداً لا باد .

(٢) في المصدر : ويكون الثاني حادثاً بعده .

(٣) في هامش المصدر : ما تقدم (خل) .

(٤) في المصدر : فقد كان حادثاً ولا شيء منها بقديم .

(٥) > > : وكذلك سائر ما ترون .

(٦) > > : لقوامه وتمامه .

(٧) في نسخة وفي الاحتجاج : فبهتوا وعلموا ، وفي المصدر : فبهتوا (وتحيروا) وعلموا .

(٨) وجم : سكت وعجز عن التكلم من شدة الغيظ أو الخوف . عيس وجهه وأطرق لشدة الحزن .

وجم من الامر : أمسك عنه وهو كاره .

ج ٩ باب ما احتج الرسول ﷺ على المشركين والزنادقة - ٢٦٣ -

فقال : وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلموه من هذا ؟ فقالوا : لأننا قد وجدنا العالم صنفين : خيراً وشرّاً ، ووجدنا الخير ضدّاً للشرّ ، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده^(١) . بل لكل واحد منهما فاعل ، ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد ، فأثبتنا لذلك صانعين قديمين : ظلمة ونوراً ، فقال لهم رسول الله ﷺ : أفلمستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحرة وصفرة وخضرة وزرقة ؟ وكل واحد ضدّ لسائرهما لاستحالة اجتماع اثنين منها في محل واحد ، كما كان الحرّ والبرد ضدّين لاستحالة اجتماعهما في محل واحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فهلاً أثبتتم بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كل ضدّ من هذه الألوان غير فاعل الضدّ الآخر ؟ قال : فسكتوا .

ثم قال : وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذا من طبعه النزول ؟ أرايتم لو أن رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا مادام سائرين على وجوههما ؟ قالوا : لا ، فقال : وجب أن لا يختلط النور والظلمة ، لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الآخر ، فكيف حدث هذا العالم من امتزاج مامحال أن يمتزج ؟ بل هما مدبران جميعاً مخلوقان ، فقالوا : سننظر في أمورنا .

ثم أقبل على مشركي العرب وقال : وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله ؟ فقالوا : نتقرّب بذلك إلى الله تعالى ، فقال : أو هي سامعة مطيعة لربّها ، عابدة له ، حتّى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله ؟ فقالوا : لا ، قال : فأنتم الذين نحتتموها^(٢) بأيديكم فلا أن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم ، قال : فلمّا قال رسول الله ﷺ هذا اختلفوا فقال بعضهم : إن الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصور فسوّرنا هذه الصور^(٣) نعظّمها لتعظيمنا تلك الصور التي حلّ فيها ربّنا .

(١) في هامش المصدر : فأنكرنا أن يكون فاعل الشيء وضده واحداً (خل) .

(٢) هكذا في النسخ وفي المصدر : فأنتم الذين تنحتونها .

(٣) في المصدر : كانوا على هذه الصور التي صورناها فسوّرنا هذه نعظّمها .

وقال آخرون منهم : إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا ، فمشلنا صورهم وعبدناها تعظيماً لله .

وقال آخرون منهم : إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كذبنا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة ، ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا له تقرأ بأ إلى الله تعالى كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله تعالى ، وكما امرتم بالسجود بزمكم إلى جهة مكة (كعبة خ) ففعلتم ، ثم نصبت في ذلك البلد بأيديكم محارب سجدتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاربكم ، وقصدكم بالكعبة إلى الله عز وجل لا إليها .

فقال رسول الله ﷺ : أخطأتم الطريق وضللتهم ، أما أنتم - وهو يخاطب الذين قالوا : إن الله يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صورناها ، فصورنا هذه نعظمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا - فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات ، أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء ؟ فأي فرق بينه إذا وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولبينه وخشونته وثقله وخفته ؟ ولم صار هذا المحلول فيه ^(١) محدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً ؟ وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال وهو عز وجل كما لم يزل ؟ ^(٢) وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال ، ^(٣) أما ما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء ، ^(٤) لأن ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه ، وجميع ذلك يغير الذات ، فإن كان لم يتغير ^(٥) ذات الباري عز وجل بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير ^(٦) بأن يتحرك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر و

(١) في هامش المصدر : هذا الحال فيه محدث (خ ل) .

(٢) في المصدر : وهو عز وجل لا يزال كما لم يزل .

(٣) في المصدر : بالزوال والحدوث .

(٤) في نسخة : وما وصفتموه بالزوال والحدوث وصفتموه بالفناء . وفي الاحتجاج مثل ذلك إلا أن فيه : فصفوه بالفناء .

(٥) في المصدر : فان جاز أن يتغير .

(٦) في المصدر : جاز أن يتغير .

ج ٩ باب ما احتجُّ الرسول ﷺ على المشركين والزنادقة - ٢٦٥ -

يصفرُّ وتحلُّه الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتَّى يكون فيه جميع صفات المحدثين ، ويكون محدثاً - عزَّ الله تعالى عن ذلك - ثمَّ قال رسول الله ﷺ : فإذا بطل ما ظننتموه من أن الله يحلُّ في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم ، قال : فسكت القوم وقالوا : سننظر في أمورنا .

ثمَّ أقبل على الفريق الثاني فقال : أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصلَّيتم فوضعتهم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لربِّ العالمين ؟ أما علمتم أنَّ من حقَّ من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده ؟ أرايتم ملكاً أو عظيماً إذا سار يتموه بعبده في التعظيم والخشوع والخضوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير ؟ فقالوا : نعم ، قال : أفلا تعلمون أنَّكم من حيث تعظّمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزدرون على ربِّ العالمين ؟^(١) قال : فسكت القوم بعد أن قالوا : سننظر في أمورنا .

ثمَّ قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث : لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء ، وذلك لأننا عباد الله^(٢) مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا ، وننزع عما زجرنا ، ونعبده من حيث يريد منّا ، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ولم نتعدَّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا ولم يأذن لنا ، لأننا لاندري لعلّه أراد منّا الأوّل وهو يكره الثاني ، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه ، فلمّا أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا ثمَّ أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا ، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره ، والله عزَّ وجلَّ حيث أمرنا بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره ، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه ، لأنكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به ؛ ثمَّ قال لهم رسول الله ﷺ : أرايتم لو أذن لكم رجل في دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره ؟ أولكم أن تدخلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره ؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من

(١) أي تعيبون عليه وتضعون من حقه .

(٢) في نسخة وكذا في الاحتجاج : و ذلك أنا عباد الله .

عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك؟ فإن لم تأخذوه^(١) أخذتم آخر مثله قالوا: لا، لأنّه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأوّل، قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا يتقدّم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا: بل الله أولى بأن لا يتصرّف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم، ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم: سننظر في أمورنا وسكتوا.

وقال الصادق عليه السلام: فوالذي بعثه بالحق نبياً ما أنت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتّى أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كلّ فرقة خمسة، وقالوا: ما رأينا مثل حجّتك يا محمد، نشهد أنك رسول الله - عليه السلام -. وقال الصادق عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأنزل الله تعالى: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثمّ الذين كفروا برّبهم يعدلون» فكان في هذه الآية ردّاً على ثلاثة أصناف منهم، ممّا قال: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض» فكان ردّاً على الدهريّة الذين قالوا: الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، ثمّ قال: «وجعل الظلمات والنور» فكان ردّاً على الثنويّة الذين قالوا: إنّ النور والظلمة هما المدبّران، ثمّ قال: «ثمّ الذين كفروا برّبهم يعدلون» فكان ردّاً على مشركي العرب الذين قالوا: إنّ أوثاننا آلهة، ثمّ أنزل الله تعالى: «قل هو الله أحد» إلى آخرها، فكان ردّاً على من ادّعى من دون الله ضدّاً أو ندّاً.

قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: قولوا: «إياك نعبد» أي نعبد واحداً لا نقول كما قالت الدهريّة: إنّ الأشياء لا بدء لها وهي دائمة، ولا كما قالت الثنويّة الذين قالوا: إنّ النور والظلمة هما المدبّران، ولا كما قال مشركو العرب: إنّ أوثاننا آلهة، فلا نشرك بك شيئاً، ولاندّعي من دونك إلهاً^(٢) كما يقول هؤلاء الكفّار، ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى: إنّ لك ولداً، تعاليت عن ذلك. قال: فذلك قوله: «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» وقال غيرهم من هؤلاء

(١) في الاحتجاج هنا زيادة وهي: قالوا نعم. قال: فإن لم تأخذوه اهـ.

(٢) في المصدر والاحتجاج: ولا ندعو من دونك إلهاً.

ج ٩ باب ما احتجَّ الرسول ﷺ على المشركين والزنادقة - ٢٦٧ -

الكفار ما قالوا قال الله: يا محمد «تلك أمانيتهم» التي يتسنونها بلا حجة «قل هاتوا برهانكم» وحيثكم على دعواكم «إن كنتم صادقين» كما أتى محمد ببراهينه التي سمعتموها، ثم قال: «بلى من أسلم وجهه لله» يعني كما فعل هؤلاء الذين آمنوا برسول الله ﷺ لما سمعوا براهينه وحججه «وهو محسن» في عمله لله «فله أجره» ثوابه «عند ربه» يوم فصل القضاء «ولا خوف عليهم» حين يخاف الكافرون ما (مما خل) يشاهدونه من العذاب «ولا هم يحزنون» عند الموت لأن البشارة بالجنة تأتيهم عند ذلك. (١)

ج: باسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدل في الدين وأن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه. وساق الحديث إلى قوله: وقالوا: ما رأينا مثل حجبتك يا محمد نشهد أنك رسول الله. (٢)

بيان: قوله عليه السلام: (من الخلّة أو الخلّة) والأولى بالفتح وهي بمعنى الفقر والحاجة، والثانية بالضم وهي بمعنى غاية الصداقة والمحبة، اشتق من الخلل، لأن المحبة تخللت قلبه فصارت خلالة، أي في باطنه، وقد ذكر اللغويون أنه يحتمل كون الخليل مشتقاً من الخلّة بالفتح أو بالضم.

قوله عليه السلام: (قد حكمتكم بحدوث ما تقدّم من ليل ونهار) تدرّج عليه السلام في الاحتجاج فنزّلهم أولاً عن مرتبة الإنكار إلى مدرجة الشك بهذا الكلام، وحاصله أنكم كثيراً ما تحكمون بأشياء لم تروها كحكمكم هذا بعدم اجتماع الليل والنهار فيما سبق من الأزمان، فليس لكم أن تجعلوا عدم مشاهدتكم لشيء حجة للجزم بانكاره. (فلا تنكروا لله قدرة) أي فلا تنكروا أن الأشياء مقدورة لله تعالى وأن الله خالقها أولاً تنكروا قدرة الله على إحداثها من كتم العدم ومن غير مادة؛ ثم أخذ عليه السلام في إقامة البرهان على حدوثها وهو يحتمل وجهين:

الاول: أن يكون إلى آخر الكلام برهاناً واحداً، حاصله أنه لا يخلو من أن يكون الليل والنهار أي الزمان غير متناه من طرف الأزل منتهياً إلينا، أو متناهياً من

(١) تفسير العسكري: ٢١٨ - ٢٢٦.

(٢) بل ذكره بشمايه، راجع الاحتجاج: ٧ - ١٣.

طرف الأزل أيضاً ، فعلى الثاني فلا شيء لحدوثها لابد لها من صانع يتقدمها ضرورة فهذا معنى قوله : (فقد كان ولا شيء منهما) أي كان الصانع قبل وجود شيء منهما ؛ ثم أخذ عليه السلام في إبطال الشق الأول بأنكم إنمّا حكمتم بقدمها لئلا تحتاج إلى صانع ، والعقل السليم يحكم بأن القديم الذي لا يحتاج إلى صانع لابد أن يكون مبايناً في الصفات والحالات للحدث الذي يحتاج إلى الصانع ، مع أن ما حكمتم بقدمه لم يتميز عن الحادث في شيء من التغيرات والصفات والحالات ، أو المعنى أن ما يوجب الحكم في الحادث بكونه محتاجاً إلى الصانع من التركيب واعتوار الصفات المتضادة عليه وكونها في معرض الانحلال والزوال كلها موجودة فيما حكمتم بقدمه وعدم احتياجه إلى الصانع ، فيجب أن يكون هذا أيضاً حادثاً مصنوعاً .

الثاني : أن يكون قوله : (أتقولون) إلى قوله : (قال لهم أقلتم) برهاناً واحداً بأن يكون قوله : (فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لأوله) إبطالاً للشق الأول بالإحالة على الدلائل التي أقيمت على إبطال الأمور الغير المتناهية المترتبة ، بناءً على عدم اشتراط وجودها معاً في إجرائها كما زعمه أكثر المتكلمين ، ويكون بعد ذلك دليلاً واحداً كما مرّ سياقه ؛ ويمكن أن يقرّ بما قبله أيضاً برهاناً ثالثاً على إثبات الصانع بأن يكون المراد بقوله عليه السلام : (حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار) لبيان أن حكمهم بحدوث كل ليل ونهار يكفي لاحتياجها إلى الصانع ولا ينفعكم قدم طبيعة الزمان ، فإن كل ليل وكل نهار لحدوثه بشخصه يكفي لإثبات ذلك .

قوله عليه السلام : (وكيف اختلط هذا النور والظلمة) إشارة إلى ما ذكره المانوية من الثنوية وهو أن العالم مصنوع من كسب من أصليين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أبدیان لم يزلا ولا يزالان ، ثم اختلفوا في المزاج وسببه فقال بعضهم : كان ذلك بالخيوط والاتفاق ، وقال بعضهم وجوهاً ركيكة أخرى ، وقالوا : جميع أجزاء النور أبداً في الصعود والارتفاع ، وأجزاء الظلمة أبداً في النزول والتسفل ، فردّ النبي عليه السلام عليهم بأنكم إذا اعترفتم بأن النور يقتضي بطبعه الصعود والظلمة تقتضي بطبعها النزول ولا تعترفون بصانع يقسرها على الاجتماع والامتزاج فمن أين جاء امتزاجهما واختلاطهما

ج ٩ باب ما احتج الرسول ﷺ على المشركين والزنادقة - ٢٦٩ -

ليحصل هذا العالم ؟ وكيف يتأتى الخطب والاتفاق مع كون الطبعيتين قاسرتين لهما على الافتراق ؟ وتفصيل القول وبسط الكلام في أمثال ذلك يوجب الخروج عن موضوع الكتاب ، وإنما نكتفي بإشارات مقنعة لأولي الأبواب في كل باب .

٢ - م ، ج : بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال : قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام : هل كان رسول الله ﷺ يناظر اليهود والمشركون إذا عاتبوه ويحاجتهم ؟ قال : بلى مراراً كثيرة : منها ما حكى الله تعالى من قولهم : « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك ، إلى قوله : « رجلاً مسحوراً » وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » إلى قوله : « كتاباً نقرؤه » ثم قيل له في آخر ذلك : لو كنت نبياً كموسى لنزلت علينا الصاعقة ^(١) في مسألتنا إليك ، لأن مسألتنا أشد من مسألت قوم موسى .

قال : وذلك أن رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكة بفناء الكعبة إذا اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم : الوليد بن المغيرة المخزومي ، وأبو البختري بن هشام ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل السهمي ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهي ، فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمد ^(٢) وعظم خطبه ، فتعالوا : نبدء بتقريعه وتبكيته ^(٣) و توبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم ، فلعلهم أن ينزعه عما هو فيه ^(٤) من غيبه وباطله وتمرد طغيانه ، فإن انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر . قال أبو جهل : فمن الذي يلي كلامه ومجادلته ؟ ^(٥) قال عبد الله بن أبي أمية

(١) في الاحتجاج : لو كنت نبياً كموسى أنزلت علينا كسفاً من السماء ونزلت علينا الصاعقة .

(٢) استفحل الامر : تفاقم أى عظم ولم يجر على استواء .

(٣) التقريع والتبكيه : التعنيف .

(٤) في الاحتجاج : فلعلهم ينزع عما هو فيه .

(٥) في التفسير : فمن الذي يلي مكالمته ومجادلته .

المخزومي : أنا إلى ذلك ، أفما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفيئاً ؟ قال أبو جهل بلى فأتوه بأجمعهم ، فابتدأ عبدالله بن أبي أمية المخزومي فقال : يا تجهل لقد أدعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هفلاً ، زعمت أنك رسول رب العالمين ، وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله ؛ بشراً مثلنا ، تأكل كما نأكل ،^(١) وتمشي في الأسواق كما نمشي ، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير مال عظيم حال ،^(٢) له قصور ودور وفساطيط^(٣) وخيام وعبيد وخدام ، و رب العالمين فوق هؤلاء كلهم وهم عبيده ، ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك و نشاهده ، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنمّا يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا ما أنت يا تجهل إلا مسحوراً ولست بنبي .

فقال رسول الله ﷺ : هل بقي من كلامك شيء ؟ قال : بلى لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجل من فيما بيننا مالاً وأحسنه حالاً ، فهلاً نزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وانبعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم : إمّا الوليد بن المغيرة بمكة ، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ، فقال رسول الله ﷺ : هل بقي من كلامك شيء يا عبدالله ؟ فقال : بلى ، لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه فإنها ذات أحجار وعرة وجبال ، تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإنما إلى ذلك محتاجون ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا فتفجر الأنهار خلالها - خلال تلك النخيل والأعناب - تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، فإنك قلت لنا : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحب مكروم » فلعلنا نقول ذلك ، ثم قال : أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون ، أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا به فلعلنا نطغي ، فإنك قلت لنا : « كلاً إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » ثم قال : أو ترقى

(١) ذات في الاحتجاج : وتشرب كما تشرب .

(٢) في المصدرين : كثير المال عظيم الحال .

(٣) في التفسير : ودور وبساتين وفساطيط .

في السماء ، أي تصعد في السماء ، ولن تؤمن لرقيتك ، أي لصعودك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه : من الله العزيز الحكيم إلى عبدالله بن أبي أمية المخزومي و من معه بأن آمنوا بمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، فإنه رسولي فصدقوه في مقاله ، فإنه من عندي ، ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت هذا كله أومن بك أولاً ومن بك ، بل لورفعتنا إلى السماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا : إنما سكرت أبصارنا أو سحرتنا .

فقال رسول الله ﷺ : يا عبدالله أبقى شيء من كلامك ؟ فقال : يا محمد أو ليس فيما أوردته عليك كفاية و بلاغ ؟ ما بقي شيء ، فقل : ما بدالك و افسح عن نفسك إن كانت لك حجة ، وأتنا بما سألناك .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم أنت السامع لكل صوت ، والعالم بكل شيء ، تعلم ما قاله عبادك ، فأنزل الله عليه : يا محمد « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » إلى قوله : « رجالاً مسحوراً » ثم قال الله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً » ثم قال : يا محمد « تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار و يجعل لك قصوراً » و أنزل عليه : يا محمد « فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك » الآية ، و أنزل عليه : يا محمد « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر » إلى قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » فقال له رسول الله ﷺ : يا عبدالله أمّا ما ذكرت من أني آكل الطعام كما تأكلون ، وزعمت أنه لا يجوز لأجل هذه أن أكون لله رسولاً ؟ فأجبت بما أمر الله ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود ، وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلم وكيف ألا ترى أن الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً ، وأعز بعضاً وأذل بعضاً ، وأصح بعضاً وأسقم بعضاً ، وشر بعضاً ووضع بعضاً ، وكلهم ممن يأكل الطعام ؟ ثم ليس للفقراء أن يقولوا : لم أفقرتنا وأغنيهم ؟ ولا للوغاء أن يقولوا : لم وضعتنا وشرقتهم ، لا للزمنى والضعفاء أن يقولوا : لم أزمنا وأضعفنا وصحتهم ؟ ولا للأذلاء أن يقولوا : لم أذللتنا وأعزتهم ؟ ولا لقباح الصور أن يقولوا لم أقبحنا وجملتهم ؟ بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادّين ، وله في أحكامه منازعين وبه كافرين ، ولكان جوابه لهم : أنا

الملك الخافض الرافع المغني المفقير المعزّ المذلّ المصحّح المسقم ، وأنتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي والانقياد لحكمي ، فإن سلّمتم كنتم عباداً مؤمنين ، وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين ، ثم أنزل الله عليه : يا محمد « قل إنما أنا بشر مثلكم » يعني آكل الطعام « يوحى إليّ إنّما إلهكم إله واحد » يعني قل لهم : أنا في البشرية مثلكم ، ولكن ربّي خصّني بالنبوة دونكم ؟ كما يخصّ بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر ، فلا تنكروا أن يخصّني أيضاً بالنبوة .

ثم قال رسول الله ﷺ : وأما قولك : هذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام ، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فإنّهم عبيده ، فإنّ الله له التدبير والحكم ، لا يفعل على ظنّك وحسبانك ولا باقتراحك ، بل يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد وهو محمود ، يا عبد الله إنّما بعث الله نبيّه ليعلّم الناس دينهم ويدعوهم إلى ربّهم ، ويكفّ نفسه في ذلك آناً ليله ونهاره ، فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها وعبيد وخدام يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيّع والأمر تتباطأ ؟ أو ماترى الملوك إذا احتجبوا كيف يجري الفساد والقبايح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون ؟ يا عبد الله إنّما بعثني الله ولا مال لي ليعرّفكم قدرته وقوّته وأنّه هو الناصر لرسوله ، لا تقدرون على قتله ولا منعه من رسالته ، فهذا أبين في قدرته وفي عجزكم ، وسوف يظفرنّي الله بكم فأوسّعكم قتلاً وأسراً ، ثم يظفرنّي الله ببلاذكم ، ويستولي عليها المؤمنون من دونكم ودون من يوافقكم على دينكم .

ثم قال رسول الله ﷺ : وأما قولك : ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده ، بل لو أراد أن يبعث إلينا نبياً لكان إنّما يبعث لنا ملكاً لا بشراً مثلاً ، فالملك لا تشاهده حواسكم ، لأنّه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوَى أبصاركم لقلتم : ليس هذا ملكاً ، بل هذا بشر ، لأنّه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألّتموه لتفهموا عنه مقالاته وتعرفوا خطابه ومراده ، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك فإنّ ما يقوله حق ؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على

يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم ، فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنه معجزة ، وأن ذلك شهادة من الله بالصدق له ، ولو ظهر لكم ملك و ظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدل لكم أن ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً ، ألا ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها ، ولو أن آدمياً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً ، فالله عز وجل سهل عليكم الأمر ، وجعله بحيث يقوم عليكم حجتته ، وأنتم تقتربون علم الصعب ^(١) الذي لا حجة فيه .

ثم قال رسول الله ﷺ : وأما قولك : ما أنت إلا رجل مسحور فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أنني في صحة التمييز والعقل فوقكم ؟ فهل جرّبتم عليّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية أو ذلة أو كذبة أو جناية (خناء خل) أو خطأ من القول ، أو سفهاً من الرأي ؟ أنظنّون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته ؟ وذلك ما قال الله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضّلوا فلا يستطيعون سبيلاً » إلى أن يشبّهوا عليك عمى بحجة أكثر من دعاويهم الباطلة التي يبيّن عليك التحصيل بطلانها .

ثم قال رسول الله ﷺ : وأما قولك : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم : الوليد بن المغيرة بمكة ، أو عروة بالطائف ، فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ، ولا خطر له عنده كما له عندك ، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مثقالاً له شربة ماء ، وليس قسمة رحمة الله إليك ، بل الله هو القاسم للرحمات والفاعل لما يشاء في عبده وإمامه ، وليس هو عز وجل ممّن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله ، فعرفته (فتعرفه خل) بالنبوة لذلك ، ولا ممّن يطمع في أحد في ماله أو حاله كما تطمع فتخصّسه بالنبوة لذلك ، ولا ممّن يحب أحد أمحبّة الهوى كما تحب فيقدّم من لا يستحقّ التقدير ، وإتّما معاملته بالعدل فلا يؤثر لأفضل مراتب الدين وخلاله ^(٢) إلا الأفضل في طاعته والأجدّ في خدمته ، وكذا لا يؤخّر في مراتب

(١) في نسخة : عمل الصعب .

(٢) في الاحتجاج : فلا يؤثر إلا بالعدل لأفضل مراتب الدين و جلاله .

الدين وخالله^(١) إلا أشدّهم تباطئاً عن طاعته ، وإذا كان هذا صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال ، بل هذا المال والحال من تفضّله ، وليس لأحد من عباد الله عليه ضريبة لازمة ،^(٢) فلا يقال له : إذا تفضّلت بالمال على عبد فلا بدّ أن تفضل عليه بالنبوة أيضاً ، لأنّه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ، ولا إلزامه تفضّلاً ، لأنّه تفضّل قبله بنعمة ، ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحداً وقبّح صورته ؟ وكيف حسن صورة واحد وأفقره ؟ وكيف شرف واحداً وأفقره ؟ وكيف أغنى واحداً ووضع ؟ ثمّ ليس لهذا الغنيّ أن يقول : هلاًّ أضيف إلى يساري جمال فلان ؟ ولا للجميل أن يقول : هلاًّ أضيف إلى جمالي مال فلان ؟ ولا للشريف أن يقول : هلاًّ أضيف إلى شرفي مال فلان ؟ ولا للوضيع أن يقول : هلاًّ أضيف إلى ضعفي شرف فلان ؟ ولكنّ الحكم لله ، يقسم كيف يشاء ، ويفعل كما يشاء ، وهو حكيم في أفعاله ، محمود في أعماله ، و ذلك قوله : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » قال الله تعالى : « أ هم يقسمون رحمة ربك » يا غلّ « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » فأحوجنا بعضاً (بعضهم خل) إلى بعض : أحوج (أحوجنا خل) هذا إلى مال ذلك ، وأحوج (أحوجنا خل) ذلك إلى سلعة هذا وإلى خدمته ،^(٣) فترى أجلّ الملوك وأغنى الأغنياء محتاجاً إلى أفقر الفقراء في ضرب من الضروب : إمّا سلعة معه ليست معه ، وإمّا خدمة يصلح لها لا يتبيهاً لذلك الملك أن يستغني إلا به ، وإمّا باب من العلوم والحكم هو فقير إلى أن يستفيدا من هذا الفقير الذي يحتاج^(٤) إلى مال ذلك الملك الغنيّ وذلك الملك يحتاج إلى علم هذا الفقير أو رأيه أو معرفته ، ثمّ ليس للملك أن يقول : هلاًّ اجتمع إلى مالي علم هذا الفقير ؟ ولا للفقير أن يقول : هلاًّ اجتمع إلى رأبي وعلمي وما أتصرّف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغنيّ ؟

(١) في المصدر : «جلاله » وكذا فيما تقدم .

(٢) في الاحتجاج ونسخة من التفسير : ضريبة لأرب . قلت : الضريبة : الجزية . اللأرب :

الثابت .

(٣) في التفسير : وهذا إلى خدمته .

(٤) في المصدر هكذا : هو فقير إلى أن يستفيدا من هذا الفقير ، فهذا الفقير يحتاج اه .

ثم قال : «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ثم قال : يا محمد قل لهم : « ورحمة ربك خير مما يجمعون » أي ما يجمعه هؤلاء من أهوال الدنيا .
ثم قال رسول الله ﷺ : وأما قولك : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى آخر ما قلته ، فإنك اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوءته ، و رسول الله يرتفع ^(١) أن يغتنم جهل الجاهلين ، ويحتج عليهم بما لا حجة فيه .

و منها ما لو جاءك به كان معه هلاكك ، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها لئلا يهلكوا بها ، وإنما اقترحت هلاكك ورب العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم بما (كما خل) يقترحون .
و منها الماحل الذي لا يصح ولا يجوز كونه ، و رسول رب العالمين يعرف ذلك و يقطع معاذيرك و يضيق عليك سبيل مخالفته ، ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عند ذلك معيد ولا معيص . ^(٢)

و منها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد ، لا تقبل حجة ولا تصفي إلى برهان ، ومن كان كذلك فدواؤه عذاب الله ^(٣) النازل من سماه أوفي جحيمه أو بسيف أوليائه .

و أما قولك يا عبد الله : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه فإنها ذات حجارة وصخور وجبال ، تكسح أرضها وتحفرها ، وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون ، فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله ، يا عبد الله أرايت لو فعلت هذا كنت من أجل هذا نبياً ؟ قال : لا ، قال : أرايت الطائف التي لك فيها بساتين ؟ أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسعتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها ؟ قال : بلى ، قال : وهل لك فيها (في هذا خل) نظراء ؟ قال : بلى ، قال : أفصرت بذلك أنت وهم أنبياء ؟ قال : لا ، قال : فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد

(١) في التفسير : و رسول الله يرتفع شأنه عن أن يغتنم ما .

(٢) في المصدر : حتى لا يكون عنه معيد ولا معيص .

(٣) في نسخة : فجزاؤه عذاب الله .

لوفعله على نبوته، فما هو إلا كقولك : لن نؤمن لك حتى تقوم وتمشي على الأرض ، أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس .

و أما قولك يا عبدالله : أوتكون لك جنّة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا وتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو ليس لأصحابك ولك جنّات من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها ، وتفجّرون الأنهار خلالها تفجيراً ؟ أفصرتم أنبياء بهذا ؟ قال : لا ، قال : فما بال اقتراحكم ^(١) على رسول الله ﷺ أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه ، بل لو تعاطاها لدلّ تعاطيها على كذبه ، لأنّه حينئذٍ يحتاج بملاحجة فيه ، ويختمدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم ، ورسول ربّ العالمين يجعل ويرتفع عن هذا .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : يا عبدالله و أما قولك : أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً فيا نك قلت : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مرحوم » فإنّ في سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم ، فإنّما تريد بهذا من رسول الله ﷺ أن يهلكك ، ورسول ربّ العالمين أرحم بك من ذلك ، لا يهلكك ولكنّه يقيم عليك حجج الله ، وليس حجج الله لنبيّه على حسب اقتراح عباده لأنّ العباد جهّال بما يجوز من الصلاح وبما لا يجوز من (منهخل) الفساد ، وقد يختلف اقتراحهم ويتضادّ حتى يستحيل وقوعه ، والله لا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال . ثمّ قال رسول الله ﷺ : وهل رأيت يا عبدالله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحاتهم ؟ وإنّما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه ، أحبّه العليل أو كرهه ، فأنتم المرضى والله طبيبكم ، فإنّ أنفذتم لدوائه شفاكم ، وإنّ تمرّتم عليه أسقمكم ^(٢) ، وبعد فمتى رأيت يا عبدالله مدّعي حقّ من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنة على دعواه على حسب اقتراح المدّعي عليه ؟ إذا ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حقّ ، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

ثمّ قال : يا عبدالله و أما قولك : أوتأتي بالله والملائكة قبيلاً يقابلوننا ونعانيهم

(١) اقترح عليه كذا أو بكذا : تحكم وسأله آياه بالعنف ومن غير روية .

(٢) في التفسير ونسخة من الكتاب : وإنّ تمرّتم اشفاكم .

فإن هذا من المحال الذي لاخفاء به ، لأن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجيء و يذهب و يتحرك و يقابل شيئاً حتى يؤتى به ، فقد سألتموه بهذا المحال ، وإنما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد ، يا عبد الله أو ليس لك ضياع وجنات بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها ؟ قال : بلى ، قال : أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو سفراء بينك و بين معامليك ؟ قال بسفراء ، قال : أرايت لو قال معاملك وأكرتك وخدمك لسفرائك : لا نصدقكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي أمية لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاهاً كنت تسوونهم هذا ، أو كان يجوز لهم عندك ذلك ؟ قال : لا ، قال : فما الذي يجب على سفرائك ؟ أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقوهم ؟ قال : بلى ، قال : يا عبد الله أرايت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك و قال : قم معي فإنهم قد اقترحوا عليّ مجيئك معي أليس يكون لك مخالفاً ؟ وتقول له : إنما أنت رسول لا مشير وأمر ؟ قال : بلى ، قال : فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوؤ على أكرتك و معامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم ؟ وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستدّم على ربه ^(١) بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوؤ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوامك ؟ هذه حجة قاطعة لا بطل جميع ما ذكرته في كل ما اقترحته يا عبد الله .

و أمّا قولك يا عبد الله : أو يكون لك بيت من زخرف - وهو الذهب - أما بلغك أن لعظيم مصر ^(٢) بيوتاً من زخرف ؟ قال : بلى ، قال : أفصار بذلك نبياً ؟ قال : لا ، قال : فكذلك لا توجب لمحمد لو كانت له نبوة ^(٣) وتجد لا يغتنم جهلك بحجج الله .

و أمّا قولك يا عبد الله : أترقى في السماء ، ثم قلت : ولن نؤمن لرفيقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، يا عبد الله الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها ، وإذا

(١) في التفسير : أن يستدّم (يتقدم) إلى ربه .

(٢) في التفسير : لعزير (لعظيم) مصر .

(٣) في الاحتجاج : فكذلك لا يوجب لمحمد نبوة لو كان له بيوت .

اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ، ثم قلت : حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، ثم من بعد ذلك لا أدري أومن بك أولاً أو من بك ، فأنت يا عبد الله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك ، فلا دواء لك إلا تأديبه على يد أوليائه البشر ،^(١) أو ملائكته الزبانية ، وقد أنزل الله عليّ حكمة جامعة^(٢) لبطلان كل ما اقترحته ، فقال تعالى : « قل ، يا محمد : » سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولاً ، ما أبعد ربّي عن أن يفعل الأشياء على ما تقتضيه الجهال بما يجوز وبما لا يجوز « وهل كنت إلّا بشراً رسولاً ، لا يلزمني إلّا إقامة حجة الله التي أعطاني ، وليس لي أن آمر على ربّي ولا أنهي ولا أشير ، فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم من مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه .

فقال أبو جهل : يا محمد ههنا واحدة ، ألسنت زعمت أن قوم موسى احترقوا بالصاعقة لمّا سألوهم أن يريهم الله جهرة ؟ قال : بلى ، قال : فلو كنت نبياً لا احترقنا نحن أيضاً ، فقد سألنا أشدّ ممّا سأل قوم موسى ، لأنهم زعمت أنهم قالوا :^(٣) « أدنا الله جهرة » ونحن نقول (قلنا خل) : لن تؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً نعاينهم .

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جهل أما علمت قصة إبراهيم الخليل عليه السلام لما رفع في الملكوت ؟ وذلك قول ربّي : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » قوّى الله بصره لمّا رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا^(٤) ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما فأوحى الله إليهم : أن يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي ، فإنني أنا الغفور الرحيم الجبار^(٥) الحليم ، لا تنصّرني ذنوب عبادي وإمائي كما لا تنفعني طاعتهم ، ولست

(١) في التفسير : أوليائه من البشر .

(٢) في التفسير : حكمة (كلمة خل) جامعة . وفي الاحتجاج : حكمة بالغة جامعة .

(٣) كذا في النسخ .

(٤) في المصدر اثنان أيضاً : « ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا .

(٥) في التفسير : « الختان » بدل « جبار » .

أسوسهم بشفاء الغيط ^(١) كسياستك ، فاكفف دعوتك عن عبادي ، ^(٢) فإنما أنت عبد نذير ، لا شريك في المملكة ، ولا مهيمن عليّ ، ^(٣) و عبادي معي بين خلال ^(٤) ثلاث : إما تابوا إليّ فتبت عليهم و غفرت ذنوبهم و سترت عيوبهم ؛ و إما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريّات مؤمنون ، فأرفق بالآباء الكافرين ، و أتأني بالأممّات الكافرات و أرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم ، فإذا تزايلوا حقّ بهم ^(٥) عذابي و حاق بهم بلائي ؛ و إن لم يكن هذا ولا هذا فإنّ الذي أعدته لهم من عذابي أعظم ممّا تريد بهم ، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالتي و كبريائي ، يا إبراهيم فخلّ بيني وبين عبادي ، فإنّي أرحم بهم منك ، و خلّ بيني وبين عبادي فإنّي أنا الجبار الحليم العلام الحكيم ، أدبرهم بعلمي و أنفذ فيهم قضائي و قدري .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : إنّ الله يا أبا جهل إنّما دفع عنك العذاب لعلمه بأنّه سيخرج من صلبك ذريّة طيّبة : عكرمة ابنك ، و سيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله فيه كان عند الله جليلاً ، و إلّا فالعذاب نازل عليك ، و كذلك سائر قريش السامعين لمّا سألوا من هذا إنّما أمهلوا لأنّ الله علم أنّ بعضهم سيؤمن بمحمد و ينال به السعادة فهو لا يقطع عنه تلك السعادة ولا يخل بها عليه ، أو من يولد منه مؤمن فهو ينظر أباه ^(٦) لا يصل ابنه إلى السعادة ، و لولا ذلك لنزل العذاب بكافّتكهم ، فانظروا نحو السماء ، فنظر إلى أكنافها و إذا أبوابها مفتحة ، و إذا النيران نازلة منها مسامة ^(٧) لرؤوس القوم تدنومهم حتّى وجدوا حرّها بين أكتافهم ، فارتعدت فرائص أبي جهل و الجماعة

(١) أي ادبرهم و اتولى امرهم بما يشفى غيطي .

(٢) في المصدر : عن عبادي و إمامي .

(٣) أي ولا الرقيب على و على عبادي ولا القائم على عبادي بأعمالهم و أوزانهم و آجالهم .

(٤) الخلال : الخصال .

(٥) في المصدر : حل بهم عذابي . قلت : تزايلوا أي تفرقوا و خرجوا من أصلابهم . حاق

بهم : أحاط بهم .

(٦) أي يمهله .

(٧) أي مقابلة و موازنة لرؤوسهم .

فقال رسول الله ﷺ : ولا تروعنكم فإن الله لا يهلككم بها ، وإنما أظهرها عبرة لكم ثم نظروا وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابليتها ورفعتها ودفعها حتى أعادتها في السماء كما جاءت منها ، فقال رسول الله ﷺ : بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد ، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج عن بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون .^(١)

فوضيح : استفحل الأمر : تفاقم وعظم . قوله : (تكسح أرضها) أي تكنسها عن تلك الأحجار . قوله : (فلعلنا نقول ذلك) لعل الأظهر : فلعلنا لا نقول ذلك ،^(٢) ويحتمل أن يكون المعنى : افعل ذلك لعلنا نقول ذلك ، فيكون مصداقاً لقولك وحجة لك علينا . وكذا الكلام في قوله : فلعلنا نطغي . والضريبة : ما يؤدي العبد إلى سيئته من الخراج المقدر عليه . ويقال : استندم الرجل إلى الناس أي أتى بما يذم عليه .

٣ - ما : المفيد قال : أخبرني أبو محمد عبد الله بن أبي شيخ إجازة قال : حدثنا أبو محمد بن أحمد الحكيمي قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله أبو سعيد البصري قال : حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه قال : حدثنا محمد بن إسحاق بن بشير المدني^(٣) قال : حدثني سعيد بن مينا ، عن غير واحد من أصحابه أن نقرأ من قریش اعترضوا الرسول صلى الله عليه وآله منهم : عتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن سعيد فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ،^(٤) فذشرك نحن وأنت في الأمر ، فإن يكن الذي نحن عليه الحق فقد أخذت بحظك منه ، وإن يكن الذي أنت عليه الحق فقد أخذنا بحظنا منه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد» إلى آخر السورة

(١) تفسير العسكري : ٢٠٣ - ٢١٢ . الاحتجاج : ١٣ - ١٨ .

(٢) بل الاظهر الاول لانه طلب بذلك العذاب .

(٣) هكذا في النسخ والصحيح كما في المصدر وأمالى المفيد : محمد بن إسحاق بن يسار المدني وهو أبو بكر المدني امام المناوي نزيل العراق المترجم في رجال الشيخ ورجال العامة ، المتوفى سنة ١٥٠ ويقال بعدها . والحديث يوجد أيضاً في أمالي المفيد : ١٤٥ .

(٤) في المصدر : هلم فلنعبد ما نعبد فنعبد ما نعبد . وفي أمالي المفيد مثل ما في المتن .

ثم مشى أبي بن خلف بعظم رميم ففتنه^(١) في يده ثم نفخه وقال : أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ماترى ؟ فأنزل الله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ✽ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » إلى آخر السورة .^(٢)

٤ - يج : روي أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : إنني أريد أن أسألك عن أشياء فلا تغضب ، قال : سل عما بدا لك فإن كان عندي أجبتك وإلا سألت جبرئيل ، فقال : أخبرنا عن الصليعاء ، وعن القريعاء ، وعن أول دم وقع على وجه الأرض ، وعن خير بقاع الأرض ، وعن شرها ؛ فقال : يا أعرابي هذا ما سمعت به ولكن يأتيني جبرئيل فأسأله ، فهبط فقال : هذه أسماء ما سمعت بها قط ، فخرج إلى السماء ثم هبط فقال : أخبر الأعرابي أن الصليعاء هي المسباح التي يزرعها أهلها فلا تنبت شيئاً ، و أما القريعاء فالأرض التي يزرعها أهلها فتنبت ههنا طاقة وههنا طاقة فلا يرجع إلى أهلها نفقاتهم ، وخير بقاع الأرض المساجد ، و شرها الأسواق وهي ميادين إبليس إليها يغدو ، وأن أول دم وقع على الأرض مشيمة حواء حين ولدت قاييل بن آدم .

بيان : قال الجزري : في حديث علي عليه السلام : (إن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الصليعاء والقريعاء) الصليعاء تصغير الصلعاء : الأرض التي لا تنبت ، والقريعاء : أرض لعنها الله ، إذا أنبت أوزرع فيها نبت في حافيتها ولم ينبت في ممتنها شيء .

٥ - م : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور » قال الإمام : ملأ بهمهم^(٣) رسول الله ﷺ بآياته ، وقد رد معاذيرهم بمعجزاته^(٤) أبي بعضهم الإيمان ، واقترح عليه الاقتراحات الباطلة وهي ما قال الله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون

(١) فت الشئ : كسره بالاصابع كسراً صغيراً .

(٢) أمالي ابن الشيخ : ١٢ .

(٣) أي غلبهم .

(٤) في المصدر : وقطع معاذيرهم بمعجزاته .

لك الجنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * وسائر ما ذكر في الآية ، فقال الله تعالى : يا محمد «هل ينظرون» أي هل ينظر هؤلاء المكذبون بعد إيضاحنا لهم الآيات و قطعنا معاذيرهم بالمعجزات «إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» ويأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا ^(١) عليك اقترحهم المحال في الدنيا في إتيان الله الذي لا يجوز عليه ، وإتيان الملائكة ^(٢) الذين لا يأتون إلا مع زوال هذا التعبد ، وحين وقوع هلاك الظالمين بظلمهم ، وهذا وقت التعبد ^(٣) لا وقت مجيء الأملاك بالهلاك ، فهم في اقترحهم لمجيء الأملاك جاهلون وقضي الأمر «أي هل ينظرون إلا مجيء الملائكة ، فإذا جاؤوا وكان ذلك قضي الأمر بهلاكهم» وإلى الله ترجع الأمور فهو يتولى الحكم فيما يحكم بالعقاب على من عصاه ويوجب كريم المآب لمن أرضاه .

قال علي بن الحسين عليه السلام : طلب هؤلاء الكفار الآيات ولم يقنعوا بما أتاهم به منها بما فيه الكفاية والبلاغ حتى قيل لهم : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله» أي إذا لم يقنعوا بالحجة الواضحة الدافعة فهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ، وذلك محال ، لأن إتيان الله على الله لا يجوز ^(٤) .

٦ - كنز الكراجمي : جاء في الحديث أن قوماً أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له : ألسنت رسول الله ؟ قال : لهم بلى ، قالوا له : وهذا القرآن الذي أتيت به كلام الله ؟ قال : نعم ، قالوا : فأخبرني عن قوله : «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون» إذا كان معبودهم معهم في النار فقد عبدوا المسيح ، أفنقول : إنه في النار ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : إن الله سبحانه أنزل القرآن عليّ بكلام العرب والمتعارف في لغتها أن (ها) لما لا يعقل و(من) لمن يعقل ، و (الذي) يصلح لهما

(١) في المصدر : فيما كانوا اقترحوا عليك .

(٢) > > : لا يجوز عليه الإتيان والباطل في إتيان الملائكة هـ .

(٣) > > : وقتك هذا وقت التمدد .

(٤) تفسير العسكري : ٢٦٥ .

(٥) هذا الرواية في موجوده في بعض النسخ

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٢٨٣ -

جميعاً ، فإن كنتم من العرب فأنتم تعلمون هذا ، قال الله تعالى : «إنكم وما تعبدون» يريد الأصنام التي عبدوها وهي لا تعقل ، والمسيح ﷺ لا يدخل في حملتها ، فإنه يعقل ، ولو كان قال : «إنكم ومن تعبدون» لدخل المسيح في الجملة ، فقال القوم : صدقت يا رسول الله . (١)

﴿باب ٢﴾

﴿احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على اليهود في مسائل شتى﴾

١ - ٤ ، ج : بالإسناد إلى أبي محمد العسكري ﷺ قال : قال جابر بن عبد الله الأنصاري : سألت رسول الله ﷺ عبد الله بن سوريا - غلام أعور يهودي تزعم اليهود أنه أعلم يهودي بكتاب الله وعلوم أنبيائه - عن مسائل كثيرة (٢) يعنته فيها ، فأجابه عنها رسول الله ﷺ بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلاً ، فقال له يا محمد : من يأتيك بهذه الأخبار عن الله تعالى ؟ قال : جبرئيل ، قال : لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك ، ولكن جبرئيل عدو لنا من بين الملائكة ، ولو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك بها لآمنت بك ، فقال رسول الله ﷺ : ولم آتخذتم جبرئيل عدواً ؟ قال : لأنه نزل بالبلاء والشدة على بني إسرائيل ، ودفع دانيال عن قتل بخت نصر (٣) حتى قوي أمره ، وأهلك بني إسرائيل ، وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل ، وميكائيل يأتيان بالرحمة .

(١) كنز الكراچكي : ص ٢٨٥ .

(٢) تجد بعض مسائله في الخبر الآتي .

(٣) قال الفيروز آبادي أصل بخت بوخت ومعناه : ابن ؛ ونصرت كبقتم : صنم ، وكان وجد عند المصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه . انتهى . قلت : هو بخت نصر ابنوكد نصر ملك الكلدانيين تولى سنة ٦٠٧ قبل المسيح ومات سنة ٥٥١ أغار بجملاته على مصر وفتح اورشليم ونهبها وأحرق أمتعتها في ٥٨٨ وأجلى أهل يهوذا إلى بابل ، وبأتى الإيعاز إلى وقامه إجمالا في محله .

فقال رسول الله ﷺ : ويحك أجهلت أمر الله ؟ وما ذنب جبرئيل إن أطاع الله فيما يريد به بكم ؟ أرايتم ملك الموت أهو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق الذي أنتم منه ؟ أرايتم الآباء والأُمّهات إذا أوجروا الأولاد الأُدوية ^(١) الكريهة لمصلحتهم أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك ؟ لا ، ولكنكم بالله جاهلون وعن حكمتهم غافلون ، أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان ، وله مطيعان ، وأنه لا يعادي أحدهما إلا من عادى الآخر ، وأنه من زعم أنه يحب أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب ، وكذلك محمد رسول الله وعليّ أخوان ، كما أن جبرئيل وميكائيل أخوان ، فمن أحبهما فهو من أولياء الله ، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله ، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يحب الآخر فقد كذب ، وهما منه بريئان ، وكذلك من أبغض واحداً مني ومن عليّ ثم زعم أنه يحب الآخر فقد كذب ، وكلانا منه بريئان والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه برآء ^(٢) .

٢ - م : قوله عز وجل : « قل من كان عدوًّا لجبرئيل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصداقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » من كان عدوًّا لله وملائكته ورسوله وجبرئيل وميكائيل فإن الله عدوٌّ للكافرين قال الإمام عليّ عليه السلام : قال الحسين ^(٣) ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام : إن الله تعالى ذم اليهود في بغضهم لجبرئيل الذي كان ينفذ قضاء الله فيهم بما يكرهون ، وذمهم أيضاً وذم النواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل عليهما السلام وملائكة الله النازلين لتأييد عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الكافرين حتى أذلهم بسيفه الصارم ، فقال : « قل » يا محمد « من كان عدوًّا لجبرئيل » من اليهود لرفعه من بخت نصر أن يقتله دانيال من غير ذنب كان جنّاه بخت نصر حتى بلغ كتاب الله في اليهود أجله وحلّ بهم ما جرى في سابق علمه ، ومن كان أيضاً عدوًّا لجبرئيل من سائر الكافرين ومن أعداء محمد وعليّ الناصيين لأن الله تعالى بعث جبرئيل لعليّ عليه السلام مؤيداً

(١) أى جعلوا الدواء في فيه .

(٢) تفسير العسكري : ص ١٦٤ ، الاحتجاج : ص ٢٣ .

(٣) في المصدر : الحسن بن عليّ .

وله على أعدائه ناصراً ، ومن كان عدواً لجبرئيل لما ظهرته محمداً وعلياً عليهما الصلاة والسلام ومعاونته لهما وإنفاذه لقضاء ربه نزلاً وجل في إهلاك أعدائه على يد من يشاء من عباده «فأنته» يعني جبرئيل «نزله» يعني نزل هذا القرآن «على قلبك» يا محمد «بإذن الله» بأمر الله ، وهو كقوله : «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين» «مصدقاً لما بين يديه» نزل هذا القرآن جبرئيل على قلبك يا محمد مصدقاً موافقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وكتب شيث وغيرهم من الأنبياء . (١)

ثم قال : «من كان عدواً لله لا نعامه على محمد وعلي وآلهما الطيبين ، وهؤلاء الذين بلغ من جهلهم أن قالوا : نحن نبغض الله الذي أكرم محمد وعلياً بما يدعيان و جبرئيل ، ومن كان عدواً لجبرئيل لأن الله جعله ظهيراً لمحمد وعلي عليهما الصلاة والسلام على أعداء الله وظهيراً لسائر الأنبياء والمرسلين كذلك «وملائكته» يعني ومن كان عدواً لملائكة الله المبعوثين لنصرة دين الله وتأييد أولياء الله ، وذلك قول بعض النصاب والمعاذين : برئت من جبرئيل الناصر لعلي ﷺ وهو قوله : «ورسله» ومن كان عدواً لرسول الله موسى وعيسى وسائر الأنبياء الذين دعوا إلى نبوة محمد ﷺ وإمامة علي ﷺ ، (٢) ثم قال : «وجبريل وميكال» ومن كان (٣) عدواً لجبرئيل وميكائيل وذلك كقول من قال من النواصب لما قال النبي ﷺ في علي ﷺ : «جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وإسرافيل من خلفه ، وملك الموت أمامه ، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصر» قال بعض النواصب : فأنا أبرء من الله ومن جبرئيل وميكائيل والملائكة الذين حالهم مع علي ﷺ ما قاله محمد ﷺ ، فقال : من كان عدواً لهؤلاء تعصباً على علي بن أبي طالب ﷺ «فإن الله عدو للكافرين» فاعل بهم ما يفعل العدو بالعدو من إحلال النقمات وتشديد العقوبات .

(١) قطع من هنا قطعة طويلة في فضيلة القرآن ولعله يخرجها في كتاب القرآن .

(٢) في المصدر هنا زيادة وهي : وذلك قول النواصب : برئنا من هؤلاء الرسل الذين دعوا إلى إمامة علي .

(٣) في المصدر : أي من كان له .

وكان سبب نزول هاتين الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيء في جبرئيل وميكائيل ، ^(١) وما كان من أعداء الله النصّاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله ، وأمّا ما كان من النصّاب فهو أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان لا يزال يقول في عليّ عليه السلام الفضائل التي خصّه الله عزّ وجلّ بها والشرف الذي أهله الله تعالى له ، وكان في كل ذلك يقول : « أخبرني به جبرئيل عن الله » و يقول في بعض ذلك : « جبرئيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنّه عن يمين عليّ عليه السلام - الذي هو أفضل من اليسار ، كما يفخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه في الخدمة ، ^(٢) وملك الموت الذي أمامه بالخدمة وأنّ اليمين والشمال أشرف من ذلك كافتخار حاشية ^(٣) الملك على زيادة قرب محلّهم من ملكهم » وكان يقول رسول الله ﷺ في بعض أحاديثه : « إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدّها لعليّ بن أبي طالب حبّاً ، وإنّ قسم الملائكة فيما بينها : والذي شرف عليّاً على جميع الورى بعد محمد المصطفى ، ويقول مرّة : « إنّ ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية عليّ بن أبي طالب كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم » فكان هؤلاء النصّاب يقولون : إلى متى يقول محمد : جبرئيل وميكائيل والملائكة ، كلّ ذلك تفخيم لعليّ و تعظيم لشأنه ؟ ويقول : الله تعالى خاصّ لعليّ دون سائر الخلق ؟ برئنا من ربّ ومن ملائكة ومن جبرئيل وميكائيل هم لعليّ عليه السلام - بعد محمد عليه السلام - مفضلون ؛ وبرئنا من رسل الله الذين هم لعليّ عليه السلام - بعد محمد عليه السلام - مفضلون .

وأما ما قاله اليهود فهو أنّ اليهود أعداء الله فإنّه لمّا قدم النبيّ ﷺ المدينة أتوه بعد الله بن صوريا ، فقال : يا محمد كيف نوهك ؟ فإنّا قد أخبرنا عن نوم النبيّ الذي يأتي في آخر الزمان ، فقال رسول الله ﷺ : تنام عيني وقلبي يقظان ، قال : صدقت يا محمد ، قال :

(١) في المصدر : وسائر ملائكة الله .

(٢) > > : بالخدمة .

(٣) في هامش المصدر : خاصة (خل) .

أخبرني يا محمد : الولد يكون من الرجل أو من المرأة ؟ فقال النبي ﷺ : أمّا العظام و العصب والعروق فمن الرجل ، وأمّا اللحم والدم والشعر فمن المرأة ، قال : صدقت يا محمد ، ثم قال : يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له ، قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له ؟ فقال : إذا مغرت النطفة ^(١) لم يولد له - أي إذا احمرّت وكدرت - وإذا كانت صافية ولد له ، فقال : أخبرني عن ربك ما هو ؟ فنزلت قل هو الله أحد إلى آخرها ، فقال ابن سوريا صدقت يا محمد ، بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعك : أي ملك يأتيك بما تقول عن الله ؟ قال : جبرئيل ، قال ابن سوريا : كان ذلك عدونا من بين الملامكة ، ينزل بالقتل والشدة والحرب ، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك ، لأن ميكائيل كان يشدّ ملكنا ، وجبرئيل كان يهلك ملكنا فهو عدونا لذلك .

فقال له سلمان الفارسي : فما بدؤ عداوته لك ؟ ^(٢) قال : نعم ياسلمان عادانا مراراً كثيرة ، وكان من أشد ذلك علينا أن الله أنزل على أنبيائه أن بيت المقدس يخرّب على يد رجل يقال له : بخت نصر وفي زمانه ، وأخبرنا بالحين الذي يخرّب فيه ، ^(٣) والله يحدث الأمر بعد الأمر فميمحو ما يشاء ويثبت ، فلمّا بلغنا ذلك الحين ^(٤) الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أواملنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبياً كان يعدّ من أنبيائهم يقال له دانيال في طلب بخت نصر ليقتله ، فحمل معه وقر ^(٥) هال لينفقه في ذلك ، فلمّا انطلق في طلبه لقيه بابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوة ولا منعة ^(٦) فأخذه

(١) مغر الثوب : صبغه بالمغرة ، وهي لون العمرة ليس بناصع .

(٢) في المصدر : فما بدؤ عداوته لكم .

(٣) > > وفي نسخة : أخبرنا بالخبر الذي يخرّب به .

(٤) > > > فلما بلغنا ذلك الخبر .

(٥) الوقر بالكسر : الحمل الثقيل .

(٦) المنعة : القوة التي تمنع من يريد أحداً بسوء .

صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبرئيل ، وقال لصاحبنا : إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإنّه لا يسلطك عليه ، وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله ؟ فصدّقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا وأخبرنا بذلك ، وقوي بخت نصر وملك وغازنا وخرّب بيت المقدس ؛ فلم هذا نتّخذة عدوّاً ، وميكائيل عدوّ لجبرئيل .

فقال سلمان : يا ابن سوريا بهذا العقل المسلموك به غير سبيله ضللتهم ، رأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر وقد أخبر الله تعالى في كتبه وعلى السنة رسله أنّه يملك ويخرّب بيت المقدس ؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله تعالى في أخبارهم واتّهموهم في أخبارهم أو صدّقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله ؟ هل كان هؤلاء من وجّهوه إلّا كفساراً بالله ؟ وأيّ عداوة تجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصدّ عن مغالبة الله عزّ وجلّ وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى ؟ فقال ابن سوريا : قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه ، لكنّه يمحو ما يشاء ويثبت .

قال سلمان : فإذا لا تثقوا بشيء ممّا في التوراة من الأخبار ممّا مضى وما يستأنف فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ، وإذا لعلّ الله قد كان عزل موسى و هارون عن النبوة وأبطلا في دعوتهم لأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت ، ولعلّ كلّ ما أخبراكم أنّه يكون لا يكون ، وما أخبراكم أنّه لا يكون يكون ، وكذلك ما أخبراكم عمّا كان لعلّه لم يكن ، وما أخبراكم أنّه لم يكن لعلّه كان ، ولعلّ ما وعده من الثواب يمحوه ، ولعلّ ما وعده به من العقاب يمحوه فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت ، إنكم جهلتم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت ؛ فلذلكم أنتم بالله كافرون ، ولأخباره عن الغيوب مكذبون ، وعن دين الله منسلخون .

ثمّ قال سلمان : فإنّي أشهد أنّ من كان عدوّاً لجبرئيل فإنّه عدوّ لميكائيل ، وأنّهم جميعاً عدوّان لمن عاداهما ، سلمان لمن سلّمهما ، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان رحمة الله عليه : « قل من كان عدوّاً لجبرئيل في مظاهرتهم لآلِاء الله على أعدائه ونزوله بفضائل عليّ وليّ الله من عند الله فإنّه نزلّه » فإنّ جبرئيل نزل هذا القرآن « على قلبك بإذن الله » وأمره « مصدّقاً لما بين يديه » من سائر كتب الله « وهدى » من الضلالة « وبشرى للمؤمنين » بنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وولاية عليّ عليه السلام ومن بعده من الأئمّة بأنهم

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٢٨٩ -

أولياء الله حقاً إذا ماتوا على مواليتهم لمحمد وعلي وآلهما الطيبين . ثم قال رسول الله ﷺ : يا سلمان إن الله صدق قيلك ووفق رأيك ^(١) فإن جبرئيل عن الله يقول : يا محمد إن سلمان والمقداد أخوان متصافيان ^(٢) في ودادك ووداد علي أخيك ووصيك وصفيك ، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة ^(٣) عدوان لمن أبغض أحدهما ، وليان لمن والاهما ، ووالى محمد وعلياً ، عدوان لمن عادى محمداً وعلياً وأولياءهما ، ولو أحب أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبهما ملائكة السموات والحجب والكرسي والعرش ملحق وداهما لمحمد وعلي ومواليتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذب الله تعالى أحداً منهم بعذاب البتة . ^(٤)

بيان : قوله : (إنكم جهلتم معنى بمحو الله ما يشاء) لعل مراده رضوان الله عليه . أن البداء إنما يكون فيما لم يخبر به الأنبياء والأوصياء ﷺ على سبيل الجزم والحتم وإلا يلزم تكذيبهم ، وهذا مما كانوا أخبروا به على الحتم ، وأيضاً الأمر الذي يكون فيه البداء لا يمكن رفعه بالمغالبة والمعارضة ، بل بما يتوسل به إلى جنابه تعالى من الدعاء والصدقة والتوبة وأمثالها كما مر تحقيقه في باب البداء . والله يعلم .

٣ - ج : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود قالوا : انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذاب حتى نوبخه في وجهه ونكذب به فإنا نسمي يقول : أنا رسول رب العالمين ، فكيف يكون رسولاً وآدم خير منه ونوح خير منه ؟ وذكروا الأنبياء ﷺ ؛ فقال النبي ﷺ لعبد الله بن سلام : التوراة بيني وبينكم ، فرضيت اليهود بالتوراة ؛ فقالت اليهود : آدم خير منك لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه ، فقال النبي ﷺ : آدم النبي أبي ، وقد أعطيت أنا أفضل مما أعطى آدم ، فقالت اليهود : ما ذلك ؟ قال : إن المنادي ينادي كل يوم خمس مرات :

(١) في المصدر : ووفق رأيك .

(٢) تصافى القوم : أخلص الود بعضهم لبعض .

(٣) في نسخة : وهما في أصحابكما كجبرئيل وميكائيل ، والملائكة عدوان لمن أبغض أحدهما .

(٤) تفسير العسكري : ١٨٢-١٨٦ ، وللحديث ذيل لم يورده في الباب .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولم يقل : آدم رسول الله ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة وليس بيد آدم ؛ فقالت اليهود : صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة ؛ قال : هذه واحدة .

قالت اليهود : موسى خير منك ؛ قال النبي ﷺ : ولم ذلك ؟ قالوا : لأن الله عز وجل كلمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء ، فقال النبي ﷺ : لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك ، فقالوا : وما ذلك ؟ قال : قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » و حملت على جناح جبرئيل حتى انتهت إلى السماء السابعة فجاورت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى حتى تعلقت بساق العرش ، فنوديت من ساق العرش : إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤوف الرحيم ، فرأيت به قلبي وما رأيته بعيني ، فهذا أفضل من ذلك ؛ فقالت اليهود : صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة ؛ قال رسول الله ﷺ : هذا اثنان .

قالوا : نوح خير منك ، قال النبي ﷺ : ولم ذلك ؟ قالوا : لأنه ركب السفينة فجرت على الجودي ، قال النبي ﷺ : لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك ، قالوا : وما ذلك ؟ قال : إن الله عز وجل أعطاني نهراً في السماء مجراه تحت العرش ، عليه ألف ألف قصر ، لبننة من ذهب ولبننة من فضة ، حشيشها الزعفران ، ورضاضها^(١) الدر والياقوت ، وأرضها المسك الأبيض ، فذلك خير لي ولأمتي ، وذلك قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكون » قالوا : صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة ، هذا خير من ذلك ؛ قال النبي ﷺ : هذه ثلاثة .

قالوا : إبراهيم خير منك ، قال : ولم ذلك ؟ قالوا : لأن الله تعالى اتخذته خليلاً قال النبي ﷺ : إن كان إبراهيم خليلي فأنا حبيبه محمد ؛ قالوا : ولم سميت محمداً ؟ قال : سماني الله محمداً ، وشق اسمي من اسمه هو المحمود وأنا محمد وأمتي الحامدون^(٢)

(١) الرضاض : ما صغر ودق من الحمى .

(٢) في المصدر : وأمتي الحامدون على كل حال .

قالت اليهود : صدقت يا محمد هذا خيرٌ من ذاك ؛ قال النبي ﷺ : هذه أربعة .
 قالت اليهود : عيسى خيرٌ منك ، قال : و لم ذاك ؟ قالوا : لأن عيسى ابن مريم
 كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس فجاءته الشياطين ليحملوه ، فأمر الله عز وجل
 جبرئيل عليه السلام أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين وألقهم في النار ،
 فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار ، قال النبي ﷺ : لقد أعطيت أنا أفضل
 من ذلك ، قالوا : وما هو ؟ قال : أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جامع شديد
 الجوع ، فلمّا وردت المدينة استقبلتني امرأة يهوديّة وعلى رأسها جفنة ، و في الجفنة
 جدي مشويّ وفي كمّها شيء من سكر ، فقلت : الحمد لله الذي منحك السلامة ،
 وأعطاك النصر والظفر على الأعداء ، وإني قد كنت نذرت لله نذراً إن أقبلت سالماً غانماً
 من غزاة بدر لأذبح هذا الجدي ولأشوينه ولأحملنه إليك لتأكله ، فقال النبي ﷺ :
 فنزلت عن بغلتي الشهباء ، وضربت بيدي إلى الجدي لآكله فاستنطق الله تعالى الجدي
 فاستوى على أربع قوائم وقال : يا محمد لا تأكلني فأني مسموم ؛ قالوا : صدقت يا محمد
 هذا خيرٌ من ذلك ؛ قال النبي ﷺ : هذه خمسة .

قالوا : بقيت واحدة ثمّ تقوم من عندك ، قال : هاتوه ، قالوا : سليمان خيرٌ منك
 قال : ولم ذاك ؟ قالوا : لأن الله تعالى عز وجل سخّر له الشياطين والإنس والجنّ
 والرياح والسباع ؛ فقال النبي ﷺ : فقد سخّر الله لي البراق ، وهو خيرٌ من الدنيا
 بحذافيرها ، وهي دابة من دواب الجنة ، وجهها مثل وجه آدمي ، وحوافرهما مثل حوافر
 الخيل ، و ذنبها مثل ذنب البقر ، فوق الحمار ودون البغل ، سرجه من ياقوتة حمراء ،
 و ركابه من درّة بيضاء ، مزومة بسبعين ألف زمام من ذهب ، عليه جناحان مكلّان
 بالدرّ والجوهر والياقوت والزبرجد ، مكتوبٌ بين عينيه : لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له ، محمد رسول الله ﷺ ؛ قالت اليهود : صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة هذا خيرٌ
 من ذاك ، يا محمد نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

فقال لهم رسول الله ﷺ : لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلا خمسين
 عاماً ، ثمّ وصفهم الله عز وجل فقلّلهم فقال : « وما آمن معه إلا قليل » ولقد تبعني في

سني القليل و عمري اليسير ما لم يتدبّع نوحاً في طول عمره وكبر سنّه ، وإنّ في الجنّة عشرين ومائة صفٍّ أمّتي منها ثمانون صفّاً ، وإنّ الله عزّ وجلّ جعل كتابي المهيمن على كتبهم ، الناسخ لها ، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وتحريم بعض ما أحلّوا ، من ذلك أنّ موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتّى أنّ الله تعالى قال لمن اعتدى منهم : ^(١) «كونوا قردة خاسئين» فكانوا ، ولقد جئت بتحليل صيدها حتّى صار صيدها حلالاً ، قال الله عزّ وجلّ : «أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم» وجئت بتحليل الشحوم كلّها وكنتم لا تأكلونها ، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ صلّى عليّ في كتابه قال الله عزّ وجلّ : «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» ثمّ وصفني الله تعالى بالرافة والرحمة وذكر في كتابه : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم» وأنزل الله عزّ وجلّ ألا يكلموني حتّى يتصدّقوا بصدقة وما كان ذلك للنبيّ قطّ ، قال الله عزّ وجلّ : «يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجوكم صدقة» ثمّ وضعها عنهم بعد أن افترضها عليهم برحمته . ^(٢)

بيان : لعلّ ذكرهم لعيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام كان من جانب النصارى و بزعمهم ، وإقباله عليه السلام على أكل الجدي كان قبل نزول حرمة ذبائح أهل الكتاب ، أو كان لظهور المعجزة لا لقصد الأكل ، أو كان أخيراً أنّه ذبحه مسلم . ^(٣)

٤ - ج : عن ثوبان ^(٤) قال : إنّ يهودياً جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : يا محمد

(١) في المصدر : لمن اعتدى منهم في صيدها يوم السبت . ولعلّ «صيدها» مصحّف «صيدهم» .

(٢) الاحتجاج : ص ٢٨ .

(٣) أو كانت تظهر بكلماتها هذه وهديتها الاسلام .

(٤) الظاهر أنّه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ثوبان بن بجدد ؛ وقيل : ابن حنبل يكنى أبا عبد الله ؛ وقيل : ابو عبد الرحمن . وهو من حمير من اليمن ؛ وقيل : هو من السراة موضع بين مكة واليمن ؛ وقيل : هو من سعد العشيرة من مدحج ، أصابه سبأ فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه ، وقال له : إنّ شئت أن تلحق بمن أنت منهم ، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت ، فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يزل معه سفيراً وحضراً إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بهاداراً ، وابتنى به

ج٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٢٩٣-

أَسْأَلُكَ فَتَخْبِرْنِي ، فَرَكَّضَهُ ثَوْبَانُ بَرَجْلَهُ وَقَالَ : قُلْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا أَدْعُوهُ إِلَّا بِمَا سَمَّاهُ أَهْلُهُ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ » أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ ؟ فَقَالَ : فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْمَحْشَرِ ، قَالَ : فَمَا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا ؟ قَالَ : كَيْدَ الْحَوْتِ ، قَالَ : فَمَا طَعَامُهُمْ عَلَى أَمْرِ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَيْدَ الثَّوْرِ ، قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَى أَمْرِ ذَلِكَ ؟ قَالَ : السَّلْسَبِيلُ ، قَالَ : صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ ، ^(١) قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : عَنْ شَبهِ الْوَلَدِ أَبَاهُ وَأُمِّهِ ، قَالَ : مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضٌ غَلِيظٌ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءُ الْمَرْأَةِ كَانَ الْوَلَدُ ذَكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ يَكُونُ الشَّبَهُ ، ^(٢) وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءُ الرَّجُلِ خَرَجَ الْوَلَدُ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ يَكُونُ الشَّبَهُ . ^(٣) ثُمَّ قَالَ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ حَتَّى أَنْبَأَنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَجْلِسِي هَذَا . ^(٤)

ع : الدَّقَّاقُ ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الْقَاسِمِ الْعُلُوفِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَزْأَزِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الْفَرَّاءِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ هَمَّادِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثَةَ ، عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ . الْخَبَرَ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ : « كَيْدَ الْحَوْتِ قَالَ فَمَا شَرَابُهُمْ » . ^(٥)

* بِمَصْرِ دَارًا ، وَبِحَمَّصِ دَارًا ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةً أَرْبَعَ وَخَمْسِينَ ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ ، رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ ذَوَاتِ عَدَدٍ . تَرْجَمَهُ بِذَلِكَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ج ٩ ص ٢٤٩ ، وَلَهُ تَرْجُمَةٌ فِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ التَّرَاوِجِ ، وَتَرْجَمَهُ الشَّيْخُ فِي رِجَالِهِ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

- (١) فِي الْمَصْدَرِ : أَفَلَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ ؟ .
- (٢) فِي الْمَصْدَرِ : وَمِنْ تَشَبُّهِ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ يَكُونُ الشَّبَهُ .
- (٣) فِي الْمَصْدَرِ : وَمِنْ تَشَبُّهِ أُمِّهِ قَبْلَ ذَلِكَ يَكُونُ الشَّبَهُ .
- (٤) الْإِحْتِجَاجُ : ٢٩ وَفِيهِ : حَتَّى أَنْبَأَنِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَجْلِسِي هَذَا عَلَى لِسَانِ أَخِي جَبْرِئِيلَ .
- (٥) عِلَلُ الشَّرَائِعِ : ٤٣ .

٥ - لى : ماجيلويه ، عن عمته ، عن البرقي ، عن أبي الحسن علي بن الحسين البرقي ، عن عبد الله بن جبلة ، عن معاوية بن عمار ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله عليه السلام فقال : يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنتك الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران ؟ فسكت النبي عليه السلام ساعة ثم قال : نعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر ، وأنا خاتم النبيّين وإمام المتّقين و رسول ربّ العالمين ، قالوا : إلى من ؟ إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية « قل » يا محمد « يا أيّها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً » قال اليهودي الذي كان أعلمهم : يا محمد إنّي أسألك عن عشر كلمات أعطى الله موسى بن عمران في البقعة المباركة حيث ناجاه لا يعلمها إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب ، قال النبي عليه السلام : سلني قال : أخبرني يا محمد عن الكلمات التي اختارهنّ الله لأبراهيم عليه السلام حيث بنى البيت ، قال النبي عليه السلام : نعم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » .

قال اليهودي : فبأي شيء بني هذه الكعبة مرّبعة ؟ قال النبي عليه السلام : بالكلمات الأربع ، قال : لأي شيء سمّيت الكعبة ؟ قال النبي : لأنّها وسط الدنيا ، قال اليهودي : أخبرني عن تفسير « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر » قال النبي عليه السلام : علم الله عزّ وجلّ أنّ بني آدم يكذبون على الله فقال : « سبحان الله » تبرّياً ممّا يقولون ^(١) ، وأمّا قوله : « الحمد لله » فإنّه علم أنّ العباد لا يؤدّون شكر نعمته فحمد نفسه قبل أن يحمده ^(٢) ، وهو أوّل الكلام ، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمته ، فقوله : « لا إله إلّا الله » يعني وحدانيّته ، لا يقبل الله الأعمال إلّا بها وهي كلمة التقوى يتقلّ الله بها الموازين يوم القيامة ، وأمّا قوله : « الله أكبر » فهي كلمة أعلى الكلمات وأحبّها إلى الله عزّ وجلّ ، يعني أنّه ليس شيء أكبر منّي ، لا تفتتح الصلاة إلّا بها ^(٣) لكرامتها على الله وهو الاسم الأعزّ الأكرم ؛ قال اليهودي : صدقت يا محمد فما جزاء قائلها ؟ قال :

(١) في الملل : براءة ممّا يقولون .

(٢) في هامش النسخة المقرّوة على المصنف : أن يحمده العباد . ع

(٣) في الملل : ولا تفتح الصلاة إلّا بها .

إذا قال العبد : « سبحان الله » سبح معه مادون العرش فيعطى قائمها عشر أمثالها ، وإذا قال : « الحمد لله » أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولاً بنعيم الآخرة ، ^(١) وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها ، وينقطع الكلام الذي يقولون في الدنيا ما خلا « الحمد لله » وذلك قوله عز وجل : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام و آخر دعوتهم أن الحمد لله رب العالمين » وأما قوله : « لا إله إلا الله » فالجنة جزاءه ^(٢) وذلك قوله عز وجل : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » يقول : هل جزاء من قال : لا إله إلا الله إلا الجنة ؟ ^(٣)

فقال اليهودي : صدقت يا محمد ، قد أخبرت واحدة فتأذن لي أن أسألك الثانية . فقال النبي ﷺ : سألني عما شئت ، وجبرئيل عن يمين النبي ﷺ ، وميكائيل عن يساره يلقنانه .

فقال اليهودي : لأي شيء سميت محمداً وأحمد وأبالقاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً ؟ فقال النبي ﷺ : أما محمد فأني محمود في الأرض ، وأما أحمد فأني محمود في السماء ، وأما أبوالقاسم فإن الله عز وجل يقسم يوم القيامة قسمة النار ، فمن كفر بي من الأولين والآخرين ففي النار ، ويقسم قسمة الجنة ، فمن آمن بي وأقر بنبوتي ففي الجنة ، وأما الداعي فأني أدعو الناس إلى دين ربّي ، وأما النذير فأني أندر بالنار من عصائي ، وأما البشير فأني أبشّر بالجنة من أطاعني .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الله لأي شيء وقّست هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على أمّتك في ساعات الليل والنهار ؟ قال النبي ﷺ : إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها ، فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شيء دون العرش لوجه ربّي ، ^(٤) وهي الساعة التي يصلي عليّ فيها ربّي ، ففرض الله عز وجل

(١) في الملل بنعم الآخرة . وفي ما قبله : بنعم الدنيا .

(٢) في الملل : فثمنها الجنة .

(٣) ذكر في هامش نسخة هنا زيادة عن الاختصاص وهي هذا : وأما قوله : الله أكبر فهي أكبر درجات في الجنة وأعلاها منزلة عند الله .

(٤) في الملل : بعمد ربّي .

عليّ وعلى أمتي فيها الصلاة ، وقال : « أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » وهي الساعة التي يؤتى فيها بجهنم يوم القيامة ، فممن مؤمن يوفق تلك الساعة أن يكون ساجداً أو راكعاً أو قائماً إلا حرم الله عز وجل جسده على النار ؛ وأما صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله تعالى من الجنة فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة ، واختارها لأمتي ، فهي من أحب الصلوات إلى الله عز وجل ، وأوصاني أن أحفظها من بين الصلوات ؛ وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم عليه السلام ، و كان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله تعالى فيها عليه ثلاث مائة سنة من أيام الدنيا ، وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء ،^(١) فصلّى آدم ثلاث ركعات : ركعة لخطيئته ، وركعة لخطيئة حواء ، وركعة لتوبته ، فافترض الله عز وجل هذه الثلاث الركعات على أمتي ، وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء ، فوعدني ربي أن يستجيب لمن دعاه فيها ، وهذه الصلوات التي أمرني بها ربي عز وجل فقال :^(٢) « سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » ، وأما صلاة العشاء الآخرة فإن للقبر ظلمة ، وليوم القيامة ظلمة ، أمرني الله وأمتي بهذه الصلاة في ذلك الوقت لتنور لهم القبور وليعطوا النور^(٣) على الصراط ، وما من قدم مشيت إلى صلاة العتمة إلا حرم الله تعالى جسدها على النار ، وهي الصلاة التي اختارها الله للمرسلين قبلي ؛ وأما صلاة الفجر فإن الشمس إذا طلعت طلعت على قرني الشيطان^(٤) فأمرني الله عز وجل أن أصلي صلاة الفجر^(٥) قبل طلوع الشمس وقبل أن يسجد لها الكافر فتسجد أمتي لله ، وسرعتها أحب إلى الله ، وهي الصلاة التي تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار .

(١) في اللعل : ما بين العصر والعشاء .

(٢) > في قوله : سبحان الله .

(٣) > وليطيقن وأمتي النور اهـ .

(٤) > على قرني شيطان .

(٥) > صلاة النداء .

ج باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٢٩٧ -

قال : صدقت يا محمد فأخبرني لأي شيء توضأ^(١) هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد ؟ قال النبي ﷺ : لما أن وسوس الشيطان إلى آدم ودنا آدم من الشجرة و نظر إليها ذهب ماء وجهه ، ثم قام وهو أول قدم^(٢) مشى إلى الخطيئة ، ثم تناول بيده ، ثم مسحها ، فأكل منها^(٣) فطار الحلبي والحلل عن جسده ، ثم وضع يده على أم رأسه وبكى ، فلمّا تاب الله عز وجلّ عليه فرض الله عز وجلّ عليه وعلى ذريته الوضوء على هذه الجوارح الأربع ،^(٤) وأمره أن يغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة ، وأمره بغسل الساعدين إلى المرفقين^(٥) لما تناول منها ، وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على رأسه ،^(٦) وأمره بمسح القدمين لما مشى إلى الخطيئة^(٧) ثم سنّ على أمّتي المضمضة لتنقي القلب من الحرام ، والاستنشاق لتحريم عليهم راحة النار و تنتهـا .

قال اليهودي : صدقت يا محمد فما جزاء عاملها ؟ قال النبي ﷺ : أول ما يمسّ الماء يتباعد عنه الشيطان ، وإذا تمضمض نوّ الله قلبه ولسانه بالحكمة ، فإذا استنشق آمنه الله من النار و رزقه راحة الجنة ، فإذا غسل وجهه بيّض الله وجهه يوم تبيض فيه وجوه و تسود فيه وجوه ، وإذا غسل ساعديه حرّم الله عليه أغلال النار ، وإذا مسح رأسه مسح الله عنه سيئاته ، وإذا مسح قدميه أجاز الله على الصراط يوم تزل فيه الأقدام . قال : صدقت يا محمد فأخبرني عن الخامسة : لأي شيء أمر الله بالاعتسال من الجنابة^(٨) ولم يأمر من البول والغائط ؟ قال رسول الله ﷺ : إنّ آدم لما أكل من

(١) ذكره الصدوق أيضا في علل الشرائع : ص ١٠٣ .

(٢) في العلل : ثم قام ومشى إليها وهي أول قدمه .

(٣) في العلل : ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلبي والحلي .

(٤) في العلل : غسل هذه الجوارح الأربع .

(٥) في العلل بغسل اليدين إلى المرفقين .

(٦) في العلل : على أم رأسه .

(٧) في العلل : لما مشى بها إلى الخطيئة .

(٨) أوردته الصدوق أيضا في علل الشرائع : ص ١٠٤ إلى قوله : منهما الوضوء .

الشجرة دبّ ذلك في عروقه وشعره وبشره ؛ فإذا جامع الرجل أهله خرج الماء من كل عرق وشعرة ، فأوجب الله على ذريته الاغتسال من الجنابة إلى يوم القيامة ، والبول يخرج من فضلة الشراب الذي يشربه الإنسان ، والغائط يخرج من فضلة الطعام الذي يأكله ، فعليهم منهما الوضوء .

قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فأخبرني ماجزاء من اغتسل من الحلال ؟ قال النبي ﷺ : إنّ المؤمن إذا جامع أهله بسط سبعون ألف جناحه وتنزل الرحمة فإذا اغتسل بنى الله له بكل قطرة بيتاً في الجنة ، وهو سرّ فيما بين الله وبين خلقه ، - يعني الاغتسال من الجنابة - .

قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن السادس : عن خمسة أشياء مكتوبات في التوراة أمر الله بني إسرائيل أن يقتدوا بموسى فيها من بعده . قال النبي ﷺ : فأشدتكم بالله إن أنا أخبرتكم تقرّ لي ؟ قال اليهودي : نعم يا محمد .

قال : فقال : النبي ﷺ : أوّل ما في التوراة مكتوب : محمد رسول الله ﷺ وهي بالعبرانية «طاب» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : «يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، وفي السطر الثاني اسم وصيّ علي بن أبي طالب ، والثالث والرابع سبطي : الحسن والحسين ، وفي السطر الخامس أمّهما فاطمة سيّدة نساء العالمين - صلوات الله عليها - وفي التوراة اسم وصيّ «إليّا» واسم السبطين «شبر وشبير» وهما نورا فاطمة - عليهما السلام - .

قال اليهودي : صدقت يا محمد فأخبرني عن فضلكم أهل البيت . قال النبي ﷺ : لي فضل على النبيين ، فما من نبيّ إلّا دعا على قومه بدعوة وأنا أخبرت دعوتي لأمتي لأشفع لهم يوم القيامة ، وأمّا فضل أهل بيتي وذريتي على غيرهم كفضل الماء على كل شيء ، وبه حياة كل شيء ، وحبّ أهل بيتي وذريتي استكمال الدين ؛ وثلا رسول الله ﷺ هذه الآية : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» إلى آخر الآية .

قال اليهودي : صدقت يا محمد فأخبرني بالسابع : ما فضل الرجال على النساء ؟

قال النبي ﷺ : كفضل السماء على الأرض ، وكفضل الماء على الأرض ، فبالماء يحيى الأرض ، وبالرجال يحيى النساء ، لولا الرجال ما خلق النساء لقول الله عز وجل : «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض»^(١) .

قال اليهودي : لأي شيء كان هكذا ؟ قال النبي ﷺ : خلق الله عز وجل آدم من طين ، ومن فضله ربقيته خلقت حواء وأول من أطاع النساء آدم ، فأنزله الله من الجنة ، وقد بين فضل الرجال على النساء في الدنيا ، ألا ترى إلى النساء كيف يحضن ولا يمكنهن العباد من القذارة ، والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث .^(٢)

قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فأخبرني لأي شيء فرض الله عز وجل الصوم على أممك بالنهار ثلاثين يوماً ، وفرض على الأمم أكثر من ذلك ؟ قال النبي ﷺ : إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ، وفرض (فرض خل) الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش ، والذي يأكلونه بالليل تفضل من الله عز وجل عليهم ، وكذلك كان على آدم ، وفرض الله على أممي ذلك ؛ ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» أياماً معدودات .

قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فما جزاء من صامها ؟ فقال النبي ﷺ : ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله له سبع خصال :

أولها : يذوب الحرام في جسده . والثانية : يقرب من رحمة الله . والثالثة : يكون قد كفر خطيئة أبيه آدم . والرابعة : يهون الله عليه سكرات الموت . والخامسة : أمان من الجوع والعطش يوم القيامة . والسادسة : يعطيه الله براءة من النار . والسابعة : يطعمه الله من ثمرات الجنة .^(٣)

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن التاسعة : لأي شيء أمر الله بالوقوف بعرفات بعد العصر ؟ قال النبي ﷺ : إن العصر هي الساعة التي عصى فيها آدم ربه ، وفرض

(١) زاد في علل الشرائع : «وبما انفقوا من أموالهم» .

(٢) رواه الصدوق في العلل : ص ١٧٤ من قوله : ما فضل الرجال على النساء .

(٣) > > > : ص ١٣٦ إلا أنه قال : يذوب الحرام من جسده . وقال : ويطعمه

من طيبات الجنة .

الله عز وجل علي أمّتي الوقوف والتضرّع والدعاء في أحبّ المواضع إليه ، وتكفّل لهم بالجنة ، والساعة التي ينصرف فيها الناس هي الساعة التي تلقى فيها آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، ثم قال النبي ﷺ : والذي بعثني بالحق بشيراً أو نذيراً إن الله بأبّفي السماء الدنيا يقال له باب الرحمة ، وباب التوبة ، وباب الحاجات ، وباب الفضل ، وباب الإحسان ، وباب الجود ، وباب الكرم ، وباب العفو ، ولا يجتمع بعرفات أحد إلا استأهل من الله في ذلك الوقت هذه النخال ، وإن الله عز وجل مائة ألف ملك مع كل ملك مائة وعشرون ألف ملك والله رحمة على أهل عرفات ينزلها على أهل عرفات ، فإذا انصرفوا أشهد الله ^(١) ملائكته بعثت أهل عرفات من النار ، وأوجب الله عز وجل لهم الجنة ، ونادى مناد : انصرفوا مغفورين ، فقد أَرْضِيتُمُونِي وَرْضِيتُ عَنْكُمْ . قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن العاشرة : عن سبع خصال ^(٢) أعطاك الله تعالى من بين النبيين ، وأعطى أمّتك من بين الأمم . فقال النبي ﷺ : أعطاني الله عز وجل فاتحة الكتاب ، والأذان ، ^(٣) والجماعة في المسجد ، ويوم الجمعة والإجهاز في ثلاث صلوات ، والرخص لأمتي ^(٤) عند الأمراض والسفر ، والصلاة على الجنائز ، والشفاعة لأصحاب الكبراء من أمّتي ؛ قال اليهودي : صدقت يا محمد ، فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب .

قال رسول الله ﷺ : من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله بعدد كل آية أنزلت من السماء فيجزى بها ثوابها . ^(٥)

وأما الأذان فإنه يحشر المؤذنون من أمّتي مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .

(١) في هامش نسخة : والله مائة رحمة ينزلها على أهل عرفات ، فإذا انصرفوا أشهد الله تلك الملائكة ، ختم .

(٢) في هامش نسخة : عن سبع خصال . ختم .

(٣) > > > زاد : والاقامة . قلت : فعلى نسخة الاختصاص يعد يوم الجمعة خامساً .

(٤) في الخصال : والرخصة لأمتي .

(٥) في الخصال : بعدد كل آية نزلت من السماء نواب تلاوتها .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٠١ -

وأما الجماعة فإن صفوف أمّتي في الأرض كصفوف الملائكة في السماء (١) والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة ، كل ركعة أحب إلى الله من عبادة أربعين سنة . وأما يوم الجمعة فيجمع الله فيه الأولين والآخرين للحساب ، فما من مؤمن مشى إلى الجماعة (الجمعة بخ) إلا خفف الله عز وجل عليه أهوال يوم القيامة ثم يأمر به إلى الجنة . (٢)

وأما الإجماع فإنّه يتباعد منه لهب النار بقدر ما يبلغ صوته ، ويجوز على الصراط ويعطى السرور حتى يدخل الجنة .

وأما السادس (٣) فإن الله عز وجل يخفف أهوال يوم القيامة لأمتي كما ذكر الله عز وجل في القرآن ، وما من مؤمن يصلي على الجنائز إلا أوجب الله له الجنة . أن يكون منافقاً أو عاقماً . وأما شفاعتي فهي لأصحاب الكبراء ما خلا أهل الشرك والظلم . (٤)

قال : صدقت يا محمد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبده ورسوله خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، فلمّا أسلم وحسن إسلامه أخرج رقماً أبيض فيه جميع ما قال النبي ﷺ ، وقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً ما استنسختها إلا من الألواح التي كتبها الله عز وجل لموسى بن عمران ، ولقد قرأت في التوراة فضلك حتى شككت فيها ، يا محمد ولقد كنت أمحو اسمك منذ أربعين سنة من التوراة كلّما محوته وجدته مثبتاً فيها ، ولقد قرأت في التوراة أن هذه المسائل لا يخرجها غيرك ، وأن في الساعة التي ترد عليك فيها هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ووصيك بين يديك .

(١) في هامش نسخة : في السماء الرابعة . ختم .

(٢) في الخصال : ثم يجازيه الجنة .

(٣) في هامش نسخة : و أما الرخصة فإن الله يخفف أهوال القيامة على من رخص من امتي ، كما رخص الله في القرآن ؛ وأما الصلاة على الجنائز فما من مؤمن يصلي على جنازة إلا أن يكون شافعاً مشفعاً . ختم .

(٤) في هامش نسخة : وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبراء ما خلا أهل الشرك والمظالم . ختم .

فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، هذا جبرئيل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ووصيتي علي بن أبي طالب عليه السلام بين يدي ؛ فأمن اليهودي وحسن إسلامه .^(١)

ل : بالاسناد المذكور عن جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب في حديث طويل قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل ، فكان فيما سأله : أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين إلى آخر الخبر .^(٢)

ع : بالاسناد المذكور إلى الحسن عليه السلام قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم فقال له : أخبرني عن تفسير سبحانه الله إلى قوله : قال : هل جزاء من قال : لا إله إلا الله إلا الجنة ؟ فقال اليهودي صدقت يا محمد .^(٣)

ع : بالاسناد المذكور قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسأله أعلمهم عن مسائل ، فكان فيما سأله أن قال : أخبرني عن الله عز وجل لا شيء فرض هذه الخمس صلوات ؟ إلى قوله : تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار ، قال : صدقت يا محمد .^(٤)

ختص : عبدالرحمن بن إبراهيم ، عن الحسين بن مهران ، عن الحسين (الحسين خ) بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام مثله .^(٥)

أقول : سيأتي شرح أجزاء الخبر في الأبواب المناسبة لها .

٦ - ع : وهب اليماني^(٦) قال : إن يهودياً سأل النبي ﷺ فقال : يا محمد

(١) الامالي : من ١١٢ - ١١٨ .

(٢) الخصال ٢ : ٩ .

(٣) علل الشرائع : من ٩٤ .

(٤) علل الشرائع : من ١٢٠ .

(٥) الاختصاص : مخطوط ، ونسخته غير موجودة عندنا .

(٦) هو وهب بن منبه بن كامل اليماني البناوي المتوفى في ١١٤ ، و الابناوي نسبة إلى الابناء ، كل من ولد باليمن من أبناء الفرس انديين وجههم كسرى مع سيف بن ذى يزن فليس من العرب ويسمونهم الابناء ، وينسب اليها ممام أخيه وهب أيضا وطاوس بن كيسان وغيرهم .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٠٣ -

أكنت في أم الكتاب نبياً قبل أن تخلق؟ قال : نعم ، قال : و هؤلاء أصحابك المؤمنون المشبوتون معك قبل أن يخلقوا؟ قال : نعم ، قال : فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن أمك كما تكلم عيسى بن مريم على زمك وقد كنت قبل ذلك نبياً؟

فقال النبي ﷺ : إنه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم ، إن عيسى بن مريم خلقه الله من أم ليس له أب ، كما خلق آدم ﷺ من غير أب ولا أم ، ولو أن عيسى حين خرج من بطن أمه لم ينطق بالحكمة لم يكن لأمه عذر عند الناس وقد أتت به من غير أب ، وكانوا يأخذونها كما يأخذون به مثلها من المحصنات ، فجعل الله عز وجل منطقة عذراً لأمه (١).

بيان : لعل غرض اليهودي من الكلام بحيث يسمع عامة الناس ، فلذا لم يذكر صلى الله عليه وآله كلامه الذي خصّ بسماعه أهله الأذنون ، أو لم يتعرض له لعدم إمكان إقباطه على السائل مع إنكاره .

٧ - ع : الطالقاني ، عن محمد بن يوسف الحلّال ، عن أبي جعفر محمد بن الخليل المحرمي ، (٢) عن عبد الله بن بكر المسمعي ، (٣) عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ و هو في أرض يحترث ، فأتى النبي ﷺ فقال : إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، أو وصي نبي : ما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ .

قال ﷺ : أخبرني بهن جبرئيل ﷺ آنفاً . قال : هل أخبرك جبرئيل؟ قال : نعم ، قال : ذلك عدو اليهود من الملائكة . قال : ثم قرأ هذه الآية : « قل من كان عدواً

(١) علل الشرائع : ٣٨

(٢) هكذا في النسخ ، وفي نسخة من العلل : المخزومي ، والصحيح : المخرمي بالخاء المعجمة والراء المكسورة المشددة منسوب إلى المخرم وهي محلة بيفداد ، نزلها بعض ولد يزيد بن المخرم فسميت به ، والرجل هو محمد بن الخليل المخرمي البغدادي أبو جعفر الغلام المتوفى في سنة المائتين و بضع وستين ، ترجمه ابن حجر في التقریب ص ٤٤٤ ؛
(٣) في العلل المطبوع : التميمي (المسمى خل) .

لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله» أما أول أسراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذ سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه ؛ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني .

فجاءت اليهود فقال : أي رجل عبد الله بن سلام ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا و سيدنا وابن سيدنا . قال : رأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاذ بالله من ذلك ، فخرج عبد الله وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا وانفضوا (وانقطعوا) قال : فقال : هذا الذي كنت أخاف منه يا رسول الله ^(١)

توضيح : زيادة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ، وهي أنها ها وأطيبها ذكره الكرماني في شرح البخاري وقال : نزع الولد إلى أبيه ونحوه : أشبهه . وقال الجزري : في حديث ابن سلام إنهم قوم بهت جمع بهوت من بناء المبالغة كصبور صبر ثم يسكن تخفيفاً .

٨ - ع : الحسن بن يحيى بن ضريس البجلي ، عن أبيه ، عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله مولى رسول الله ﷺ ، عن يزيد بن سلام ^(٢) أنه سأل رسول الله فقال : لم سميتي الفرقان فرقاناً ؟ قال : لأنني متفرق الآيات والسور ، أنزلت في غير الألواح ، وغيره من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور أنزلت كلها جملة في الألواح والورق . قال : فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً ، فأمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يحوضوه القمر فمجاه فأنثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ، ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم

(١) علل الشرائع : ٤٢

(٢) الإسناد في المصدر هكذا : الحسين (الحسن) بن يحيى بن ضريس البجلي قال : حدثنا أبي ، قال حدثنا أبو جعفر عمارة السكوني السرياني ، قال : حدثنا إبراهيم بن عاصم بقزوين ، قال : حدثنا عبد الله بن هارون الكرخي ، قال : حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله مولى رسول الله ص ، قال : حدثني أبي عبد الله بن يزيد ، قال : حدثني يزيد بن سلام .

يُمح لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل، ولا علم الصائم كم يصوم، ولا عرف الناس عدد السنين، وذلك قول الله عز وجل: «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» قال: صدقت يا محمد فأخبرني لم سمي الليل ليلاً؟ قال: لأنه يلايل الرجال من النساء، جعله الله عز وجل ألفة ولباساً، وذلك قول الله عز وجل: «وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً».

قال: صدقت يا محمد فما بال النجوم تستبين صغاراً وكباراً ومقدارها سواء؟ قال: لأن بينهما وبين السماء الدنيا بحاراً يضرب الريح أمواجها فلذلك تستبين صغاراً وكباراً، ومقدار النجوم كلها سواء. قال: فأخبرني عن الدنيا لم سميت الدنيا؟ قال: لأن الدنيا دينية خلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة.

قال: فأخبرني عن القيامة لم سميت القيامة؟ قال: لأن فيها قيام الخلق للحساب. قال: فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة؟ قال: لأنها متأخرة تعجى من بعد الدنيا، لا توصف سنينها، ولا تحصى أيامها، ولا يموت سكانها.

قال: صدقت يا محمد أخبرني عن أول يوم خلق الله عز وجل؟ قال: يوم الأحد. قال: ولم سمي يوم الأحد؟ قال: لأنه واحدٌ محدودٌ. قال فالأثنين؟ قال هو اليوم الثاني من الدنيا. قال: فالثلثاء؟ قال: الثالث من الدنيا، قال: فالأربعاء؟ قال: اليوم الرابع من الدنيا. قال: فالخميس؟ قال: هو يوم خامس من الدنيا وهو يوم أنيس، لعن فيه إبليس، ورفع فيه إدريس عليه السلام. قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وهو يوم شاهد ومشهود. قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت، وذلك قوله عز وجل في القرآن: «ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام» فمن الأحد إلى الجمعة ستة أيام، والسبت معطل.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه خلق من طين الأرض وأديمها. قال: فأدم خلق من الطين كله أو من طين واحد؟ قال: بل من الطين

كله ، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً ، وكانوا على صورة واحدة . قال : فلم في الدنيا مثل ؟ قال : التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أصفر (أشقر خل) وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق ، وفيه عذب وفيه ملح وفيه خشن وفيه لين وفيه أصهب ، فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب .

قال : فأخبرني عن آدم خلق من حواء أو خلقت حواء من آدم ؟ قال : بل حواء خلقت من آدم عليه السلام ، ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء و لم يكن بيد الرجال . قال : فمن كله خلقت أم من بعضه ؟ قال : بل من بعضه ، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال . قال : فمن ظاهره أو باطنه ؟ قال : بل من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لانكشف النساء كما ينكشف الرجال ، فلذلك صارت النساء مستورات . قال : فمن يمينه أو من شماله ؟ قال : بل من شماله ، ولو خلقت من يمينه لكان للأُنثى حظٌ كحظ الذكر من الميراث ، فلذلك صار للأُنثى سهم وللذكر سهمان ، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد . قال : فمن أين خلقت ؟ قال : من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر .

قال : صدقت يا محمد فأخبرني عن الوادي المقدس لم سمي المقدس ؟ قال : لأنّه قدس فيه الأرواح ، واصطفيت فيه الملائكة ، وكلم الله عز وجل موسى تكليماً . قال : فلم سميت الجنة جنة ؟ قال : لأنّها جنينة خيرة نقيّة وعند الله تعالى ذكره مرضيّة .^(١) بيان : قوله : (لأنّه يلايل الرجال) يظهر منه أنّ الملايلة كان في الأصل بمعنى الملايسة أو نحوها ، وليس هذا المعنى فيما عندنا من كتب اللغة . قال الفيروز آبادي : لايلته : استجرت له لليلة ، وعاملته ملايلة كماومة . قوله عليه السلام : (من دون الآخرة) أي في الرتبة أو بعدها زماناً . قوله عليه السلام : (يوم مسبوت) قال الجزري : قيل : سمي يوم السبت لأن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام آخرها الجمعة وانقطع العمل فسمي اليوم السابع يوم السبت .

وقال الفيروز آبادي : السبت : الراحة و القطع وقال : الأشقر من الدواب : الأحمر في مغرة حمرة يحمر منها العرف و الذنب ، و من الناس من تعلقو بياضه حمرة . و قال : الصهب محرّكة : حمرة ، أو شقرة في الشعر ، و الأصهب بغير ليس بشديد البياض . قوله ﷺ : (لأنها جنيئة) أي مستورة عن الخلق ولا يستر إلا ما كان خيرة .

٩ - ص : الصدوق ، عن عبدالله بن حامد ، عن محمد بن حمدويه ، عن محمد بن عبدالكريم ، عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي الحسين ، عن شهر بن حوشب قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه رهط من اليهود فقالوا : إنا سائلوك عن أربع خصال ، فإن أخبرتنا عنه صدقناك و آمنا بك فقال : عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه ؟ قالوا : نعم قال : سلوا عما بدا لكم . قالوا : عن الشبه كيف يكون من المرأة و إنما النطفة للرجل ؟ فقال : أُنشدكم بالله أتعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ؟ و أن نطفة المرأة حمراء رقيقة ؟ فأيتتهما غلبت صاحبتهما كانت لها الشبه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قالوا : فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ قال : أُنشدكم بالله هل تعلمون أن أحب الطعام و الشراب إليه لحوم الإبل و ألبانها فاشتكا شكوى ، فلما عافاه الله منها حرّمها على نفسه ليشكر الله به ؟ قالوا : اللهم نعم .

فقالوا : أخبرنا عن نومك كيف هو ؟ قال : أُنشدكم بالله هل تعلمون من صفة هذا الرجل الذي تزعمون أنني لست به تنام عينه و قلبه يقظان ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : و كذا نومي . قالوا : فأخبرنا عن الروح . قال : أُنشدكم بالله هل تعلمون أنه جبرئيل ﷺ ؟ قالوا : اللهم نعم ، و هو الذي يأتيك و هولنا عدو ، و هو ملك إنما يأتي بالغلظة و شدة الأمر و لولا ذلك لا تبعناك . فأنزل الله تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل » إلى قوله : « أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم » . (١)

١٠ - م : قوله عز وجل : « ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنت

(١) قصص الانبياء ، مخطوط .

تعلمون * وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين * أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون * واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعاً ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون * وإذ نجّيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم .

قال الإمام (عليه السلام) : خاطب الله بهاقوماً يهوداً لبسوا الحق بالباطل، بأن زعموا أن محمد (عليه السلام) نبي ، وأن علياً وصي ، ولكنهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة ، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أترضون التوراة بيني وبينكم حكماً ؟ قالوا : بلى .

فجاءوا بها وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها ، فقلب الله عز وجل الطومار الذي منه كانوا يقرؤون وهو في يد قارئ من منهم ، مع أحدهما أولاً ومع الآخر آخره ، فانقلب ثعباناً لها رأسان وتناول كل رأس منهما يمين من هو في يده وجعلت (جعل خل) ترضضه وتهشمه ، ^(١) ويصيح الرجلان ويصرخان ، وكانت هناك طوامير آخر فنطقت وقالت : لا تزالان في هذا العذاب حتى تقرأ ما فيها من صفة محمد (عليه السلام) ونبوته وصفة علي (عليه السلام) وإمامته على ما أنزل الله فيه ، فقرأه صحيحاً وآمناب رسول الله (صلى الله عليه وآله) واعتقدا إمامة علي (عليه السلام) ولي الله ووصي رسول الله ، فقال الله تعالى : «ولا تلبسوا الحق بالباطل» بأن تقرّوا بمحمد وعلي من وجه وتجحدوا من وجه «وتكتموا الحق» من نبوة هذا وإمامة هذا «وأنتم تعلمون» أنكم تكتمونه وتكابرون علومكم (حلومكم خل) وعقولكم ، فإن الله إذا كان قد جعل أخباركم حجة ثم جحدتم لم يضيع هو حجته بل يقيمها من غير حججتكم ، فلا تقدّروا أنكم تغالبون ربكم وتقاهرونه . ^(٢)

ثم قال عز وجل لقوم من مردة اليهود ومنافقيهم الملحّتين لا أموال الفقراء ، المستأكلين

(١) وضضه : بالغ في وضه ، أي دقه وجرشه . هشم الشئ : بالغ في هشمه أي كسره .

(٢) في المصدر هنا قطعة طويلة في فضل الصلاة وغيرها ترك ذكرها .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٠٩ -

للأغنياء ، الذين يأمرّون بالخير ويتركونه ، وينهون عن الشرّ ويرتكبونه ، فقال يسا
معاشر اليهود : « تأمرّون الناس بالبرّ » بالصدقات وأداء الأمانات « وتنسون أنفسكم »
فلا تفعلون ما به تأمرّون « وأنتم تتلون الكتاب » : التوراة الآمرة بالخيرات ، الناهية
عن المنكرات ، المخبرة عن عقاب المتمرّدين ، وعن عظيم الشرف الذي يتطوّل الله به
على الطامعين المجتهدين « أفلا تعقلون » ما عليكم من عقاب الله تعالى في أمركم بما به
لا تأخذون ، وفي نهيككم عمّا أنتم فيه منهمكون ، وكان هؤلاء قومٌ من رؤساء اليهود و
علماءهم احتجّوا أموال الصدقات والمبرّات فأكلوها واقتطعوها ، ثمّ حضروا رسول
الله ﷺ وقد حرّشوا ^(١) عليه عوامّهم ، يقولون : إنّ محمداً قد تعدّى طوره وادّعى
ما ليس له ، فجاءوا بأجمعهم إلى حضرته وقد اعتقد عامّتهم أن يقمّوا برسول الله
صلّى الله عليه وآله فيقتلوه . ولو أنّه في جهاير من أصحابه لا يبالون بما أتاهم به الدهر
فلمّا حضروه وكانوا بين يديه قال له رؤساؤهم وقد واطؤوا عوامّهم على أنهم إذا فحموا
محمداً وضعوا عليه سيوفهم ، فقال رؤساؤهم : جئت يا محمّد تزعم أنّك رسول ربّ العالمين
نظير موسى و (سائر خل) الأنبياء المتقدّمين ؟ فقال رسول الله ﷺ : أمّا قولي : إنّني
رسول الله فنع ، وأمّا أن أقول : إنّني نظير موسى والآنبياء فما أقول هذا ، وما كنت
لأصغرّ ما قد عظّمه الله تعالى من قدرتي ، بل قال ربّي : يا محمّد إنّ فضلك على جميع
النبّيين والمرسلين والملائكة المقرّبين كفضلي - وأناربّ العزّة - على سائر الخلق
أجمعين وكذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام لما ظنّ أنّه قد فضّل على
جميع العالمين ؛ فغلظ ذلك على اليهود وهمّوا أن يقتلوه فذهبوا يسألون سيوفهم فما
منهم أحد إلّا وجد يديه إلى خلفه كالمتكّوف يابساً لا يقدر أن يحرّكهما وتحيروا ،
فقال رسول الله ﷺ - وقد رأى ما بهم من الحيرة - : لا تجزعوا فخير ^(٢) أراد الله تعالى
بكم ، منعكم من الوثوب على وليّه وحبسكم على استماع حجّته في نبوّة محمّد ووصيّة
أخيه عليّ .

(١) حرش بين القوم : أغرى بعضهم ببعض . وفي المصدر : وقد حرشوا عليه عوامهم .

(٢) في نسخة : فغيراً أراد الله تعالى بكم .

ثم قال رسول الله ﷺ : يا معاشر اليهود هؤلاء رؤساؤكم كافرون ، ولأموالكم محتجون ، ولحقوقكم باخسون ، ولكم في قسمة من بعد ما اقتطعوه ظالمون ^(١) يخفزون ويرفعون .

فقال رؤساء اليهود : حدث عن مواضع الحجّة : حجّة نبوتك وصيّة عليّ أخيك ، هذا دعواك الأباطيل وإغراؤك قومنا بنا . فقال رسول الله ﷺ : ولكن الله عزّ وجلّ قد أذن لنبيّه أن يدعو بالأموال التي خنتموها هؤلاء الضعفاء ومن يليهم فيحضرها ههنا بين يديه ، وكذلك يدعو حسباناتكم فيحضرها لديه ويدعو من واطأتموه على اقتطاع أموال الضعفاء فتتنطق باقتطاعهم جوارحهم ، وكذلك تنطق باقتطاعكم جوارحكم . ثم قال رسول الله ﷺ : يا ملائكة ربّي ^(٢) احضروني أصناف الأموال التي اقتطعها هؤلاء الظالمون لعوامّهم ، فإذا الدراهم في الأكياس والدنانير وإذا الثياب والحيوانات وأصناف الأموال منحدرّة عليهم من حالق حتّى استقرّت بين أيديهم .

ثم قال رسول الله ﷺ : ايتوني بحسبانات هؤلاء الظالمين الذين غلطوا بها هؤلاء الضعفاء ^(٣) فإذا أدرّاج تنزل عليهم ، فلمّا استقرّت على الأرض قال : خذوها ، فأخذوها وقرؤوا فيها : نصيب كلّ قوم كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : يا ملائكة ربّي اكتبوا تحت اسم كلّ واحد من هؤلاء ماسرقوه منه ويبيّنوه ، فظهرت كتابة بيّنه : لابل نصيب كلّ قوم (واحد دخل) كذا وكذا ، فإذا أنتم قد خانوهم عشرة أضعاف (أمثال خ ل) مادفعوا إليهم ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا ملائكة ربّي ميّزوا بين هذه الأموال الحاضرة كلّ ما فضل عمّا بيّنه هؤلاء الظالمون لنؤدّي إلى مستحقّه ، فاضطربت تلك الأموال وجعلت ينفصل بعض من بعض حتّى تميّزت أجزاء كما ظهرت في الكتاب المكتوب ويبيّن أنتم سرقوه واقتطعوه ، فدفع رسول الله ﷺ إلى من حضر من عوامّهم نصيبه وبعث إلى من غاب منهم فأعطاه وأعطى ورثة من قد مات ، وفصّح الله اليهود الرؤساء وغلب الشقاء على بعضهم وبعض العوامّ ، ووفق الله بعضهم .

(١) في نسخة : ولكم في قسمة ما اقتطعوه ظالمون .

(٢) في المصدر : لا ولكن الله .

(٣) في نسخة : يا ملائكة الله .

(٤) في نسخة وفي المصدر : هؤلاء الفقراء .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣١١ -

فقال له الرؤساء الذين هموا بالاسلام : نشهد يا محمد أنك النبي الأفضل وأن أخاك هذا وصيك هو الوصي الأجل الأكمل ، فقد فضحنا الله بذنوبنا ، رأيت إن تبنا مما اقتطعنا (أقلعنا خل) ماذا يكون حالنا ؟ .

قال رسول الله ﷺ : إذا أنتم في الجنان رفقائنا ، وفي الدنيا وفي دين الله إخواننا ويوسع الله أرزاقكم ، وتجدون في مواضع هذه الأموال التي أخذت منكم أضعافها وينسى هؤلاء الخلق فضيحتكم حتى لا يذكرها أحد منهم .

فقالوا : فإننا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك يا محمد عبده ورسوله وصفيته وخليفه ، وأن علياً أخوك ووزيرك والقيّم بدينك والنائب عنك والمناضل دونك ، وهومنك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا بنى بعدك ؛ فقال رسول الله ﷺ : فأنتم المفلحون . (١)

ثم قال الله تعالى : «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» أن بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنبوة فهديناهم إلى نبوة محمد ﷺ - وصية علي - (عليه السلام) وإمامة عترته الطيبين ، وأخذنا عليكم بذلك العهد والمواثيق التي إن وفيتم بها كنتم ملوكاً في جنانه ، مستحقين لكراماته ورضوانه «وأنني فضلتكم على العالمين» هناك ، أي فعلته بأسلافكم فضلتهم ديناً ودنياً ، أمّا تفضيلهم في الدين فلقبولهم ولاية محمد وعلي وآلهما الطيبين ، وأمّا في الدنيا فبأن ظلمت عليهم الغمام ، وأنزلت عليهم المن والسلوى وسقيتهم من حجر ماء عذبا ، وفلقت لهم البحر فأنجيتهم وأغرقت أعداءهم فرعون وقومه وفضلتكم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طرائقهم وحادوا عن سبيلهم .

ثم قال عز وجل لهم : فإذا كنت قد فعلت هذا بأسلافكم في ذلك الزمان لقبولهم ولاية محمد صلى الله عليه وآله فبالأحرى (٢) أن أزيدكم فضلاً في هذا الزمان إذا أنتم وفيتم بما أخذ من العهد والميثاق عليكم . ثم قال الله عز وجل : «واتقوا يوماً لا تجزي

(١) في المصدر هنا قطعة طويلة لم يذكرها المصنف .

(٢) في نسخة : فبالعزى .

نفس عن نفس شيئاً لا تدفع عنه (عنها خ ل) عذاباً قد استحققه عند النزع «ولا تقبل منها شفاعة» ولا تشفع لها بتأخير الموت عنها «ولا يؤخذ منها عدل» لا يقبل فداء مكانه يمات و يترك هو .

قال الصادق عليه السلام: وهذا يوم الموت فإن الشفاعة والفداء لا يغني عنه ، وأمّا في القيامة فإننا و أهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزء .^(١)

بيان : قوله : (احتجوا) بالنون قال الجوهرى : حجت الشيء و احتجته : إذا جذبته بالمحجن إلى نفسك ، و منه قول قيس ابن عاصم : عليكم بالمال و احتجانه هو ضممه إلى نفسك وإمساكك إياه .

وقال الجزري : فيه : (ما أقطعك العقيق لتحجته) أي تملكه دون الناس ، والاحتجان جمع الشيء وضمه إليك ؛ و منه : واحتجناه دون غيرنا انتهى .

وفي بعض النسخ بالباء ، أى احتجبوا بالأموال ، والأول أظهر . ويقال : اقتطع من ماله قطعة : أخذه . والحالق : الجبل المرتفع ، ويقال : جاء من حالق أي من مكان مشرف .

قوله عليه السلام : (ماسرقوه منه ويبنوه) أي وما يبنوه وأظهروه وأعطوه مستحقه ، أو هو بصيغة الأمر خطاباً للملائكة وهو أظهر . والمناضلة : المراماة : والمراد هنا مطلق الجهاد . قوله : (وحادوا) أي مالوا .

١١ - ٤ : قوله عز وجل : «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » قال الإمام عليه السلام : قال الله عز وجل : «ثم قست قلوبكم » عست^(٢) وجفت و دبست من الخير والرحمة قلوبكم معاصر اليهود «من بعد ذلك » من بعد ما بينت من الآيات الباهرات في زمان موسى ، و من الآيات المعجزات التي شاهدتموها من محمد صلى الله عليه وآله

(١) تفسير العسكري عليه السلام : ٩٢-٩٦ . والمحدث ذيل لم يورده المصنف هنا .

(٢) في المصدر : عمت .

«فهي كالحجارة» اليابسة لا ترشح برطوبة ولا ينتفض منها ما ينتفع به ، أي أنكم لاحق الله تؤذون ، ولامن أموالكم ولا من حواشيها تتصدقون ، ولا بالمعروف تتكرمون وبه تجودون ، ولا الضيف تقرون ، ولا مكروباً تغيثون ، ولا بشيء من الإنسانيّة تعاشرون و تعاملون « أو أشدّ قسوة » إنّما هي في قساوة الأحجار أو أشدّ قسوة أبهم على السامعين ولم يبين لهم ، كما يقول القائل : أكلت خبزاً أولحماً ، وهو لا يريد به أني لا أدري ما أكلت ، بل يريد أن يبهم على السامع حتّى لا يعلم ماذا أكل وإن كان يعلم أنّه ما قد أكل ، وليس معناه : بل أشدّ قسوة ، لأنّ هذا استدراك غلط ، وهو عز وجلّ يرتفع أن يغلط في خبر ثمّ يستدرك على نفسه الغلط ، لأنّه العالم بما كان وبما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون ، وإنّما يستدرك الغلط على نفسه المخلوق المنقوص ؛ ولا يريد به أيضاً : فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة ، أي وأشدّ قسوة ، لأنّ هذا تكذيب الأوّل بالثاني ، لأنّه قال : فهي كالحجارة في الشدة لا أشدّ منها ولا ألين ، فإذا قال بعد ذلك : أو أشدّ فقد رجع عن قوله الأوّل ، لأنّه ليس بأشدّ ، وهذا مثل لمن يقول : لا يجيء من قلوبكم خير لا قليل ولا كثير ،^(١) فأبهم عز وجلّ في الأوّل حيث قال : «أو أشدّ» و يبين في الثاني أنّ قلوبهم أشدّ قسوة من الحجارة لا بقوله : «أو أشدّ قسوة» بل بقوله تعالى : «وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» أي فهي في القساوة بحيث لا يجيء منها الخير ، و في الحجارة ما يتفجر منه الأنهار فيجيء بالخير والغياث لبني آدم «وإنّ منها» من الحجارة «لما يشقق فيخرج منه الماء» وهو ما يقطر منها الماء ، فهو خير منها دون الأنهار التي يتفجر من بعضها ، و قلوبهم لا يتفجر منها الخيرات ولا يشقق فيخرج منها قليل من الخيرات وإن لم يكن كثيراً ، ثمّ قال عز وجلّ : «وإنّ منها» يعني من الحجارة «لما يهبط من خشية الله» إذا أقسم عليها باسم الله و بأسماء أوليائه : تهلّ وعليّ وفاطمة والحسن و الحسين والطيبين من

(١) في المصدر هكذا : ولا يريد به أيضاً فهي كالحجارة في الشدة لا أشدّ منها ولا ألين ، فإذا قال بعد ذلك : أو أشدّ فقد رجع عن قوله الاول : أنها ليست بأشدّ ، هذا مثل أن يقول : لا يجيء من قبلك خير لا قليل ولا كثير . وفي المصدر المطبوع بهامش تفسير علي بن ابراهيم مثل ما في المتن .

آلهم صلى الله عليهم، وليس في قلوبكم شيء من هذه الخيرات «وما الله بغافل عما تعملون» بل عالم به يجازيكم عنه بما هو به عادل عليكم وليس بظالم لكم، يشدد حسابكم ويؤلم عقابكم، وهذا الذي وصف الله تعالى به قلوبهم ههنا نحو ما قال في سورة النساء «أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً» وما وصف به الأحقار ههنا نحو ما وصف في قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» وهذا التقرير من الله تعالى لليهود والناصب، واليهود جمعوا الأمرين واقتربوا الخطيئين، فغلظ على اليهود ما وبّخهم به رسول الله ﷺ.

فقال جماعة من رؤسائهم وذوي الألسن والبيان منهم: يا محمد إنك تهيجونا وتدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه، إن فيها خيراً كثيراً: نصوم و نتصدق ونواسي الفقراء.

فقال رسول الله ﷺ: إنما الخير ما أريد به وجه الله تعالى وعمل على ما أمر الله تعالى به، وأما ما أريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله ﷺ وإظهار العناد له والتمالك والشرف عليه فليس بخير، بل هو الشر الخالص، وبال على صاحبه يعدّ به الله به أشدّ العذاب.

فقالوا له: يا محمد أنت تقول هذا ونحن نقول: بل ما ننفعه إلا لا بطل أمرك ودفع رياستك وتفريق أصحابك عنك، وهو الجهاد الأعظم نؤمّل به من الله الثواب الأجلّ الأجسم، وأقلّ أحوالنا أننا تساوينا في الدعوى معك، فأيّ فضل لك علينا؟ فقال رسول الله ﷺ: يا إخوة اليهود إنّ الدعاوى يتساوى فيها الملحّون والمبطلون ولكن حجج الله ودلائله تفرق بينهم فتكشف عن تمويه المبطلين، وتبين عن حقائق الملحّين، ورسول الله محمد لا يغتنم جهلكم ولا يكلفكم التسليم له بغير حجة، ولكن يقيم عليكم حجة الله التي لا يمكنكم دفاعها ولا تطيقون الامتناع من موجبها، ولودهب محمد يريكم آية من عنده لشككتكم وقلتم: إنّه متكلف مصنوع محتال فيه معمول أو متواطئ عليه، وإذا اقترحتم أنتم فأراكم ما تقترحون لم يكن لكم أن تقولوا: معمول أو متواطئ عليه أو متأتى بحيلة ومقدمات، فما الذي تقترحون؟ فهذا ربّ

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣١٥ -

العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم ، ويزيد في بصائر المؤمنين منكم .

قالوا : قد أنصفتنا يا محمد ، فإن وفيت بما وعدت من نفسك من الإنصاف وإلا فأنت أول راجع من دعواك النبوة ، و داخل في غمار الأمة ، و مسلم لحكم التوراة لعجزك عما نقترحه عليك و ظهور باطل دعواك ^(١) فيما ترومه من جهتك . فقال رسول الله ﷺ : الصدق بيني وبينكم لا الوعيد ، ^(٢) اقترحوا ما أنتم مقترحون ، ^(٣) ليقطع معاذيركم فيما تسألون .

فقالوا له : يا محمد زعمت أنه ما في قلوبنا شيء من مواساة الفقراء ومعاونة الضعفاء والنفقة في إبطال الباطل وإحقاق المحق ، وأن الأحقار ألين من قلوبنا ، وأطوع لله ممنا ، وهذه الجبال بحضرتنا فهلهم بنا إلى بعضها فاستشهده على تصديقك و تكذيبنا ، فإن نطق بتصديقك فأنت المحق يلزمنا اتباعك ، وإن نطق بتكذيبك أو صمت فلم يرد جوابك فاعلم أنك المبطل في دعواك المعاند لهواك . فقال رسول الله ﷺ : نعم هلموا بنا إلى أيها شئتم فاستشهده لي بشهد لي عليكم ، فخرجوا إلى أوعرجيل رأوه .

فقالوا : يا محمد هذا الجبل فاستشهده ، فقال رسول الله ﷺ للجبل : إنني أسألك بجاء محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ^(٤) ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم غير الله ^(٥) عز وجل ، وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم تاب الله على آدم و غفر خطيئته وأعادته إلى مرتبته ، وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم وسؤال الله بهم رفع إدريس في الجنة مكاناً علياً لما شهدت لمحمد بما أودعك الله بتصديقه على هؤلاء اليهود في ذكر قساوة قلوبهم وتكذيبهم في جحدهم لقول محمد رسول الله ﷺ ،

(١) في المصدر : وظهور الباطل في دعواك .

(٢) في المصدر و في نسخة : الصدق بيني وبينكم لا الوعيد .

(٣) في المصدر : اقترحوا بما أنتم مقترحون .

(٤) جمع الكاهل : أعلى الظهر مما يلي العنق .

(٥) في نسخة : إلا الله .

فتحرّك الجبل وتزلزل وفاض عنه الماء ونادى : يا محمد أشهد أنّك رسول ربّ العالمين ،
وسيدّ الخلائق أجمعين ، وأشهد أنّ قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة
لا يخرج منها خير كما قد يخرج من الحجارة الماء سيلاً أو تفجّراً ،^(١) وأشهد أنّ هؤلاء
كاذبون عليك فيما به يقذفونك من الفرية على ربّ العالمين .^(٢)

توضيح : أقول : تمامه في أبواب معجزات النبي ﷺ . ويقال : عسا الشيء :
إذا يابس وصلب . قوله : (الصدق بيني وبينكم) أي يجب أن نصدق فيما نقول ونأتي به
ولا نكتفي بالوعد والوعيد ، وفي بعض النسخ : ينبيء عنكم وهو أظهر .

١٢ - ٤ : قوله تعالى : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم» الآية ، قال الإمام عليه السلام :
فلما بهر رسول الله ﷺ هؤلاء اليهود بمعجزته وقطع معاذيرهم بواضح دلالة لم يمكنهم
مراجعته في حجّته ولا إدخال التلبيس عليه في معجزاته قالوا : يا محمد قد آمنا بما أتاك
الرسول الهادي المهدي ، وأنّ علينا أخوك هو الوصي والولي ، وكانوا إذا خلوا
باليهود الآخرين يقولون لهم : إنّ إظهارنا له الإيمان به أمكن لنا من مكروهه ، و
أعون لنا على اصطلامه واصصلام أصحابه ، لأنّهم عند اعتقادهم أنّنا معهم يقفوننا على
أسرارهم ولا يكتموننا شيئاً ، فنُطلع عليهم أعداءهم فيقصّدون أذاهم بمعاونتنا و
مظاهرتنا في أوقات اشتغالهم واضطرابهم وأحوال تعدّر المدافعة و الامتناع من الأعداء
عليهم ، وكانوا مع ذلك ينكرون على سائر اليهود الإخبار للناس عمّا كانوا يشاهدونه
من آياته ويعاينونه من معجزاته ، فأظهر الله ﷻ أنّ رسوله على قبح اعتقادهم وسوء
دخيلاتهم^(٣) (دخالاتهم خل) وعلى إنكارهم على من اعترف بمشاهدته من آيات محمد و
واضح بيّناته وباهر معجزاته ، فقال عز وجلّ : «أفتطمعون» أنت وأصحابك من عليّ
عليه السلام وآله الطيّبين « أن يؤمنوا لكم » هؤلاء اليهود الذين هم بحجج الله قد
بهرتموهم ، وبآيات الله ودلائله الواضحة قد قهرتموهم « أن يؤمنوا لكم » ويصدّقوكم

(١) في المصدر أو تفجيراً .

(٢) تفسير العسكري : ١١٣ - ١١٥ .

(٣) في المصدر : على سوء اعتقادهم وقبح اخلاقهم . وفي طبعه الآخر أضاف : ودخالاتهم .

بقلوبهم و يبدوا في الخلوات لشياطينهم شريف أحوالكم « وقد كان فريق منهم » يعني من هؤلاء اليهود من بني إسرائيل « يسمعون كلام الله » في أصل جبل طور سيناء و أوامره و نواهيه « ثم يحرفونه » عما سمعوه إذا أدّوه إلى من وراءهم من سائر بني إسرائيل « من بعد ما عقلوه » و علموا أنهم فيما يقولونه كاذبون « وهم يعلمون » أنهم في قلوبهم كاذبون (١)

ثم أظهر الله على نفاقهم الآخر فقال : « وإذا لقوا الذين آمنوا » كانوا إذا لقوا سلمان و المقداد و أبازر و عماراً قالوا : « آمنا » كما يمانكم إيماناً بنبوّة محمد ﷺ مقروناً بالإيمان بأمامة أخيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، و بأنه أخوه الهادي ، و وزيره الموثاني ، (٢) و خليفته على أمته ، و منجز عدته و الوافي بدمته ، (٣) و الناهض بأعباء سياسته ، و قسيم الخلق ، الذابّ لهم عن سخط الرحمن ، الموجب لهم إن أطاعوه رضى الرحمن ، و أن خلفاءه من بعده هم النجوم الزاهرة ، (٤) و الأقمار النيرة ، و الشمس المضيئة الباهرة ، و أن أولياءهم أولياء الله ، و أن أعداءهم أعداء الله ، و يقول بعضهم : نشهد أن محمداً صاحب المعجزات ، و مقيم الدلالات الواضحات - و ساق الحديث كما سيأتي في أبواب معجزات الرسول ﷺ ، و باب غزوة بدر إلى قوله - : فلمّا أفضى بعض هؤلاء اليهود إلى بعض قالوا : أي شيء صنعتم ؟ أخبرتموهم (٥) بما فتح الله عليكم

(١) في المصدرنا زيادة وهي هكذا : و ذلك أنهم لما صاروا مع موسى إلى الجبل فسمعوا كلام الله و وقفوا على أوامره و نواهيه ، و رجعوا فأدّوه إلى من بعدهم فشق عليهم ، فاما المؤمنون منهم فثبتوا على إيمانهم و صدقوا في نيّاتهم ، و أما أسلاف هؤلاء اليهود الذين نافقوا رسول الله في هذا القصة فانهم قالوا لنبي إسرائيل : إن الله تعالى قال لنا هذا و أمرنا بما ذكرناه لكم و نهانا ، و اتبع ذلك بأنكم إن صعب عليكم ما أمرتكم به فلا عليكم أن لا تفعلوه و إن صعب عليكم بما عنه نهيتكم فلا عليكم أن ترتكبوه و تواقعوه ، و هم يعلمون أنهم يقولون (يقولهم خ ل) هذا كاذبون ، ثم أظهر الله على نفاقهم الآخر مع جهلهم فقال اه ١ .

(٢) في المصدر : و وزيره الموالى (الموافى خ ل) . قلت : الموثاني : الموافق .

(٣) في هامش المصدر : (بدينه خ ل) .

(٤) في المصدر : هم النجوم الظاهرة .

(٥) في المصدر : أي شيء صنعتم « أتحدثونهم » أخبرتموهم اه .

من الدلالات على صدق نبوة محمد ﷺ وإمامة أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام « ليحاجوكم به عند ربكم » بأنكم كنتم قد علمتم هذا و شاهدتموهم فلم تؤمنوا به ولم تطيعوه ، وقد روا بجعلهم أنهم إن لم يخبروهم بتلك الآيات لم يكن له عليهم حجة في غيرها ، ثم قال عز وجل : « أفلا تعقلون » أن هذا الذي يخبرونهم به مما فتح الله عليكم من دلائل نبوة محمد ﷺ حجة عليكم عند ربكم ، قال الله تعالى : « أولايعلمون » يعني أولاً يعلم هؤلاء القائلون لأخوانهم : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم « أن الله يعلم ما يسرون » من عداوة محمد ﷺ ويضمرونه من أن إظهارهم الإيمان به أمكن لهم من اصطلامه وإبادة أصحابه (١) « وما يعلنون » من الإيمان ظاهراً ليؤنسوهم ويقفوا به على أسرارهم فيذيعونها بحضرة من بضرتهم ، وأن الله لمسا علم ذلك دبّر لمحمد ﷺ تمام أمره ببلوغ غاية ما أراد الله ببعثه ، وأنه يتم أمره وأن اتفاقهم وكيدهم لا يضره .

قوله تعالى : « ومنهم أمميون » الآية ، قال الإمام عليه السلام : ثم قال الله تعالى : يا محمد ومن هؤلاء اليهود أمميون لا يقرؤون الكتاب ولا يكتبون كالأُمِّيِّ ، منسوب إلى الأُمِّ (أُمّه خل) أي هو كما خرج من بطن أُمّه لا يقرء ولا يكتب ، لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا المتكذب به (٢) ولا يميزون بينهما « إلا أمانى » أي إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم : إن هذا كتاب الله وكلامه ، ولا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما فيه « وإن هم إلا يظنون » أي ما يقول لهم (٣) رؤساؤهم من تكذيب محمد ﷺ في نبوته وإمامة علي عليه السلام سيّد عترته يقلّدونهم (٤) مع أنه معرّم عليهم تقليدهم . (٥) ثم قال عز وجل : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم » الآية ، قال

(١) الإبادة : الإهلاك .

(٢) في المصدر : ولا المكتوب به .

(٣) في نسخة : إن ما يقول لهم .

(٤) في المصدر : إلا ما يقول لهم رؤساؤهم من تكذيب محمد في نبوته وإمامة علي سيد

عترته وهم يقلّدونهم .

(٥) قطع من هنا قطعة طويلة .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣١٩ -

الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل لقوم من هؤلاء اليهود كتبوا صفة زعموا أنها صفة النبي ﷺ وهو خلاف صفته ، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان: إنه طويل ، عظيم البدن والبطن ، أصهب الشعر ، ومجد بخلافه ، وهو يحيي بعد هذا الزمان بخمس مائة سنة ، وإنما أرادوا بذلك لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم ، وتدوم لهم منهم إصاباتهم ، ويكفوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول الله ﷺ وخدمة علي عليه السلام وأهل خاصته ، فقال الله عز وجل: « فويل لهم مما كتبت أيديهم » من هذه الصفات المحرقات المخالفات لصفة محمد ﷺ وعلي عليه السلام ، الشدة لهم من العذاب في أسوأ بقاع جهنم « وويل لهم » الشدة من العذاب ثانية لهم مضافة إلى الأولى « مما يكسبون » من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عواصمهم على الكفر بمحمد رسول الله ﷺ ، والجعد لوصية أخيه علي ولي الله ﷺ .

وقالوا: « لن تمسنا النار إلا أيتاماً معدودة » الآية ، قال الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل: « وقالوا » يعني اليهود المظهرين للإيمان ، المسرّين للنفاق ، المدبرين (١) علي رسول الله ﷺ (٢) وذو به بما يظنون أن فيه عظيمهم (٣) « لن تمسنا النار إلا أيتاماً معدودة » وذلك أنه كان لهم أصهار وإخوة رضاع من المسلمين يسرون كفرهم عن محمد ﷺ وصحبه وإن كانوا به عارفين ، صيانة لهم لأرحامهم وأصهارهم ، قال لهم هؤلاء: ولم تفعلون هذا النفاق الذي تعلمون أنكم به عند الله مسخوطين عليكم معدون ؟ أجابهم ذلك اليهود بأن مدة ذلك العذاب نعتب به لهذه الذنوب أيتاماً معدودة تنقضي ، ثم نصير بعد في النعمة في الجنان ، فلا تتعجل المكروه في الدنيا للعذاب الذي هو بقدر أيام ذنوبنا ، فإنها تفنى وتنقضي ، ونكون قد حصلنا لذات الحريرة من الخدمة ولذات نعمة الدنيا ، ثم لانبالي بما يصيبنا بعد ، فإنه إذا لم يكن دائماً فكأنه قد فنى .

فقال الله عز وجل: « قل » يا محمد « أتأخذتم عند الله عهداً » أن عذابكم على كفركم

(١) في نسخة: يعني اليهود المظهرين للإيمان ، المسرون للنفاق ، المدبرون اهـ .

(٢) في المصدر: اليهود المصرون المظهرين للإيمان المسرون للنفاق المدبرون على رسول الله .

(٣) أى يظنون أن فيه هلاكهم .

بمحمّد ﷺ و دفعكم لآياته في نفسه وفي عليّ ﷺ وسائر خلفائه وأوليائه منقطع غير دائم ؛ بل ماهو إلا عذاب دائم لا نفاد له ، فلا تجتروا على الآثام والقبائح من الكفر بالله و برسوله و بوليّه المنصوب بعده على أمته ، ليسوسهم و يرعاهم سياسة الوالد الشفيق الرحيم الكريم لولده ، و رعاية الحذب المشفق على خاصّته « فلن يخلف الله وعده » عهدّه ، فلذلك أنتم^(١) بما تدّعون من فناء عذاب ذنوبكم هذه في حرز « أم تقولون على الله ما لا تعلمون » بل أنتم في أيّهما ادّعيتم كاذبون^(٢) .

١٣ - م : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول » الآية ، قال الإمام ﷺ : قال الله عزّ وجلّ وهو يخاطب هؤلاء اليهود الذين أظهر محمد صلى الله عليه وآله الطيبين المعجزات لهم عند تلك الجبال ويوتئهم : « ولقد آتينا موسى الكتاب » التوراة المشتمل على أحكامنا و على ذكر فضل محمد وآله الطيبين ، وإمامة عليّ بن أبي طالب وخلفائه بعده ، وشرف أحوال المسلمين له ، وسوء أحوال المخالفين عليه « وقفيناً من بعده بالرسول » وجعلنا رسولاً في أثر رسول « وآتيناه » أعطيناه « عيسى بن مريم البيّنات » الآيات الواضحات : إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم « وآيدناه بروح القدس » وهو جبرئيل ﷺ ، وذلك حين رفعه من روضة بيته إلى السماء ، وألقى شبهه على من رام قتله فقتل بدلاً منه ؛ وقيل : هو المسيح^(٣) .

١٤ - م : قوله عزّ وجلّ : « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » قال الإمام ﷺ : قال الله تعالى : « وقالوا » يعني اليهود الذين أراهم رسول الله ﷺ المعجزات المذكورات عند قوله : « فهي كالحجارة » الآية : « قلوبنا غلف » أوعية للخير ، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها ، ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله ، ولا على لسان أحد من أنبياء الله ، فقال الله تعالى ردّاً عليهم : « بل » ليس كما يقولون أوعية للعلوم ولكن قد « لعنهم الله » أبعدهم

(١) في المصدر : فكذلك أنتم .

(٢) تفسير المسكوى : ٢١٦ - ٢٣ .

(٣) تفسير المسكوى : ١٤٨ ، ولحديث ذيل .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٢١ -

الله من الخير « فقليلاً ما يؤمنون » قليل إيمانهم ، يؤمنون ببعض ما أنزل الله ويكفرون ببعض ، فإذا كذبوا نكذبوا في سائر ما يقول فقد صار ما كذبوا به أكثر وما صدقوا به أقل ، وإذا قرئ « غلف » فأنتمهم قالوا : قلوبنا غلف ، في غطاء فلانفهم كلامك و حديثك ، نحو ما قال الله تعالى : « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه و في آذاننا وقر ومن بيننا و بينك حجاب » وكلا القراءتين حق ، وقد قالوا بهذا و بهذا جميعاً .

ثم قال رسول الله ﷺ : معاشر اليهود أتعاقدون رسول رب العالمين ؛ و تأبون الاعتراف بأنكم كنتم بذنوبكم من الجاهلين ؛ إن الله لا يعذب بها أحداً ولا يزيل عن فاعل هذا عذابه أبداً ، إن آدم ﷺ لم يقترح على ربه المغفرة لذنبه إلا بالتوبة ، فكيف تقترحونها أنتم مع عنادكم ؟ (١)

توضيح : قال الطبرسي رحمه الله : القراءات المشهورة « غلف » بسكون اللام ، و روي في الشواذ « غلف » بضم اللام عن أبي عمرو ، فمن قرأ بتسكين اللام فهو جمع الأغلف ، يقال للسيف إذا كان في غلاف : أغلف ، ومن قرأ بضم اللام فهو جمع غلاف فمعناه : أن قلوبنا أوعية العلم فما بالها لاتفهم ؟ .

١٥ - ٤ : قوله عز وجل : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » إلى قوله : « والله بصير بما يعملون » قال الإمام ﷺ : قال الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ : إن الله تعالى لمّا وبّخ هؤلاء اليهود على لسان رسول الله ﷺ وقطع معاذيرهم ، و أقام عليهم الحجج الواضحة بأن محمد ﷺ سيد النبيين وخير الخلائق أجمعين ، وأن علياً ﷺ سيد الوصيين (٢) و خير من يخلفه بعده في المسلمين ، و أن الطيبين من آلهم القوام بدين الله و الأئمة لعباد الله عز وجل ، و انقطعت معاذيرهم وهم لا يمكنهم إيراد حجة ولا شبهة فجاءوا إلى أن كابروا (٣) فقالوا : لاندرى ما نقول ، ولكننا نقول : إن الجنة خالصة لنا من دونك يا محمد و دون علي و دون أهل دينك و أممتك ،

(١) تفسير العسكري : ١٥٦ و للحديث ذيل .

(٢) في نسخة : و أن علياً أمير المؤمنين .

(٣) في نسخة : إلى أن تكابروا .

وإننا بكم مبتلون ومنتحنون ، ونحن أولياؤ الله المخلصون وعباده الخيرون ، و مستجاب دعاؤنا غير مردود علينا بشيء من سؤالنا ربنا ؛ فلمّا قالوا ذلك قال الله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام : « قل يا محمد لهؤلاء اليهود « إن كانت لكم الدار الآخرة الجنة و نعيمها « خالصة من دون الناس « محمد وعليّ والأئمة عليهم الصلاة والسلام وسائر الأصحاب و مؤمني الأمة وإنكم بمحمد و ذريّته منتحنون ، وإن دعاكم مستجاب غير مردود « فتمنّوا الموت « للكاذبين منكم ^(١) و من مخالفكم ، فإنّ محمداً و عليّاً و ذريّتهما ^(٢) يقولون : إنهم أولياء الله عزّ وجلّ من دون الناس الذين يخالفونهم في دينهم ، وهم المجاب دعاؤهم ، فإن كنتم معاشر اليهود كما تدّعون فتمنّوا الموت للكاذبين منكم ^(٣) و من مخالفكم « إن كنتم صادقين « بأنكم أنتم المحققون ، المجاب دعاؤكم على مخالفكم ، فقولوا : اللهم أمت الكاذب منّا و من مخالفينا ، ليستريح منه الصادقون ، ولتزداد حجّتك ^(٤) وضوحاً بعد أن قد صحت و وجبت ^(٥) .

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ بعد ما عرض هذا عليهم : لا يقولها أحدٌ منكم إلّا قدغصّ بريقه فمات مكانه - وكانت اليهود وعلماء بأنهم هم الكاذبون ، وأنّ محمداً ﷺ وعليّاً عليه السلام و مصدقيهما هم الصادقون - فلم يجسروا أن يدعوا بذلك لعلمهم بأنهم إن دعوا فهم الميّتون ، فقال تعالى : « ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم » يعني اليهود لن يتمنّوا الموت للكاذب بما قدّمت أيديهم من الكفر بالله ، و بمحمد رسوله و نبيّه و صفيّه ، و بعليّ أخيه نبيّه و وصيّه ، و بالطاهرين من الأئمة المنتجبين ، قال الله تعالى : « والله أعلم بالظالمين » اليهود إنهم لا يجسرون أن يتمنّوا الموت للكاذب لعلمهم أنّهم هم الكاذبون ، ولذلك أمر أن تبهرهم بحجّتك ، وتأمرهم أن يدعوا على الكاذب ليمنعوا من الدعاء و يتيسّن للضعفاء أنّهم هم الكاذبون . ثمّ قال : يا محمد « ولتجدنهم » يعني تجد هؤلاء اليهود « أحرص الناس على حياة » وذلك لأنّهم من نعيم

(١) في نسخة : للكذاب منكم .

(٢) في نسخة : فإن محمداً وعليّاً وذويهما .

(٣) في نسخة : للكذاب منكم .

(٤) في المصدر : و لتزداد حجّتك وضوحاً .

(٥) في النسخة المقرّوة على المصنف . ووجه .

الآخرة لانهما كهم في كفرهم الذين^(١) يعلمون أنهم لاحظ لهم معه في شيء من خيرات الجنة «ومن الذين أشركوا» قال تعالى : هؤلاء اليهود أحرص الناس على حياة ، وأحرص من الذين أشركوا على حياة ، يعني المجوس لأنهم لا يرون النعيم إلا في الدنيا ، ولا يؤمنون خيراً في الآخرة ، فلذلك هم أشد الناس حرصاً على حياة ؛ ثم وصف اليهود فقال : «يودّ أحدهم» يتمنى أحدهم «أن يعمّر ألف سنة وما هو» أي التعمير ألف سنة «بمزرحة» بمباعده من العذاب «أن يعمّر» تعميره ، وإنما قال : «وما هو بمزرحة من العذاب أن يعمّر» ولم يقل : وما هو بمزرحة فقط ؟ لأنه لو قال : وما هو بمزرحة من العذاب والله بصير لكان يحتمل أن يكون وما هو يعني وده وتمنييه بمزرحة ، فلمّا أراد وماتعميره قال : وما هو بمزرحة أن يعمّر ، ثم قال : «والله بصير بما يعملون» فعلى حسبه يجازيهم ويعدل عليهم ولا يظلمهم .

قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : لما كاعت اليهود عن هذا التمني وقطع الله معاذيرهم قالت طائفة منهم - وهم بحضرة رسول الله ﷺ وقد كاعوا وعجزوا - : يا محمد فأنتم والمؤمنون المخلصون لك معجائب دعاؤكم ؟ وعليّ أخوك وصيّك أفضلهم وسيدهم ؟ قال رسول الله ﷺ : بلى .

قالوا : يا محمد فإن كان هذا كما زعمت فقل لعليّ يدعو الله لابن رئيسنا هذا فقد كان من الشباب جيلاً نبيلاً وسيماً قسماً ، لحقه برص وجذام وقد صار حتى لا يقرب ، وهم جوداً لا يعاشر ، يناول الخبز على أسنة الرماح . فقال رسول الله ﷺ : ايتوني به ، فأتني به ، فنظر رسول الله ﷺ وأصحابه منه إلى منظر فظيع سمع قبيح كراهه ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا حسن ادع الله له بالعافية ، فإن الله يجيبك فيه ، فدعا له فلمّا كان بعد (عند نخل) فراغه من دعائه إذا الفتى قد زال عنه كلّ مكروه وعاد إلى أفضل ما كان عليه من النبل والجمال والوسامة والحسن في المنظر .

فقال رسول الله ﷺ للفتى : يا فتى آمن بالذي أغاثك من بلامك . قال الفتى : قد آمنت - وحسن إيمانه - فقال أبوه : يا محمد ظلمتني وذهبت منّي بابني ، ياليتك كان أجزم

(١) في نسخة : لانهما كهم في كفرهم الذي .

أبرص كما كان ولم يدخل في دينك ، فإن ذلك كان أحب إليّ .
قال رسول الله ﷺ : لكن الله عز وجل قد خلّصه من هذه الآفة وأوجب له نعيم الجنة . قال أبوه : يا محمد ما كان هذا لك ولالصاحبك ، ^(١) إنما جاء وقت عافيته فعوفي ، فإن كان صاحبك هذا - يعني علياً - مجاباً في الخير فهو أيضاً مجاب في الشر فقل له : يدعو عليّ بالجذام والبرص ، فإنني أعلم أنه لا يصيبني ، ليتبين لهؤلاء الضعفاء الذين قد اغترشوا بك أن زواله عن ابني لم يكن بدعائه .

فقال رسول الله ﷺ : يا يهودي اتق الله وتهنأ بعافية الله إيساك ، ولا تنعرض للبلاء ولما لا تطيقه ، وقابل النعمة بالشكر ، فإن من كفرها سلبها : ومن شكرها امتري مزيدها . فقال اليهودي : من شكر نعم الله تكذيب عدو الله المفتري عليه ، وإنما أريد بهذا أن أعرف ولدي أنه ليس مما قلت له وادّعيته قليل ولا كثير ، وأن الذي أصابه من خير لم يكن بدعاء عليّ صاحبك .

فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : يا يهودي هبك قلت : إن عافية ابنك لم يكن بدعاء عليّ عليه السلام ، وإنما صادف دعاؤه وقت مجيء عافيته ، رأيت لودعا عليّ عليه السلام بهذا البلاء الذي اقترحته فأصابك أقول : إن ما أصابني لم يكن بدعائه ، ولكنه صادف دعاؤه وقت بلائي ؟ قال : لأقول هذا ، لأن هذا احتجاج مني على عدو الله في دين الله واحتجاج منه عليّ ، والله أحكم من أن يجيب إلى مثل هذا فيكون قد فتن عباده ودعاهم إلى تصديق الكاذبين .

فقال رسول الله ﷺ : فهذا في دعاء عليّ عليه السلام لابنك كهو في دعائه عليك ، لا يفعل الله تعالى ما يلبس به على عباده دينه ويصدق به الكاذب عليه ؛ فتحيّر اليهودي لما بطلت عليه شبهته وقال : يا محمد ليفعل عليّ هذا بي إن كنت صادقاً .

فقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : يا أبا حسن قد أبى الكافر إلا عتوا وتمرداً وطغياناً ، فادع عليه بما اقترح ، وقل : اللهم ابتله ببلاء ابنه من قبل ، فقالها فأصاب اليهودي داء ذلك الغلام مثل ما كان فيه الغلام من الجذام والبرص ، واستولى عليه الألم

(١) في نسخة : وللاصحابك .

والبلاء ، وجعل يصرخ ويستغيث ويقول : يا محمد قد عرفت صدقك فأقطني .
فقال رسول الله ﷺ : لو علم الله صدقك لنجباك ، ولكنك عالم بأنك لا تخرج عن
هذا الحال إلا ازددت كفراً ، ولو علم أنه إن نجاك آمنت به لجاد عليك بالنجاة ، فإنه
الجواد الكريم .

ثم قال ﷺ : فبقي اليهودي في ذلك الداء والبرص أربعين سنة آية للناظرين ،
وعبرة للمعتبرين ، وعلامة وحجة بينة لمحمد ﷺ باقية للغابرين ، وعبرة
للمتكبرين ، وبقي ابنه كذلك معافى صحيح الأعضاء والجوارح ثمانين سنة عبرة
للمعتبرين ، وترغيباً للكافرين في الإيمان ، وتزهيداً لهم في الكفر والعصيان .

وقال رسول الله ﷺ حين حل البلاء باليهودي بعد زوال البلاء عن ابنه : عباد الله
وأيهاكم والكفر لنعم الله ^(١) فإنه مشوم على صاحبه ، ألا وتقرّوا إلى الله بالطاعات
يجزل لكم المثوبات ، وقصّروا أعماركم في الدنيا بالتعرض لأعداء الله في الجهاد لتتناووا
طول أعمار الآخرة ^(٢) في النعيم الدائم الخالد ، وابذلوا أموالكم في الحقوق اللازمة
ليطول غناؤكم في الجنة . فقام ناس فقالوا : يا رسول الله نحن ضعفاء الأبدان قليلو الأعمار
الأموال لانفي بمجاهدة الأعداء ، ولا تفضل أموالنا عن نفقات العيالات ، فماذا نصنع ؟
قال رسول الله ﷺ : ألا فليكن صدقاتكم من قلوبكم وألسنتكم .

قالوا : كيف يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال ﷺ : أمّا القلوب فتقطعونها
(فتعقدونها خُل) على حب الله وحب محمد رسول الله وحب علي ولي الله ووصي رسول الله ،
وحب المنتجبين للقيام بدين الله ، وحب شيعتهم ومحبيهم ، وحب إخوانكم المؤمنين ،
والكف عن اعتقادات العداوات والشحناء والبغضاء ، وأمّا الألسنة فتطلقونها بذكر
الله تعالى بما هو أهله ، والصلاة على نبيه محمد وآله الطيبين ، فإن الله تعالى بذلك
يبلغكم أفضل الدرجات وينيلكم به المراتب العاليات ^(٣) .

(١) في نسخة : بنعم الله .

(٢) في نسخة : طول الأعمار في الآخرة .

(٣) تفسير العسكري : ١٢٩-١٨٢ .

بيان : كاع عنه أي هاب وجبن . والوسيم : الحسن الوجه ، وكذا القسم بمعناه . ويقال : هذا شيء محي على فعل أي محذور لا يقرب ، ويقال : امترى الريح السحاب أي استدره .

١٦- م : قوله عز وجل : « ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون » قال الإمام عليه السلام : قال الله تعالى : « ولقد أنزلنا إليك » يا محمد « آيات بيّنات » دالات على صدقك في نبوتك ، مبيّنات عن إمامة علي عليه السلام أخيك ووصيك وصفيك ، موضحات عن كفر من شك فيك أو في أخيك أو قابل أمر واحد منكما بخلاف القبول والتسليم . ثم قال : « وما يكفر بها » بهذه الآيات الدالات على تفضيلك وتفضيل علي عليه السلام بعدك على جميع الوري « إلا الفاسقون » الخارجون عن دين الله وطاعته من اليهود والكاذبين ، والنواصب المتسمين بالمسلمين .

قال الإمام عليه السلام : قال علي بن الحسين عليه السلام : وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما آمن به عبد الله بن سلام بعد مسأله التي سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وجوابه إياه عنها قال له : يا محمد بقيت واحدة وهي المسألة الكبرى والغرض الأقصى : من الذي يخلفك بعدك ويقضي ديونك وينجز عداتك ويؤدي أماناتك ويوضح عن آياتك وبيّناتك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أولئك أصحابي قعود ، فامض إليهم فسيدلك النور الساطع في دائرة غرّة ولي عهدي وصفحة خدي ، وسينطق طومارك بأنّه هو الوصي وستشهد جوارحك بذلك .

فصار عبد الله بن سلام إلى القوم فرأى علياً عليه السلام يسطع من وجهه نور يبهر نور الشمس ، ونطق طوماره وأعضاء بدنه كل يقول : يا ابن سلام هذا علي بن أبي طالب عليه السلام المألى جنان الله بمحبّيه ونيرانه بشأنّيه ، الباث دين الله في أقطار الأرض وآفاقها ، والنافي الكفر عن نواحيها وأرجائها ، فتمسك بولايته تكن سعيداً ، وأثبت على التسليم له تكن رشيداً .

فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله المصطفى ، وأمينه المرتضى ، وأميره على جميع الوري ،

وأشهد أن علياً عليه السلام أخوه وصيته القائم بأمره ، المنجز لعداته ، المؤدي لأماناته ، الموضح لآياته وبيّناته ، الدافع للأباطيل بدلائله ومعجزاته ، وأشهد أنكما المذنان بشتر بكما موسى ومن قبله من الأنبياء ، ودلّ عليكما المختارون من الأصفياء ، ثم قال لرسول الله ﷺ : قد تمت الحجج وانزاحت العلل وانقطعت المعاذير فلا عذر لي إن تأخّرت عنك ، ولا خير فيّ إن تركت التعصّب لك .

ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن سمعوا بإسلامي وقعوا فيّ ، فأخبأني عندك ،^(١) وإذا جاؤوك فسلمهم عنّي لتسمع قولهم فيّ قبل أن يعلموا بإسلامي وبعده لتعلم أحوالهم ؛ فأخبأه رسول الله ﷺ في بيته ثم دعا قوماً من اليهود فحضره وعرض عليهم أمره فأبوا ، فقال : بمن ترضون حكماً بيني وبينكم ؟ قالوا : بعبد الله بن سلام . قال : وأي رجل هو ؟ قالوا : رئيسنا وابن رئيسنا ، وسيّدنا وابن سيّدنا ، وعالمنا وابن عالمنا ، وورعنا وابن ورعنا ، وزاهدنا وابن زاهدنا .

فقال رسول الله ﷺ : أراستم إن آمن بي أتؤمنون ؟ قالوا : قد أعاذه الله من ذلك ثم أعادها وأعادوها . فقال : اخرج عليهم يا عبدالله وأظهر ما قد أظهره الله لك من أمر محمد ﷺ ، فخرج عليهم وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المذكور في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم و سائر كتب الله ، المدلول فيها عليه وعلى أخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فلمّا سمعوه يقول ذلك قالوا : يا محمد سفيهنا وابن سفيهنا ، وشرّنا وابن شرّنا ، وفاسقنا وابن فاسقنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا ، كان غائباً عنّا فكرهنا أن نغتابه .

فقال عبدالله : هذا الذي كنت أخافه يا رسول الله ، ثم إن عبدالله حسن إسلامه و لحقه القصد الشديد من جيرانه من اليهود ، وكان رسول الله ﷺ في حجارة القيظ في مسجده يوماً إذ دخل عليه عبدالله بن سلام وقد كان بلال أذن للصلاة والناس بين قائم

(١) في نسخة : واغتابوني عندك ، والموجود في المصدر هكذا : وإنهم إن سمعوا بإسلامي لا تكروا ببريتي في علم التوراة وتعظيمهم بي وسندية قولي عندهم ، فأخبأني عندك فأطلبهم فإذا جاؤوك فأسألكم عن حال ورتبتي بينهم لتسمع اه .

وقاعد وراكع وساجد فنظر رسول الله ﷺ إلى وجهه عبد الله فرآه متغيّراً وإلى عينيه دامت عين ، فقال : مالك يا عبد الله ؟ فقال : يا رسول الله قصدتني اليهود وأساءت جوارى ، وكلّ ماعون لي استعاروه منّي وكسروه وأتلفوه ، وما استعرت منهم منعوني ، ثمّ زاد أمرهم بعد هذا فقد اجتمعوا وتواطؤوا وتحالفوا على أن لا يجالسني منهم أحد ، ولا يبايعني ولا يشاريني ^(١) ولا يكلمني ولا يخالطني ، ^(٢) وقد تقدّموا بذلك إلى من في منزلي ، فليس يكلمني أهلي ، وكلّ جيراننا يهود وقد استوحشت منهم ، فليس لي أنس بهم ، والمسافة ما بيننا وبين مسجدك هذا ومنزلك بعيدة ، فليس يمكنني في كلّ وقت يلحقني ضيق صدر منهم أن أقصد مسجدك أو منزلك ، فلمّا سمع ذلك رسول الله ﷺ غشيه ما كان يغشاه عند نزول الوحي عليه من تعظيم أمر الله تعالى ، ثمّ سرّى عنه ^(٣) وقد أنزل عليه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون » .

قال : يا عبد الله بن سلام « إنما وليكم الله » وناصركم الله على اليهود القاصدين بالسوء لك « ورسوله » ^(٤) « إنما وليك وناصرك » ^(٥) « والذين آمنوا الذين » صفتهم أنّهم « يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » أي وهم في ركوعهم ، ثمّ قال : يا عبد الله بن سلام « ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا » من تولّاهم ووالى أولياءهم وعادى أعداءهم ولجأ عند المهمّات إلى الله ثمّ إليهم « فإنّ حزب الله » جنده « هم الغالبون » لليهود وسائر الكافرين ، أي فلا يهمنك يا ابن سلام ، فإنّ الله تعالى وهؤلاء أنصارك ؛ وهو كافيك شرور أعدائك وذائد عنك مكائدهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا عبد الله بن

(١) في المصدر : ولا يشاروني .

(٢) في نسخة : ولا يخاطبني .

(٣) سرّى عنه أي زال عنه ما كان يجده .

(٤) في المصدر : إنما وليكم الله وناصركم على اليهود القاصدين بالسوء لك الله ورسوله ، إنما

وليكم وناصركم والذين آمنوا .

(٥) في نسخة : أي أنا وليك وناصرك .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٢٩ -

سلام ابشر فقد جعل الله لك أولياء خيراً منهم : الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .

فقال عبد الله : من هؤلاء الذين آمنوا ؟ فنظر رسول الله ﷺ إلى سائل فقال : هل أعطاك أحد شيئاً الآن ؟ قال : نعم ذلك المصلّي ، أشار إليّ بإصبعه : أن خذ الخاتم ، فأخذته فنظر إليه وإلى الخاتم فإذا هو خاتم عليّ ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر هذا وليكم بعدي وأولى الناس بعدي ^(١) عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : ثم لم يلبث عبد الله إلا يسيراً حتى مرض بعض جيرانه وافتقر وباع داره فلم يكن لها مشترياً غير عبد الله ، وأسر آخر من جيرانه فألجى ، إلى بيع داره فلم يجد لها مشترياً غير عبد الله ، ثم لم يبق من جيرانه من اليهود أحد إلا دهته داهية ^(٢) واحتاج من أجلها إلى بيع داره ، فملك عبد الله تلك الملحّة ، وقلع الله تعالى شأفة اليهود ^(٣) وحول عبد الله إلى تلك الدور قوماً من خيار المهاجرين وكانوا له أناساً وجالساً ، وردّ الله كيد اليهود في نحورهم ، وطيب الله عيش عبد الله بما يمانه برسوله ومولاته لعليّ وليّ الله عليه السلام .

قوله عز وجل : «أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم بل أكثرهم لا يؤمنون» قال الإمام عليه السلام : قال الباقر عليه السلام : قال الله تعالى وهو يوتئخ هؤلاء اليهود الذين تقدّم ذكرهم وعنادهم وهؤلاء النصاب الذين نكثوا ما أخذ من العهد عليهم فقال : «أوكلما عاهدوا عهداً» و «وآثقوا» و «عاهدوا» ليكوننّ لمحمّد طائعين و لعليّ بعده مؤتمرين وإلى أمره صابرين «نبذه» نبذ العهد «فريقٌ منهم» وخالفه ، قال الله تعالى : «بل أكثرهم» أكثر هؤلاء اليهود والنواصب «لا يؤمنون» في مستقبل أعمارهم لا يرعون ولا يتوبون مع مشاهدتهم للآيات ومعاينتهم للدلالات .

قال رسول الله ﷺ : اتقوا الله عباد الله ، واثبتوا على ما أمركم به رسول الله ﷺ

(١) في نسخة : وأولى الناس بالناس بعدي .

(٢) أى أصابته داهية .

(٣) الشأفة : الاصل . العداوة . يقال : استأصل شأفته أى أزاله من أصله . و استأصل الله شأفتهم أى عداوتهم .

من توحيد الله ومن الإيمان بنبوّة محمد ﷺ رسول الله ، ومن الاعتقاد بولاية عليّ ﷺ وليّ الله ، ولا يغرّ تمكّن صلّاتكم وصيامكم وعبادتكم السالفة إنمّا تنفعكم إن وافيتم العهد والميثاق ، ^(١) فمن رفا وفي له وتفضل بالإفضال عليه ، ومن نكث فإنمّا ينكث على نفسه والله وليّ الانتقام منه ، وإنمّا الأعمال بخواتيمها ، وهذه وصيّة رسول الله ﷺ لكلّ أصحابه وبها أوصى حين صار إلى الغار . ^(٢)

بيان : حمارة القبط بتشديد الراء : شدة حرّه . وفي المثل : استأصل الله شأفته أي أذهب الله .

١٧ - ٤ : قوله عزّ وجلّ : « ولما جاءهم رسول من عند الله » إلى قوله : « ملثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » قال الإمام ﷺ : قال الصادق ﷺ : « ولما جاءهم » جاء اليهود ومن يليهم من النواصب « رسول من عند الله » صدّق لما معهم القرآن مشتملاً على فضل محمد وعليّ ﷺ ، وإيجاب ولايتهما وولاية أوليائهما وعداوة أعدائهما « نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله » اليهود التوراة وكتب أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام « وراء ظهورهم » تركوا العمل بما فيها وحسدوا محمداً ﷺ على نبوته ، وعلياً على وصيته ، وجحدوا ما وقفوا عليه من فضائلهما كأنهم لا يعلمون ، وفعلوا فعل من جحد ذلك ورددّه ، فعل من لا يعلم ، مع علمهم بأنّه حقّ « واتبعوا » هؤلاء اليهود والنواصب « ما تتلو » ما تقرّ « الشياطين على ملك سليمان » وزعموا أنّ سليمان بذلك السحر والتدبير والنير نجات نال ما ناله من الملك العظيم فصدّوهم به عن سبيل الله ، وذلك أنّ اليهود الملحدّين والنواصب المشركين (المشاركيين خ) لهم في إلحادهم ملأ سمعوا من رسول الله ﷺ فضائل عليّ وشاهدوا منه ومن عليّ ﷺ المعجزات التي أظهرها الله تعالى لهم على أيديهما أفضى بعض اليهود والنصّاب إلى بعض وقالوا : ما محمد إلّا طالب الدنيا بحيل ومخاريق وسحر ونير نجات تعلّمها وعلم عليّاً بعضها ، فهو

(١) في المصدر : إنها لا تنفعكم ان خالتم العهد والميثاق .

(٢) تفسير العسكري : ١٨٧ - ١٨٩ . وللحديث ذيل لعله يخرج به في حديث الفار .

(٣) وفي نسخة : كتاب من عند الله . وفي المصدر : كتاب من عند الله القرآن مشتملاً على فضل محمد اه .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٣١-

يريد أن يملك علينا حياته،^(١) ويعقد الملك لعلي بعده، وليس ما يقوله عن الله بشيء، إنما هو تقوُّله،^(٢) فيعقد علينا وعلى ضعفاء عباد الله بالسحر والنير نجات التي تعلمها،^(٣) وأوفر الناس حظاً من هذا السحر سليمان بن داود الذي ملك بسحره الدنيا كلها من الجن والإنس والشياطين، ونحن إذا تعلمنا بعض ما كان تعلمه سليمان بن داود تمكّنا من إظهار مثل ما أظهره محمد وعلي، وادّعينا لأنفسنا ما يجعله محمد لعلي، وقد استغنيينا عن الانقياد لعلي؛ فحينئذ ذمّ الله الجميع من اليهود والنصارى فقال عز وجل: «نبذوا كتاب الله» الأمر بولاية محمد ﷺ وعلي ﷺ «وراء ظهورهم» فلم يعملوا به «واتبعوا ما تتلو» كفرة «الشياطين» من السحر والنير نجات «على ملك سليمان» الذين يزعمون أن سليمان ملك به، ونحن أيضاً به نظهر العجائب حتى تنقاد لنا الناس ونستغني عن الانقياد لعلي، قالوا: وكان سليمان كافراً وساحراً ماهراً، بسحره ملك مملك وقدر على ما قدر، فردّ الله تعالى عليهم وقال: «وما كفر سليمان» ولا استعمل السحر كما قاله هؤلاء الكافرون «ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» أي بتعليمهم الناس السحر الذي نسبوه إلى سليمان كفروا.^(٤)

١٨ - ٥ : قوله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم» قال الإمام عليّ: قال: موسى بن جعفر عليه السلام: إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وكثر حوله المهاجرون والأنصار وكثرت عليه المسائل وكانوا يخاطبونه بالخطاب الشريف العظيم الذي يليق به ﷺ، وذلك أن الله تعالى كان قال لهم: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون» وكان رسول الله ﷺ بهم رحيماً، وعليهم عطفواً، وفي إزالة الآثام عنهم مجتهداً، حتى أنه كان ينظر إلى كل من كان يخاطبه فيعمل على أن يكون صوته مرتفعاً^(٥) على صوته ليزيل عنه ما توعد الله به

(١) في المصدر: فهو يريد أن يملك علينا في حياته.

(٢) في المصدر وفي نسخة: إنما هو قوله. وفي المصدر: ليعقد.

(٣) في المصدر: يستعملها.

(٤) تفسير العسكري: ١٩١ و ١٩٢.

(٥) في نسخة: فيمهد أن يكون صوته مرتفعاً.

من إحباط أعماله ، حتى أن رجلاً أعربياً ناداه يوماً وهو خلف حائط بصوت له جهوري :
يا محمد ، فأجابه ﷺ بأرفع من صوته ، يريد أن لا يأنم الأعرابي بارتفاع صوته ، فقال
له الأعرابي : أخبرني عن التوبة إلى متى تقبل ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أخا العرب
إن بابها مفتوح لابن آدم لا ينسد (يسد خل) حتى تطلع الشمس من مغربها ، وذلك
قوله تعالى : «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك»
يوم يأتي بعض آيات ربك ، وهو طلوع الشمس من مغربها ، لا ينفع نفساً إيمانها لم
تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

وقال موسى بن جعفر عليه السلام : فكانت (وكانت خ) هذه اللفظة : «راعنا» من ألفاظ
المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله ﷺ يقولون : راعنا ، أي أرح أحوالنا واسمع
مننا نسمع منك ، وكان في لغة اليهود : اسمع لا سمعت ، فلمّا سمع اليهود المسلمون
يخاطبون بها رسول الله يقولون : راعنا ويخاطبون بها قالوا : كنّا نشتم ^(١) محمداً ﷺ
إلى الآن سرّاً ففعلوا الآن نشتمه جهراً ، وكانوا يخاطبون رسول الله ﷺ ويقولون :
راعنا ، يريدون شتمه ، ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا أعداء الله عليكم
لعنة الله ، أراكم تريدون سب رسول الله توهموناً أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا
والله لا سمعتها (أسمعها خل) من أحد منكم إلا ضربت عنقه ، ولولا أنني أكره أن أقدم
عليكم قبل التقدم والاستيذان له ولأخيه ووصيته علي بن أبي طالب عليه السلام القيم بأمور
الامة ^(٢) نائباً عنه لضربت عنق من قد سمعته منكم يقول هذا ، فأنزل الله تعالى : يا محمد
«من الذين هادوا يجرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير
مسمع وراعنا لئلاً بالسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمعوا
انظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً» وأنزل :
«يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم»
لا تقولوا : راعنا فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى سب رسول الله ﷺ

(١) في المصدر : إنا كنا نشتم .

(٢) في نسخة : القيم بأمور امته .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٣٣ -

وسببكم وشتمكم ، وقولوا : انظرنا ، أي قولوا بهذه اللفظة لا بلفظة راعنا فإنه ليس فيها ما في قولكم : راعنا ، ولا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولكم : راعنا «واسمعوا» إذا قال لكم رسول الله ﷺ قولاً وأطيعوا «وللكافرين» يعني اليهود الشاتمين لرسول الله ﷺ «عذاب أليم» وجيع في الدنيا إن عادوا لشتمهم ، وفي الآخرة بالخلود في النار .

ثم قال رسول الله ﷺ : يا عباد الله هذا سعد بن معاذ من خيار عباد الله آثر رضى الله على سخط قراباته وأصهاره من اليهود ، أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، و غضب لمحمد ﷺ رسول الله ولعلي ولي الله ووصي رسول الله ﷺ أن يخاطبها بما لا يليق بجلالتهما ، فشكر الله له لتعصبه (لغضبه خ) لمحمد ﷺ وعلي وبوأه في الجنة منازل كريمة وهيأ له فيها خيرات واسعة لا تأتي الألسن على وصفها ولا القلوب على توهّمها (١) والفكر فيها ، ولسلكة من مناديل موائده في الجنة (٢) خير من الدنيا بما فيها وزينتها ولجينها وجواهرها وسائر أموالها ونعيمها ، فمن أراد أن يكون فيها رفيقه وخليطه فليتحمل غضب الأصدقاء والقرابات وليؤثر لهم رضى الله في الغضب لمحمد رسول الله ﷺ ، وليغضب إذا رأى الحق متروكاً ورأى الباطل معمولاً به ، وإياكم والهويناء فيه (٣) مع التمكن والقدرة و زوال التقيّة ، فإن الله لا يقبل لكم عذراً عند ذلك . (٤)

١٩ - م : قوله عز وجل : «ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» قال الإمام عليّ عليه السلام : قال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : إن الله ذمّ اليهود والمشركين و

(١) في هامش المصدر : (على توسمها خ) .

(٢) في نسخة : ولسلكة من موائده في الجنة . وفي المصدر : من مناديل موائده نعمتها في الجنة .

(٣) في المصدر : وإياكم والهويناء (والهويناء خ) فيه .

(٤) تفسير العسكري : ص ١٩٤-١٩٦ ، و المحدث ذيل في عقاب تارك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره .

النواصب (١) فقال: «ها يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب» اليهود والنصارى «ولا المشركين» ولأمن المشركين الذين هم نواصب يقتاتون لذكر الله و ذكر محمد و فضائل عليٍّ عليه السلام ، وإبائته عن شريف فضله و محله «أن ينزل عليكم من خير من ربكم» من الآيات الزائدات في شرف محمد وعليٍّ وآلهما الطيبين عليهم صلوات الله وسلامه ، ولا يودُّون أن ينزل دليل معجز من السماء يبين عن محمد ﷺ وعليٍّ عليه السلام ، فهم لأجل ذلك يمنعون أهل دينهم من أن يحاججوك بخافة أن تبهرهم حججكم (٢) وتفهمهم معجزاتك فيؤمن بك عوامهم أو يضطربون على رؤسائهم ، فلذلك يصدُّون من يريد لقاءك يا محمد ، ليعرف أمرك (٣) بأنّه لطيف خلاق ساحر اللسان ، لا تراك ولا يراك خير لك ، وأسلم لدينك ودينك ، فهم بمثل هذا يصدُّون العوام عنك .

ثم قال الله عز وجل: «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (٤) عليٌّ من يوققه لدينه ويهديه إلى موالاته وموالاة أخيك عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام . قال فلمّا قرّعهم بهذا رسول الله ﷺ حضره منهم جماعة فعاندوه (فكذبوه) وقالوا: يا محمد إنك تدعي على قلوبنا خلاف ما فيها ، ما نكره أن ينزل عليك حجة تلزم الانقياد لها فننقاد ، فقال رسول الله ﷺ: أما إن عاندتم محمدًا ههنا فستعاندون رب العالمين إذا أنطق صحائفكم بأعمالكم ، و تقولون : ظلمتنا الحفظة و كتبوا علينا ما لم نجترمه (نجزمه) فعند ذلك يستشهد جوارحكم فتشهد عليكم .

فقالوا: لا تبعد شاهدك فإنّه فعل الكذبين ، بيننا وبين القيامة بعد ، أربنا في أنفسنا ما تدعي لنعلم صدقك ، ولن تفعله لأنك من الكذابين .

(١) في المصدر : ان الله تعالى ذم اليهود والنصارى والمشركين والنواصب .

(٢) أضاف في المصدر : وآلهما .

(٣) في نسخة : أن تبهرهم بحججكم .

(٤) في نسخة : ليعرفوهم أمرك . وفي نسخة لمشروهم بك .

(٥) الموجود في المصدر هكذا : «والله يختص برحمته» وتوفيقه لدين الاسلام و موالاة محمد

وعليٍّ «من يشاء» والله ذو الفضل العظيم» عليٌّ من يوققه لدينه .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٣٥ -

فقال رسول الله ﷺ لعليّ ﷺ : استشهد جوارحهم ، فاستشهدها عليّ ﷺ فشهدت كلها عليهم أنهم لا يودّون أن ينزل على أمة محمد ﷺ على لسان محمد ﷺ خير من عند ربكم (ربهم خ ل) آية بيّنة وحجة معجزة لنبيّ ته وإمامة أخيه عليّ ﷺ مخافة أن تبهرهم حجّته ، ويؤمن به عوامهم ، ويضطرب عليه كثير منهم ^(١).

فقالوا : يا محمد لساننا سمع هذه الشهادة التي تدّعي أنها تشهد بها جوارحنا . فقال ﷺ : يا عليّ هؤلاء من الذين قال الله : « إن الذين حقّقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ادع عليهم بالهم . اك » ، فدعا عليهم عليّ ﷺ بالهلاك ، فكلّ جارحة نطقت بالشهادة على صاحبها انفتحت حتّى مات مكانه .

فقال قوم آخرون حضروا من اليهود : ما أقساك يا محمد قتلتم أجمعين ! فقال رسول الله ﷺ : ما كنت ألين عليّ من اشتدّ عليه غضب الله ، أما إنهم لو سألوا الله بمحمد وعليّ وآلهما الطيّبين أن يمهلهم ويقبلهم لفعل بهم ، كما كان فعل بمن كان قبل من عبدة العجل لما سألوا الله بمحمد وعليّ وآلهما الطيّبين ، وقال لهم ^(٢) عليّ لسان موسى : لو كان دعا بذلك عليّ من قتل لأعفاه الله من القتل كرامة لمحمد وعليّ وآلهما الطيّبين ﷺ . ^(٣)

٢٠ - خنّس : عن ابن عباس قال : لما بعث محمد ﷺ أن يدعو الخلق إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فأسرع الناس إلى الإجابة ، وأنذر النبي ﷺ الخلق ، فأمره جبرئيل ﷺ أن يكتب إلى أهل الكتاب - يعني اليهود والنصارى - ويكتب كتاباً وأملى جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ كتابه ، وكان كاتبه يومئذ سعد بن أبي وقّاص ، فكتب إلى يهود خيبر :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الأميّ رسول الله إلى يهود خيبر ، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ

(١) في نسخة : ويضطرب على كثير منهم . وفي المصدر : ويضطرب عليهم كثير منهم .

(٢) في المصدر : وقال الله لهم .

(٣) تفسير العسكري : ص ٢٠٠ .

العظيم ؛ ثم وجه الكتاب إلى يهود خيبر ، فلمّا وصل الكتاب إليهم حملوه و أتوا به رئيساً لهم يقال له عبدالله بن سلام ، إنّ هذا كتاب محمد إلينا فاقرأه علينا ، فقرأه فقال لهم : ما ترون في هذا الكتاب ؟

قالوا : نرى علامة وجدناها في التوراة ، فإن كان هذا محمد الذي بشر به موسى وداود وعيسى عليهم السلام سيعطل التوراة ويحلّ لنا ما حرّم علينا من قبل ، فلو كنّا على ديننا كان أحب إلينا .

فقال عبدالله بن سلام : يا قوم اخترتم الدنيا على الآخرة والعذاب على الرحمة ؟ قالوا : لا . قال : وكيف لا تتسبعون داعي الله ؟ قالوا : يا ابن سلام وما علمنا أنّ محمد أصادق فيما يقول ؟

قال : فإذا نسأله عن الكائن والمكوث والناسخ والمنسوخ ، فإن كان نبياً كما يزعم فإنّه سيبيّن كما يبيّن الأنبياء من قبل . قالوا : يا ابن سلام سر إلى محمد حتّى تنقص كلامه وتنظر كيف يردّ عليك الجواب ؟ .

فقال : إنّكم قوم تجهلون ، لو كان هذا محمد الذي بشر به موسى وعيسى بن مريم وكان خاتم النبيّين فلو اجتمع الثقلان : الإنس والجنّ على أن يردّوا على محمد حرفاً واحداً أو آية ما استطاعوا بإذن الله .

قالوا : صدقت يا ابن سلام فما الحيلة ؟ قال : عليّ بالتوراة فحملت التوراة إليه فاستنسخ منها ألف مسألة وأربع مسائل ، ثمّ جاء بها إلى النبيّ ﷺ حتّى دخل عليه يوم الاثنين بعد صلاة الفجر ، فقال : السلام عليك يا محمد .

فقال النبيّ ﷺ : وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، من أنت ؟ فقال : أنا عبدالله بن سلام من رؤساء بني إسرائيل وممن قرأ التوراة وأنا رسول اليهود إليك مع آيات من التوراة ، تبيّن لنا ما فيها نراك من المحسنين .

فقال النبيّ ﷺ : الحمد لله عليّ نعماته ، يا ابن سلام جيئني سائلاً أو متعنّساً ؟ قال : بل سائلاً يا محمد . قال : على الضلالة أم على الهدى ؟ قال : بل على الهدى يا محمد .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٢٣٧-

فقال النبي ﷺ : فصل عما تشاء . قال : أنصفت يا محمد ، فأخبرني عنك أنبيء أنت أم رسول ؟ قال : أنا نبي ورسول ، ذلك قوله تعالى في القرآن : «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كلمك الله قبلاً ؟ قال : ما لعبد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني تدعو بدينك أم بدين الله ؟ قال : بل أدعو بدين الله ومالي دين إلا ما ديننا الله .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني إلى ما تدعو ؟ قال : إلى الإسلام والإيمان بالله . قال : وما الإسلام ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم دين لرب العالمين ؟ قال : دين واحد ، والله تعالى واحد لا شريك له . قال : وما دين الله ؟ قال : الإسلام . قال : وبه دان النبیون من قبلك ؟ قال : نعم قال : فالشرائع ؟ قال : كانت مختلفة وقد مضت سنة الأولين .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أهل الجنة يدخلون فيها بالإسلام أو بالإيمان أو بالعمل ؟ قال : منهم من يدخل بالثلاثة يكون مسلماً مؤمناً عاملاً فيدخل الجنة بثلاثة أعمال ؛ أو يكون نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً فيسلم بين الصلاتين ويؤمن بالله ويخلع الكفر من قلبه فيموت على مكانه ولم يخلف من الأعمال شيئاً فيكون من أهل الجنة ، فذلك إيمان بلا عمل ؛ ويكون يهودياً أو نصرانياً يتصدق وينفق في غير ذات الله فهو على الكفر والضلالة يعبد المخلوق دون الخالق ، فإذا مات على دينه كان فوق (مع خ ل) عمله في النار يوم القيامة لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين .

قال : صدقت يا محمد . قال : فأخبرني هل أنزل عليك كتاباً ؟ قال : نعم . قال : وأي كتاب هو ؟ قال : الفرقان . قال : ولم سمّاه فرقاناً ؟ قال : لأنه مفرق الآيات و السور ، أنزل في غير الألواح وغير الصحف ، والتوراة والإنجيل والزبور أنزلت بها جملاً في الألواح والأوراق .

فقال : صدقت يا محمد ، فأخبرني أي شيء مبتدؤ القرآن ؟ وأي شيء مؤخره ؟

قال : مبتدؤه « بسم الله الرحمن الرحيم » ومؤخره « أبجد » قال : ما تفسيراً أبجد ؟ قال :
الألف : آلاء الله ، والباء : بهاء الله ، والجيم : جمال الله ، والdal : دين الله وإدلاله على
الخير ؛ هو ز : الهاوية ؛ حطمي : حطوط الخطايا والذنوب ؛ سعفص : صاعاً بصاع ، حقماً
بحق ، فصاً بفص ، يعني جوراً بجور ؛ قرشت : سهم الله المنزل في كتابه المحكم .
بسم الله الرحمن الرحيم سنة الله سبقت رحمة الله غضبه ، قال : لما عطف آدم صلى الله عليه قال :
الحمد لله رب العالمين ، فأجابه ربه : يرحمك ربك يا آدم ، فسبقت له ذلك الحسن من
ربه من قبل أن يعصى الله في الجنة .

فقال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أربعة أشياء خلقهن الله تعالى بيده . قال : خلق
الله جنات عدن بيده ، ونصب شجرة طوبى في الجنة بيده ، وخلق آدم عليه السلام بيده ،
وكتب التوراة بيده .

قال : صدقت يا محمد : قال : فمن أخبرك بهذا ؟ قال : جبرئيل عليه السلام . قال :
جبرئيل عمن ؟ قال : عن ميكائيل . قال : ميكائيل عمن ؟ قال : عن إسرئيل . قال :
إسرئيل عمن ؟ قال : عن اللوح المحفوظ . قال : اللوح عمن ؟ قال : عن القلم ، قال : القلم
عمن ؟ قال : عن رب العالمين .

قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن جبرئيل في ذي الإناث أم في ذي الذكور ؟
قال : في ذي الذكور ليس في ذي الإناث . قال : فأخبرني ما طعامه ؟ قال : طعامه
التسبيح ، وشرابه التهليل .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما طول جبرئيل ؟ قال : إنه على قدر بين الملائكة
ليس بالطويل العال ، ولا بالقصير المتداني ، له ثمانون ذؤابة ، وقصته جعدة ، وهلال
بين عينيه ، أغر ، أدعج مجدل ،^(١) ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل ،

(١) الذؤابة : شعر في مقدم الرأس . القصة : شعر الناصية : كل خصلة من الشعر . الاغر :

الحسن . الابيض من كل شيء . دعجت العين : صارت شديدة السواد مع سمها ، فصاحبها أدعج
وفى الحديث : امتى الغر المحجلون أى يبيض مواضع الوضوء من الايدي والاقدام . والخيال المحجل
الذى يرتفع البياض فى قوامه إلى موضع القيد و يجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين . قاله
الجزوى فى النهاية .

ج ٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٣٩ -

له أربع وعشرون جناحاً خضراً مشبكاً بالدر والياقوت ، محتمة باللؤلؤ ، وعليه وشاح^(١) بطانته الرحمة ، إزاره الكرامة ،^(٢) ظهره الوقار ، ريشه الزعفران ، واضح الجبين ، ألقى الأنف ،^(٣) سائل الخدين ،^(٤) مدور اللحيين ، حسن القامة ، لا يأكل ولا يشرب ، ولا يمل ولا يسهو ، قائم بوحى الله إلى يوم القيامة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما الواحد ؟ وما الاثنان ؟ وما الثلاثة ؟ وما الأربعة ؟ وما الخمسة ؟ وما الستة ؟ وما السبعة ؟ وما الثمانية ؟ وما التسعة ؟ وما العشرة ؟ وما الأحد عشر ؟ وما الاثنا عشر ؟ وما الثلاثة عشر ؟ وما الأربعة عشر ؟ وما الخمسة عشر ؟ وما الستة عشر ؟ وما السبعة عشر ؟ وما الثمانية عشر ؟ وما التسعة عشر ؟ وما العشرون ؟ وما الأحد وعشرون ؟ وما الاثنان وعشرون ؟ وثلاثة وعشرون ؟ وأربعة وعشرون ؟ وخمسة وعشرون ؟ وستة وعشرون ؟ وسبعة وعشرون ؟ وثمانية وعشرون ؟ وتسعة وعشرون ؟ وما الثلاثون ؟ وما الأربعون ؟ وما الخمسون ؟ وما الستون ؟ وما السبعون ؟ وما الثمانون ؟ وما التسعة والتسعون ؟ وما المائة ؟ .

قال : نعم يا ابن سلام ، أمّا الواحد : فهو الله الواحد القهار لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .
وأما الاثنان : فآدم وحواء كانا زوجين في الجنة قبل أن يخرجوا منها .
وأما الثلاثة : فجبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، وهم رؤساء الملائكة وهم على وحي رب العالمين .

وأما الأربعة : فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان .
وأما الخمسة : أنزل عليّ وعلى أمّتي خمس صلوات أم تنزل على من قبلي ، ولا تفترض على أمّة بعدى لأنّه لانيّ بعدى .
وأما الستة : خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام .

(١) الوشاح : شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٢) قنى الأنف : ارتفع وسط قصبته وضاق منخرام فهو ألقى .

(٣) فى النهاية : فى صفته صلى الله عليه وآله وسلم : سائل الاطراف أى متدها .

وَأَمَّا السَّبْعَةُ : فسبع سموات شداد و ذلك قوله تعالى : « و بنينا فوقكم سبعاً شداداً » .

وَأَمَّا الثَّمَانِيَةُ : يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون .

وَأَمَّا التَّسْعَةُ : آتينا موسى تسع آيات بينات .

وَأَمَّا الْعَشْرَةُ : تلك عشرة كاملة .

وَأَمَّا الْإِحْدَعَشَر : قول يوسف لأبيه : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً .

وَأَمَّا الْإِثْنَا عَشَر : فالسنة تأتي كل عام اثنا عشر شهراً جديداً .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ عَشَر كوكباً : فهم إخوة يوسف . وَأَمَّا الشَّمْس والقمر فَلَا مَّ

وَالْأَب . (١)

وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ عَشَر : فهو أربعة عشر قنديلاً من نور معلقاً بين العرش والكرسي

طول كل قنديل مسيرة مائة سنة .

وَأَمَّا الْخَمْسَةُ عَشَر : فإن القرآن (الفرقان خل) أنزل علي آيات مفصلات في

خمس عشرة يوماً خلا من شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من

الهدى والفرقان .

وَأَمَّا السِّتَّةُ عَشَر فستة عشر صفّاً من الملائكة حافين من حول العرش وذلك

قوله تعالى : « حافين من حول العرش » .

وَأَمَّا السَّبْعَةُ عَشَر : فسبعة عشر اسماً من أسماء الله تعالى مكتوباً بين الجنة و

النار ، ولولا ذلك لفرقت جهنم زفراً فتحرق من في السماوات ومن في الأرض .

وَأَمَّا الثَّمَانِيَةُ عَشَر فثمانية عشر حجاباً من نور معلق بين الكرسي والحجب ،

ولولا ذلك لذابت صمّ الجبال الشوامخ ، فاحترقت الإنس والجن من نور الله .

قال : صدقت يا محمد .

(١) تفسير لقول يوسف : « يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين »

فالمجموع ثلاثة عشر منه إحدى عشر كوكباً وهم إخوة يوسف والاثنتان منه وهو الشمس والقمر أبوه

وامه . وفي نسخة : وأما الثلاثة عشر كوكباً فهم إخوة يوسف (وابواه ظ) .

ج٩ باب احتجاج النبي ﷺ على اليهود في مسائل شتى - ٣٤١..

قال : وأما التسعة عشر : فهي سقر لا تبقى ولا تذّر لوّاحة للبشر عليها
نسعة عشر .

وأما العشرون : أنزل الزبور على داود في عشرين يوماً خلون من شهر رمضان
وذلك قوله تعالى في القرآن : «وآتينا داود زبوراً» .

وأما أحد وعشرون : فتلا سليمان بن داود وسبّحت معه الجبال .
وأما الاثنان والعشرون : تاب الله على داود و غفر له ذنبه وليّن الحديد
يتّخذ منه السابغات وهي الدروع .

وأما الثلاثة والعشرون : أنزل المائدة فيه من شهر الصيام على عيسى عليه السلام .
وأما الأربعة والعشرون : كلم الله موسى تكليماً .

وأما الخمسة والعشرون : فلق البحر لموسى ولبنى إسرائيل .
وأما الستة والعشرون : أنزل الله على موسى التوراة .

وأما السبعة والعشرون : ألقت الحوت يونس بن متى من بطنها .
وأما الثمانية والعشرون : ردّ الله بصر يعقوب عليه .

وأما التسعة والعشرون : رفع الله إدريس مكاناً عليّاً .

وأما الثلاثون : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة و أتممناها بعشر فتمّ سيقات ربّه
أربعين ليلة .

وأما الخمسون : يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة .

وأما الستون : فالأرض لها ستون عرقاً ، و الناس خلقوا على ستين يوماً
(نوعاً خ ل) .

وأما السبعون : فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا .

وأما الثمانون : فشارب الخمر يجلد بعد تحريره ثمانين سوطاً .

وأما التسعة والتسعون : له تسعة و تسعون نعيّة .

وأما المائة : فالزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن آدم عليه السلام كيف خلق ؟ ومن أي شيء خلق ؟

قال : نعم إن الله سبحانه و بحمده و تقدّست أسماؤه ولا إله غيره خلق آدم من الطين ، والطين من الزبد ، والزبد من الموج ، والموج من البحر ، والبحر من الظلمة ، والظلمة من النور ، والنور من الحرف ، والحرف من الآيّة ، والآيّة من السورة ، والسورة من الياقوتة ، والياقوتة من كن ، وكن من لاشيء .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم لعبد من الملائكة ؟ قال : لكلّ عبد ملكان : ملك عن يمينه ، و ملك عن شماله ، الذي عن يمينه يكتب الحسنات ، و الذي عن شماله يكتب السيئات . قال : فأين يقعد الملكان ؟ و ما قلمهما ؟ و ما دواتهما ؟ و ما لوحهما ؟ قال : مقعدهما كتفاه ، وقلمهما لسانه ، و دواتهما حلقة ، و مدادهما ريقه ، ولوحهما فؤاده ، يكتبون أعماله إلى مماته .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما خلق الله بعد ذلك ؟ قال : ن والقلم . قال : و ما تفسير ن والقلم . قال : النون : اللوح المحفوظ ، والقلم : نور ساطع ، وذلك قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما طوله ؟ و ما عرضه ؟ و ما مداده ؟ و أين مجراه ؟ قال : طول القلم خمسمائة سنة ، وعرضه مسيرة ثمانين سنة ، يخرج المداد من بين أسنانه يجري في اللوح المحفوظ بأمر الله و سلطانه .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن اللوح المحفوظ ممّا هو ؟ قال : من زمردة خضراء أجوافه اللؤلؤ ، بطائنه الرحمة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم لحظة لربّ العالمين في اللوح في كلّ يوم وليلة ؟ قال : ثلاث مائة وستون لحظة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني أين هبط آدم عليه السلام ؟ قال : بالهند . قال : حواء ؟ قال : بجدة . قال : إبليس ؟ قال : بإصفهان . قال : فما كان لباس آدم حيث أنزل من الجنة ؟ قال : ورقات من ورق الجنة ، كان متّزراً بواحدة ، مرتدياً بالأخرى ، ومعمّماً بالثالث . قال : فما كان لباس حواء ؟ قال : شعرها كان يبلغ الأرض . قال : فأين اجتمعا ؟ قال : بعرفات .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أول ركن وضع الله تعالى في الأرض . قال :
الركن الذي بمكة وذلك قوله تعالى في القرآن : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي
بِمَكَّةَ مُبَارَكًا » .

قال : صدقت يا محمد . قال : فأخبرني عن آدم خلق من حواء ، أحواء خلقت من
آدم ؟ قال : بل خلقت حواء من آدم ، ولو أن آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد
النساء ولم يكن بيد الرجال . قال : من كلفه أو بعضه ؟ قال : بل من بعضه ، و لو خلقت
حواء من كلفه لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال قال : فمن ظاهره أو من
باطنه ؟ قال : بل من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء كما ينكشف الرجال ،
فلذلك النساء مستترات . قال : من يمينه أو من شماله ؟ قال : بل من شماله ، ولو خلقت
من يمينه لكان حظ الذكر والأنثى واحداً ، فلذلك للذكر سهمان ، وللأنثى سهم ،
وشهادة امرأتين برجل واحد . قال : فمن أي موضع خلقت من آدم ؟ قال ﷺ : من
ضله الأيسر .

قال : من سكن الأرض قبل آدم ؟ قال : الجن . قال : وبعد الجن ؟ قال : الملائكة .
قال : و بعد الملائكة ؟ قال : آدم . قال : فكيف كان بين الجن وبين الملائكة ؟ قال :
سبعة آلاف سنة . قال : فبين الملائكة وبين آدم ؟ قال : ألفي ألف سنة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن آدم حج البيت ؟ قال : نعم . قال : من خلق رأس
آدم ؟ قال : جبرئيل . قال : من ختن آدم ؟ قال : اختتن بنفسه . قال : و من اختتن بعد
آدم ؟ قال : إبراهيم خليل الرحمن ﷺ .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن رسول لامن الإنس ولامن الجن ولا من
الوحش . قال : بعث الله غراباً يبحث في الأرض .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن بقعة أضاءته الشمس مرة ولا تعود أخرى إلى
يوم القيامة ؟ قال : لما ضرب موسى البحر بعصاه انقلب البحر بانثى عشر قطعة ، وأضأت
الشمس على أرضه ، فلما غرق الله فرعون و جنوده أطبق البحر ولا تضيء الشمس إلى
تلك البقعة إلى يوم القيامة .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً ، أخرج منه اثنا عشر رزقاً لاثني عشر ولداً . قال : لما دخل موسى البحر مرُ بصخرة بيضاء مربّعة كالبيت ، فشكا بنو إسرائيل العطش إلى موسى فضربها بعصاه فانفجرت منها اثنا عشر عيناً من اثني عشر باباً .^(١)

أقول : إلى هنا انتهى ما وجدنا من الخبر ، وقد كان سقط منه أشياء في المنقول منه ، وكان فيه بعض التصحيف فنقلنا كما وجدنا .

بيان : قوله عليه السلام : (منهم من قصصنا) كأنها نقلت بالمعنى ، وفي القرآن هكذا : « ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » أي كل من هؤلاء رسول نبي مثلي .

قوله عليه السلام : (ومؤخره أبجد) لعل المراد بالتأخير التأخير بحسب الرتبة ، أو أنه يلزم تعلم معانيه بعد تعلم القرآن ، وأكثر ما في الخبر مبنّى على ما كان مشهوراً بين أهل الكتاب ومن خصائصهم لا يعلمها إلا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومن أخذ عنهم .

﴿ باب ٣ نادر ﴾

١ - ب : هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : مرّ بعض الصحابة براهب فكلّمه بشيء فقال له الراهب : يا عبدالله إنّ دينك جديد وديني خلق ، فلو قد خلق دينك لم يكن شيء أحبّ إليك من مثلها .^(٢)

(١) الاختصاص : مخطوط و نسخته غير موجودة عندنا .

(٢) قرب الاستاد : ص ٤٠ .

الموضوع	الصحيفة
خطبة الكتاب	١
باب ١ احتجاج الله تعالى على أرباب الملل المختلفة في القرآن الكريم :	
ذكر آيات الباب	٢ - ٦٣
تفسير الآيات	٦٤ - ١٧٣
ماورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير آيات الباب ؛ وفيه	
١٦١ حديثاً .	١٧٣ - ٢٥٤
أبواب احتجاجات الرسول صلى الله عليه وآله	
باب ١ احتجاجه ﷺ على المشركين و الزنادقة و سائر أهل الملل	
الباطلة ؛ وفيه ستة أحاديث .	٢٥٥ - ٢٨٣
باب ٣ احتجاجه ﷺ على اليهود في مسائل شتى ؛ وفيه ٢٠ حديثاً	٢٨٣ - ٣٤٤
باب نادر ؛ وفيه حديث واحد .	٣٤٤

بسمه تعالى

إلى هنا تمّ الجزء التاسع من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة بتعليق نفيسة قيّمة وفوائد جمّة ثمينة ؛ و يحوي هذا الجزء ١٨٨ حديثاً في أربعة أبواب ويتلوه الجزء العاشر وسيصدر قريباً بعون الله تعالى .

وقد قوبل هذا الجزء من هذا الكتاب القيم بعدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة ، منها نسخة ثمينة نفيسة مقروءة على المصنّف - قدّس سرّه الشريف - وقد أتحننا إليها الأستاذ الملعظم السيّد محمد مشكوة - أطال الله بقاءه - فمن الواجب أن تقدّم إليه ثناءنا العاطر وشكرنا الجزيل ، وفقه الله تعالى وإيانا لجميع مرضاته إنّه وليّ التوفيق .

يَحْيَى الْعَبْدُ الْخَجَّالِي

تذكار

اعتمدنا في تصحيح كتاب الاحتجاجات - هذا الجزء والذي يليه - وتخرير
احاديثه على هذه الكتب :

- ١ - الاحتجاج للطبرسي طبعة النجف سنة ١٣٥٠ .
 - ٢ - الإرشاد للشيخ المفيد » إيران » ١٣٠٨ .
 - ٣ - إرشاد القلوب للديلمي » النجف دون تاريخ .
 - ٤ - الاستيعاب لابن عبد البر » مصر سنة ١٣٥٨ .
 - ٥ - الأمالي للشيخ الصدوق » إيران » ١٣٧٤ .
 - ٦ - الأمالي للشيخ الطوسي » » ١٣١٣ .
 - ٧ - الأمالي للسيد المرتضى » مصر » ١٣٢٥ .
 - ٨ - بصائر الدرجات للصفار » إيران » ١٢٨٥ .
 - ٩ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام » » ١٣١٥ .
- وكثيراً ما راجعت طبعه الآخر في هامش تفسير علي بن إبراهيم طبعة إيران سنة ١٣١٥ .
- ١٠ - تحف العقول لابن شعبة طبعة طهران سنة ١٣٧٦ .
 - ١١ - تفسير البيضاوي » إسلامبول » ١٣٠٣ .
 - ١٢ - تفسير علي بن إبراهيم القمي » إيران » ١٣١٣ .
- وكثيراً ما راجعت طبعه الآخر بسنة ١٣١٥ .
- ١٣ - التوحيد للصدوق » الهند » ١٣٢١ .
 - ١٤ - الخرائج و الجرائح للراوندي » إيران » ١٣٠٥ .
 - ١٥ - الخصال للصدوق » » ١٣٠٢ .
 - ١٦ - الرجال للكشي » بمبئي » ١٣١٧ .
 - ١٧ - الروضة في الفضائل طبع مع علل الشرائع والمعاني بإيران » ١٣٢١ .
 - ١٨ - شرح نهج البلاغة لابن ميثم طبعة إيران » ١٢٧٦ .
 - ١٩ - صحيفة الرضا عليه السلام » » ١٣٧٦ .

- ٢٠ - علل الشرائع ومعاني الأخبار للصدوق طبعة إيران سنة ١٣١١ .
- ٢١ - عيون الأخبار للصدوق » » » ١٣١٨ .
- ٢٢ - الغيبة للنعماني » » » ١٣١٧ .
- ٢٣ - الفصول المختارة للسيد المرتضى » النجف دون تاريخ .
- ٢٤ - الفضائل لابن شاذان » إيران سنة ١٢٩٤ .
- ٢٥ - القاموس المحيط للفيروز آبادي » الهند دون تاريخ .
- ٢٦ - قرب الإسناد للحميري » إيران سنة ١٣٧٠ .
- ٢٧ - الكافي للكليني : الأصول » » » ١٣٧٥ .
- الروضة » » » ١٢٧٧ .
- ٢٨ - الكشف للزمخشري » مصر » ١٣٧٣ .
- ٢٩ - كمال الدين للصدوق » إيران » ١٣٠١ .
- ٣٠ - كنز الفوائد للكراجكي » » » ١٣٢٢ .
- ٣١ - مجمع البيان للطبرسي » » » ١٣٧٣ .
- ٣٢ - النهاية لابن الأثير » » » ١٢٩٩ .
- ٣٣ - نهج البلاغة للسيد الرضي » مصر دون تاريخ .
- قم المشرفة خادم العلم والدين عبد الرحيم الرباني الشيرازي

(رموز الكتاب)

لد : للبلد الامين .	ع : لعلل الشرائع .	ب : لقرب الاسناد .
لى : لامالى الصدوق .	عا : لدعائم الاسلام .	بشا : لبشارة المصطفى .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .	عد : للمقائد .	تم : لفلاح السائل .
ما : لامالى الطوسى .	عدة : للعدة .	ثو : لثواب الاعمال .
محص : للتمحيص .	عم : لاعلام الورى .	ج : للاحتجاج .
مد : للعدة .	عين : للميون والمحاسن .	جا : لمجالس المفيد .
مص : لمصباح الشريعة .	غر : للنزروالدرر .	جش : لفهرست النجاشى .
مصبا : للمصباحين .	غط : لنفية الشيخ .	جع : لجامع الاخبار .
مع : لمعانى الاخبار .	غو : لغوالى اللثالى .	جم : لجمال الاسبوع .
مكا : لمكارم الاخلاق .	ف : لتحف العقول .	جنة : للجنة .
مل : لكامل الزيارة .	فتح : لفتح الابواب .	حج : لفرحة الغرى .
منها : للمنهاج .	فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	ختص : لكتاب الاختصاص .
مريج : لمهج الدعوات .	فس : لتفسير على بن ابراهيم .	خص : لمنتخب البصائر .
ن : لعيون اخبار الرضا (ع) .	فض : لكتاب الروضة .	د : للعدد .
نبه : لتنبيه الخاطر .	ق : للكتاب العتيق الغرورى .	سر : للسرائر .
نجم : لكتاب النجوم .	قب : لمناقب ابن شهر آشوب .	سن : للمحاسن .
نص : للكفاية .	قبس : لقبس المصباح .	شا : للإرشاد .
نهبج : لنهج البلاغة .	قضا : لقضاء الحقوق .	شف : لكشف اليقين .
نى : لنفية النعمانى .	قل : لاقبال الاعمال .	شى : لتفسير العياشى .
هد : للهداية .	قية : للدروع .	ص : لقصص الانبياء .
يب : للتهذيب .	ك : لاكمال الدين .	صا : للاستبصار .
يج : للخرائج .	كا : للكافى .	صبا : لمصباح الزائر .
يد : للتوحيد .	كش : لرجال الكشى .	صح : لصحيفة الرضا (ع) .
ير : لبصائر الدرجات .	كشف : لكشف النعمة .	ضا : لفقه الرضا (ع) .
يف : للطرائف .	كف : لمصباح الكفعمى .	ضوء : لنزوه الشهاب .
يل : للفضائل .	كنز : لكنز جامع الفوائد و	ضه : لروضة الواعظين .
ين : لكتابى الحسين بن سعيد	تاويل الايات الظاهرة	ط : للمراط المستقيم .
او لكتابه وال نوادر .	مأ .	طا : لامان الاخطار .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	ل : للخصال .	طب : لطب الائمة .

